الجامعة الإسلامية ــ غــزة
عمادة الدراســات العليــا
كليـــة أصـــول الـــدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

المنهج القرآني
في
المواساة وتفريج الكربات

(دراسة موضوعية)

إعداد
الباحث/ **سامي حسين أبو وردة**

إشراف
الأستاذ الدكتور/**عبد السلام حمدان اللوح** حفظه الله

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء: ٨٢]

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾

[فصلت: ٤٤]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى أحبِّ النَّاس إلى قلبي بعد الله ورسوله..أمِّي وأبي اللذين لم يقصرا في حُسن تربيتي، وبذلا الغالي والنفيس من أجلي وأجل إخوتي وأخواتي.. فأسأل الله العظيم أن يُطيل عُمرهما، وأن يمتعهما بالصِّحة والعافية، وأن يوفقهما لكل عمل صالح، وأن يجزيهما عني وعن إخوتي وأخواتي خير الجزاء.

إلى زوجتي الحبيبة، التي صبرت معي على المتاعب، ولم تقصر في الوقوف بجانبي أبداً.

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء، وأرحامي وأقاربي وأصهاري جميعاً الذين أكنُّ لهم الحب، وأسأل الله أن يوفقهم جميعاً لما يحبُّ ويرضى.

إلى مشايخنا الأجلاء، وعلمائنا الفضلاء.

إلى زملائي المعلمين في مدرسة سعد بن أبي وقاص.

إلى جميع إخواني الأعزاء في مسجد النُّعمان.

إلى جامعتي الغراء، وأساتذتي الكرام الأجلاء.

إلى كلِّ هؤلاء أهدي هذا البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شُكرٌ وتَقدِيرٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمدك ربِّي وأشكرك أن أكرمتني، ويسَّرت لي دراستي، وإتمام بحثي هذا، وأسبغت عليَّ نعمك ظاهرةً وباطنةً، فما بي من نعمةٍ فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

ثمَّ شُكري وتقديري وامتناني إلى أستاذي وشيخي، **فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح**، لتفضُّله بقبول الإشراف على هذه الرِّسالة، وقد عايشني فيها خطوةً خطوةً، يُوجِّه ويُسدِّد، ويَنصح ويُرشد، ويُعلِّق ويُفيد، ويَبذُل من وقته وجهده وعلمه، وتشهد على ذلك صفحات الرسالة كلُّها؛ بل وسطورها وكلماتها، وهذا جهد لا يجازيه عليه إلا ربُّه، فجزاه الله عنِّي وعن هذا البحث خير الجزاء، وأوفى له العطاء، وحقَّق له الرَّجاء.

كما وأتقدم بجميل الشكر والعرفان إلى أستاذيَّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل، حفظه الله ورعاه

وفضيلة الدكتور: رياض محمود قاسم، حفظه الله ورعاه

لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من وقت وجهد في قراءته، وإثرائه بملاحظاتهم السديدة لإخراجه في أحسن صورة.

وأتوجَّه بالشكر الكبير إلى جامعتي الغراء، الصَّرح العلمي الشامخ، الذي نهلت من معينه الصافي، وأخصُّ بالذِّكر كلية أصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزيَّة، والأساتذة الكرام جميعاً.

وفي الختام أتوجَّه بالشُّكر والتقدير لكلِّ من أعانني ووجهني ودعا لي بالتوفيق، وأخصُّ منهم: إخوتي الستَّة _ حفظهم الله _، وأختيَّ الحبيبتين، وأعمامي وأخوالي الفضلاء، وعماتي وخالاتي الفضليات، وأصحابي الأعزاء جميعاً، وأصهاري الكرام، ومديري في العمل: الأستاذ أبو محمد اسليم، ومديري السابق: الأستاذ مجدي حلاوة، وجميع زملائي المعلمين في مدرسة سعد بن أبي وقاص، وأهلي الكرام في مسجد النُّعمان، جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أمَّا بعد:

فإن من أعظم نعم الله ﷻ علينا، أن بعث فينا رسولاً منَّا، يتلوا علينا آياته ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، أرسله الله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً، وأنزل عليه خير كتاب، القرآن الكريم، الذي هو المعجزة الخالدة، وحبل الله المتين، يهدي للتي هي أقوم، فيه شفاء ورحمة للمؤمنين؛ إن اهتدت البشرية بهديه لن تضلَّ أبداً، وإن طلبت النَّجاة فيه فلن تهلك أبداً، وإن طلبت السعادة فيه فلن تشقى أبداً.

وإننا في زمان كثرت فيه البلايا والمصائب، وازدادت فيه الهُموم والغُموم، وتكالبت على الناس الشَّدائد والكُروب؛ فهذا مهموم لقلة ماله وضيق رزقه؛ وهذا مكروب لوجعه ومرضه؛ وذاك محزون على أهله وولده...!

وهذه حال الدنيا جعلها الله سبحانه سجناً للمؤمن؛ دار عمل وابتلاء واختبار، وليست دار جزاء وثواب، والجميع فيها مبتلى ومختبر، ولكنَّ نوع الابتلاء ودرجته تختلف من إنسان لآخر.

فما أشدَّ حاجة الناس اليوم إلى دواء يداويهم، وإلى علاج يُفرِّج كُربَهم، ويذهب هَمَّهم وغَمَّهم؛ وهذا العلاج وذاك الدواء جعله الله سبحانه بين أيدينا، نستقيه من كتاب ربِّنا، من إرشاداته وتوجيهاته، من قصصه وأخباره، من أوامره ونواهيه.

وإنَّني في هذه الدراسة حاولت جاهداً أن أتأمَّل في كتاب الله ﷻ لأقف على بعض ما يزخر به من مواساة للمبتلين، وتفريج للمكروبين، لعلي أخرج بما ينفعني وينفع المسلمين، فكانت هذه الدراسة بعنوان: **المنهج القرآني في المواساة وتفريج الكربات** " دراسة موضوعية " والله أسأل أن يوفقني للحق وسواء السبيل، وأن يتقبَّل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه نعم المولى ونعم النَّصير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: أهمية الدراسة:

١- اللجوء إلى الحصن الحصين، والملاذ الأمين، إلى القرآن الكريم، الذي فيه شفاء ورحمة للمؤمنين؛ لنستخلص منه الدواء والعلاج لكل غم وكرب.

٢- عناية القرآن الكريم بموضوع المواساة والتسلية للأنبياء وغيرهم، وتفريج الكرب عن المكروبين.

٣- هذا الموضوع لا يخصُّ فئة من الناس دون غيرهم؛ وإنَّما هو موضوع يعم الجميع؛ فالكلُّ في هذه الدنيا معرض للبلاء والمصائب، والكلُّ في حاجة إلى معرفة ما يُسلي به حزنه، ويُذهب به كربه.

٤- يبرز هذا الموضوع المنهج القرآني الرَّباني في مواساة الأنبياء والمؤمنين، ومن هذا المنهج نسترشد الطريق الأقوم، والسبيل الأمثل لمواساة كل محزون ومكروب.

٥- شدَّة الحاجة في هذا الزمان _ وفي كل زمان _ إلى المواساة وتفريج الكرب؛ ليكون ذلك عوناً للمؤمن على مصائب الدنيا.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في الأجر والثواب من الله تعالى من خلال التدبر في كتابه، وإمعان النظر في آياته، واستخراج الفوائد والإرشادات منه.

٢- الرغبة في الوقوف على ما أواسي به نفسي أولاً، وأهلي وأحبابي وعموم المؤمنين ثانياً من خلال هدي القرآن في المواساة وتفريج الأحزان.

٣- ما نجده اليوم من عزوف كثير من الناس عن كتاب ربهم، الذي فيه دواء لعللهم، وبدلاً من النهل من معينه الصافي، ترى بعضهم يلهث وراء نظريات للغرب لا تمتُّ _ في كثير من الأحيان _ للإسلام بصلة.

٤- تشجيع مشرفي الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح _ حفظه الله _ لطرح هذا الموضوع لما له من أهمية في علاج كثير من قضايا الناس، وهمومهم وكُربهم.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

١- إخراج بحث قرآني موضوعي يتناول موضوع المواساة، وتفريج الكرب بشكل متكامل.

٢- تسليط الضوء على المنهج الرَّباني في المواساة للنبي ﷺ، ولغيره من الأنبياء والرسل؛ ليكون ذلك زادا لكلِّ داعيةٍ إلى الله تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- بيان رفعة و مكانة نبيِّنا محمدٍ ﷺ، من خلال بيان ما حظي به عليه الصلاة و السلام من عناية إلاهية، ومواساة ربانية، تظهر جلية في كثيرٍ من آيات القرآن.

٤- ربط الموضوع بواقع المسلمين في هذا العصر، ومحاولة الإفادة من هذه الدراسة بصورة عملية، وذلك من خلال استنباط الحلول لقضايانا، والعلاج لكُربنا، بما يخفف آلامنا ومصائبنا، في هذه الدنيا.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة، والرجوع إلى المكتبات والدَّوريات والرَّسائل العلمية، وخاصة في مكتبة الجامعة الإسلامية في غزة، وقاعدة بيانات مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، لم أعثر على رسالة علمية محكَّمة تجمع شتات الموضوع كدراسة قرآنية متخصصة، إلا أنَّني عثرت على بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع دراستي ومن ذلك:

* منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع، للدكتور عماد زهير حافظ، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية _ المدينة المنورة، ١٤١٣ ه - ١٩٩٢ م.

* الفرح والحزن في ضوء السُنة النبوية، رسالة ماجستير لنادر وادي، إشراف الدكتور زكريا زين الدين، الجامعة الإسلامية – غزة، ٢٠١٠ م.

وهذه الدراسات تناولت مواضيع قريبة من موضوع دراستي، ولكنها ليست متخصصة في موضوع المواساة وتفريج الكرب، خاصة أن الرسالة الثانية في ميدان السنة النبوية، مع اختلاف العنوان أيضاً.

وكذلك عثرت على بعض المقالات في الصحف والمجلات، ومواقع الشبكة المعلوماتية، وهذه المقالات لم تتناول الموضوع من كل جوانبه كدراسة قرآنية موضوعية متخصصة.

خامساً: منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي حسب منهجية التفسير الموضوعي، وذلك حسب ما يلي:

١- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، مع كتابتها بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها، وذكر أرقامها في متن الدراسة، تخفيفاً عن الحواشي.

٢- الرجوع إلى كُتُب اللغة والمعاجم، للوقوف على معاني المفردات الواردة في الدراسة ودلالاتها اللغوية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- التركيز على جانب التفسير الموضوعي، مع عدم إغفال التفسير التحليلي لآيات الدراسة إن اقتضت الحاجة.

٤- الرُّجوع إلى كتب التفسير بالمأثور وبالرأي، القديم منها والحديث؛ للوقوف على معاني الآيات وأقوال أهل العلم فيها، وكذلك الرُّجوع إلى مراجع ومصادر أخرى لها علاقة بموضوع الدراسة، مع مراعاة الأمانة العلمية في النَّقل والتوثيق، وذكر المراجع في الحاشية، مبتدأ بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، وترك بقية المعلومات عن الكتاب إلى فهرس المراجع.

٥- تقسيم الدراسة _ حسب الآيات المتعلقة بها _ إلى فصول ومباحث ومطالب، ووضع العناوين المناسبة لكل منها حسب ما هو مناسب.

٦- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي لها علاقة بمباحث الدراسة، وتخريجها من مصادرها، ونقل حكم العلماء عليها، وذلك كما يلي:

_ إذا كان الحديث مُخَرَّجاً في الصحيحين، اكتفى الباحث بعزوه إليهما، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.

_ إذا كان الحديث مُخَرَّجاً في غير الصحيحين من كتب السنن ومصنفات الحديث، يقوم الباحث بتخريج الحديث من هذه المصادر مع ذكر حكم بعض العلماء عليه.

_ عدم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

٧- ذكر تراجم للأعلام غير المشهورين، وذلك من المصادر المختصة في ذلك.

٨- عمل الفهارس اللازمة،التي تخدم الدراسة بشكل يسهل الوصول للمعلومة.

سادساً: خطة البحث:

وتحقيقا لهدف البحث وغايته، فقد قسم الباحث الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة

وتشتمل على:

أهمية الموضوع، و أسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: تعريف المواساة، وتفريج الكربات؛ لغة واصطلاحاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الفرق بين المواساة، وتفريج الكرب.

ثالثاً: المواساة وتفريج الكرب في السياق القرآني.

رابعاً: أهمية المواساة وتفريج الكرب، وحث الإسلام على ذلك.

الفصل الأول

منهج القرآن في مواساة النبي ﷺ

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: مواساة النبي ﷺ بذكر من سبقه من الرسل والأنبياء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مواساته ﷺ بذكر قصص الأنبياء السابقين وابتلاءاتهم.

المطلب الثاني: أمره بالصبر تأسيا بالأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثاني: مواساة النبي ﷺ بالقسم على صدقه وصدق ما جاء به.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مواساته بالقسم على صدقه.

المطلب الثاني: مواساته بالقسم على صدق ما جاء به.

المطلب الثالث: مواساته بالقسم على ضلال وخسران مكذبيه.

المبحث الثالث: مواساته ﷺ ببيان عادة المكذبين في التعامل مع رسلهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان تكذيب المكذبين لرسلهم.

المطلب الثاني: بيان استهزاء المكذبين برسلهم.

المبحث الرابع: مواساته ﷺ ببيان سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين، ونصرة المرسلين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر إحاطة علم الله بالمكذبين.

المطلب الثاني: بيان سُنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين.

المطلب الثالث: بيان سُنة الله ﷻ في نصرة المرسلين.

المبحث الخامس: مواساته ﷺ ببيان معية الله له.

وفيه مطلبان:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان حفظ الله لنبيه ﷺ، ورعايته.
المطلب الثاني: بيان منزلته ﷺ عند ربه.

المبحث السادس: مواساته ﷺ بأمره بملازمة الذكر والعبادة.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: أمره بمداومة الصلاة والتسبيح والاستغفار.
المطلب الثاني: أمره بالإكثار من تلاوة القرآن
المطلب الثالث:. أمره بالثبات على العبادة حتى يلقى ربه.

المبحث السابع: مواساته ﷺ ببيان نعم الله عليه وما أعد له من الثواب.
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: بيان مغفرة الله لنبيه ﷺ، وما أعطاه من فضائل في الدنيا.
المطلب الثاني: ثناء الله ﷻ على نبيه ﷺ، وعلى أصحابه الكرام.
المطلب الثالث: بيان ما أعده الله لنبيه ﷺ من الثواب في الآخرة.

الفصل الثاني
نماذج من مواساة القرآن للأنبياء والصالحين وتفريج كربهم

وفيه مبحثان:
المبحث الأول: نماذج من مواساة القرآن للرسل والأنبياء وتفريج كربهم.
وفيه سبعة مطالب:
المطلب الأول: تفريج كربة نبي الله آدم عليه السلام.
المطلب الثاني: مواساة نوح عليه السلام، وتفريج كربته.
المطلب الثالث: مواساة لوط عليه السلام، وتفريج كربه.
المطلب الرابع: مواساة يعقوب ويوسف عليهما السلام وتفريج كربهما.
المطلب الخامس: تفريج كربة أيوب عليه السلام.
المطلب السادس: تفريج كربة يونس عليه السلام.
المطلب السابع: مواساة موسى عليه السلام، وتفريج كرباته.

المبحث الثاني: نماذج من مواساة القرآن للأولياء والصالحين وتفريج كربهم
وفيه أربعة مطالب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: تفريج كربة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: مواساة أم موسى عليه السلام، وتفريج كربتها.

المطلب الثالث: مواساة مريم أم عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: مواساة أصحاب النبي ﷺ وتفريج ما أصابهم من كرب.

الفصل الثالث

منهج القرآن في مواساة المبتلين من المؤمنين وتفريج كربهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج القرآن في المواساة العامة لكل مبتلى مؤمن.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة الدنيا.

المطلب الثاني: ربط قلوب المؤمنين بالحياة الآخرة.

المطلب الثالث: بيان سنة الله ﷻ في الابتلاء.

المطلب الرابع: الأمر بالصبر وبيان ثوابه.

المبحث الثاني: منهج القرآن في تفريج الكربات.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمره بالتوبة واجتناب الذنوب.

المطلب الثاني: أمره بالتقوى والعمل الصالح..

المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ وإحسان الظن به.

المطلب الرابع: تربية نفوس المؤمنين على القناعة والرضا.

المطلب الخامس: التذكير بنعم الله ﷻ.

المبحث الثالث: نماذج من منهجيات القرآن في مواساة وتفريج كرب أصحاب بلاء معين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في مواساة الفقراء وتفريج كرباتهم..

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في مواساة المرضى وتفريج كرباتهم.

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في مواساة اليتامى وتفريج كرباتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً أهم التوصيات.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التـــمـــهـــيـــد

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: تعريف المواساة وتفريج الكربات لغة واصطلاحاً.

ثانياً: الفرق بين المواساة وتفريج الكربات.

ثالثاً: المواساة وتفريج الكربات في السياق القرآني.

رابعاً: مكانة المواساة وتفريج الكربات في الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: تعريف المواساة وتفريج الكربات لغة واصطلاحاً

١ – تعريف المواساة لغة واصطلاحاً:

المواساة لغة: عند الرُّجوع إلى كُتب اللُّغة والمعاجم، نجد أنَّ أصل المواساة من أسا وأسو، وهذان الجذران لهما عدة معان منها:

* أسا الجُرْحَ يَأْسُوه أسْواً وأساً داواهُ وعالَجَهُ، ويُقال: أَسَوْتُ الجُرْحَ فأنا آسُوه أَسْواً، إذا داويته وأَصلحته، والأَسُوُّ الدَّواءُ، والآسِي: الطبيبُ المُعالِجُ. (١)

* وأسا بَيْنهم أَسْواً، أي: أَصلَحَ، ويُقال: كان جَزْءُ بن الحارث (•) من حكماء العرب، وكان يُقال له المُؤَسِّي؛ لأَنَّه كان يُؤَسِّي بين الناس، أي يُصلِح بينهم ويَعْدِل.(٢)

* والإِسْوَةُ، بالكسر وتُضَمُّ هي القدوة، والحالُ التي يكونُ الإنسانُ عليها في اتِّباع غَيْرِه، إنْ حَسَناً وإن قَبيحاً، وإن سارّاً أو ضارّاً، وقد تَأَسَّى به، أي: اتَّبَعَ فعْلَه واقتَدَى به، وفلان يتأسى بفلان: أي يرضى لنفسه ما رضيه، ويقتدي به، وكان في مثل حاله (٣)

* والإِسْوَةُ بالكسر وتُضَمُّ: ما يَأْتَسِي به الحزينُ، وأَسَّاهُ تَأْسِيَةً فتَأَسَّى: عَزَّاهُ فتَعَزَّى، وذلك أَنْ يقولَ له: ما لَكَ تَحْزَن وفلانٌ أُسْوَتُك، أَي أَصابَهُ ما أَصابَكَ فصبَر، فتَأَسَّ به، وآسَيْت فلاناً بمصيبته، إذا عَزَّيته... ووآساهُ بمالِه أنالَه منه، وجَعَله فيه أُسْوة، وتَآسَوْا: آسى بعضُهم بعضاً.(٤)

* وقد جاءَ ذِكْرُ المُواسَاةِ في الحديثِ كثيراً، وهي المُشارَكَةُ والمُساهَمَةُ في المَعاشِ والرِّزْق؛ وأَصْلُها الهَمْزة فقُلِبَت واواً تَخْفيفاً، وفي الحديثِ يقول ﷺ عن أبي بكر ﷺ: **(واسانِي بنفْسِه ومالِه)**(٥) (٦)

---

(١) انظر: لسان العرب _ ابن منظور _ ٨٢/١، تاج العروس_ الزبيدي _ ٧٤/٣٧.

(•) جزء بن الحارث بن جذيمة العبسي، مات أبوه في الجاهلية، وعمه قيس بن زهير _ رئيس بني عبس في زمانه_ مات في الجاهلية أيضاً، قال ابن حجر: وأمَّا جزء هذا فلم أر من ذكره في الصحابة، وقد أدرك النبي ﷺ (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر العسقلاني _ ٥٣٥/١)

(٢) انظر: القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ١ /١٦٢٦، تهذيب اللغة _ الأزهري _ ١٣ /١٤٠.

(٣) انظر: لسان العرب _ابن منظور _ ١ /٨٣.

(٤) انظر: تاج العروس _ الزبيدي _ ٢٧ / ٧٥ .

(٥) البخاري _ كتاب فضائل الصحابة_ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً _ ١ /١٠١_ ح ٤٦٧.

(٦) انظر : لسان العرب _ ابن منظور _ ١ /٨٣، تاج العروس _ الزبيدي _ ٣٧ /٧٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة: ممَّا سبق نخلص إلى أنَّ المواساة في اللُّغة تُطلق على كلِّ ما فيه إعانة للمصاب على مصيبته، سواءً كانت هذه الإعانة معنوية _ من تعزية وتصبير وكلام طيب _ أم كانت مادية كالإعانة بالمال والمشاركة في الرزق والمعاش.

المواساة اصطلاحاً: يقول ابن الأثير: " المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق وأصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفاً " (١).

وعرَّفها ابن مسكويه فقال: " وأما المواساة فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات " (٢).

وعند غيرهم: المواساة مشاركة نحو الأصدقاء والأقارب فيما بيده من نحو مال(٣)، والمواساة أن ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه (٤).

وذكر ابن حجر المراد بالمواساة فقال: " المراد بالمواساة المشاركة في المال بغير مقابل، والمواساة أنَّ يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء " (٥)

وبهذا يمكن أن تعرَّف المواساة بأنَّها كلُّ ما فيه تخفيف عن المصاب أو المكروب؛ سواء كان ذلك التخفيف بالإعانة والمُشاركة المادِّية، أو كان بالأمور المعنوية من تسلية وتصبير، وعلى هذا فالتعريف الاصطلاحي للمواساة لا يختلف عن التعريف اللغوي لها

٢ – تعريف تفريج الكربات لغة واصطلاحاً:

تفريج الكربات لغة: التفريج أصله فَرَجَ، وفَرَّجَ بمعنى كشف وأذهب، فَرَجَ الله الغَمَّ، يَفْرِجه بالكسر كشَفَه، كَفَرَّجَه مشدّداً، فانفرَجَ وتَفَرَّجَ، والفَرَجُ: ذّهابُ الغَمِّ. (٦)

أما الكُرُبات: فهي جمع كُرْبة، وهو جمع غير مشهور، والجمع المشهور هو: الكُرَب أو الكُرُوب، والكُربة والكَرب بمعنى واحد وهو الحُزن الذي يأخذ بالنفس، وكربه الأمر يكربه كرباً فهو مكروب والاسم الكربة، واكترب لذلك اغتم، والكَرائِبُ الشدائدُ الواحدةُ كَرِيبة.(٧)

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر _ ٥٠/١

(٢) تهذيب الأخلاق _ ٧/١ .

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف _ محمد عبد الرؤوف المناوي _ ٦٨٢/١ .

(٤) انظر: التعريفات _ علي بن محمد الجرجاني _ ٣٠٤/١ .

(٥) فتح الباري _ ٢٣/٥.

(٦) انظر: القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ١ / ٢٥٧، العين _ الخليل بن أحمد الفراهيدي _ ٦ /١٠٩.

(٧) انظر: لسان العرب _ ابن منظور _ ٥ /٣٨٤٥، المعجم الوسيط _ مجمع اللغة العربية _ ٢ /٧٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفريج الكربات اصطلاحاً: يقول الصنعاني _ رحمه الله _ : " وتفريجها (أي الكربة من كرب الدنيا) إمَّا بإعطائه من ماله إن كانت كربته من حاجة، أو بذل جاهه في طلبه له من غيره، أو قرضه، وإن كانت كربته من ظلم ظالم له فرَّجها بالسعي في رفعها عنه، أو تخفيفها، وإن كانت كربة مرض أصابه أعانه على الدَّواء إن كان لديه، أو على طبيب ينفعه، وبالجملة تفريج الكرب باب واسع، فإنه يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد أو تخفيفه " [١]

ويمكن أن يُعرَّف مصطلح تفريج الكربات بأنَّه إزالة ما يجده المصاب من شدة وضيق، وذلك بكل ما يمكن أن يُزِيل كربته، من أمور مادية أو معنوية.

ونلاحظ من ذلك أن التعريف الاصطلاحي لتفريج الكُرَب يتضمن معنى واسع يدخل تحته كل ما فيه إعانة للمحتاج، سواء كانت هذه الإعانة مادية أم معنوية.

يقول ابن القيم _ رحمه الله _: " المواساة للمؤمن أنواع: مواساة بالمال ومواساة بالجاه ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوي قويت وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كلِّه "[٢]

ويقول الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _: " وتفريج الكربات يكون في أمور متعددة، إن كانت كربة مالية، فبإعطائه المال الذي تزول به الكربة، وإن كانت كربة معنوية، فبالحرص على رد معنويته، ورد اعتباره حتى تزول عنه الكربة، وإذا كانت كربة هَمّ وغَمّ، فبأن توسِّع عليه، وتنفس له، وتبيِّن له أنَّ الأمور لا تدوم، وأنَّ داوم الحال من المحال، وتبيِّن له ما في هذا من الأجر والثواب العظيم حتى تهون عليه الكربة " [٣]

---

(١) سبل السلام _ ١٦٨/٤.

(٢) الفوائد _ ص ١٧١.

(٣) شرح رياض الصالحين _ ٢٦٧/١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الفرق بين المواساة وتفريج الكربات

من خلال التأمل في تعريف مصطلح المواساة ومصطلح تفريج الكربات يمكن لنا أن نخلص إلى ما يلي:

١- مصطلح (تفريج الكربات) أوسع وأشمل من مصطلح (المواساة)، فالأخير يدخل تحت الأول، فكل مواساة هي تفريج للكرب، وليس كل تفريج مواساة.

٢- تطلق المواساة في كثير من الأحيان ويراد بها الإعانة المادية فقط؛ من إعانة بالمال والمعاش، وقد تُطلق ويُراد بها الجانب المعنوي فقط، فتكون بمعنى التعزية والتسلية والتصبير، أما مصطلح (تفريج الكربات) فلا يطلق ويراد به معنى خاص؛ إنَّما يَحمل دائما المعنى العام للتفريج.

٣- في بعض الأحيان يتوجب علينا صرف معنى المواساة إلى التسلية والتصبير فقط، ولا يجوز أن تصرف إلى معنى الإعانة المالية المادية؛ وذلك لأن السياق يقتضي ذلك، كأن تُذكر المواساة في سياق ذكر مواساة الله ﷻ لنبيِّه محمد ﷺ، أو لغيره من الأنبياء، فلا يُحمل معنى المواساة هنا إلا على معنى التسلية والتصبير.

ثالثاً: المواساة وتفريج الكربات في السياق القرآني

لم ترد لفظة (المواساة) في السياق القرآني، وكذلك مصطلح (تفريج الكربات)؛ ولكن ورد في القرآن الكريم لفظة (كرب)، وذلك في أربعة مواضع، في الموضع الأول وردت بدون تعريف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، وفي المواضع الثلاث الأخرى وردت بالتعريف؛ وذلك في سورة الأنبياء في قوله تعالى:﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الأنبياء: ٧٦]، وفي سورة الصافات، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الصافات: ١١٤ – ١١٥] (١).

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ص١٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن من خلال التأمُّل في كتاب الله ﷻ، والتفكر في آياته، نلحظ أنَّ القرآن العظيم في كثير من آياته قد اعتنى عنايةً كبيرةً بموضوع المواساة وتفريج الكربات؛ بألفاظ وأساليب مختلفة ومتعددة، ويمكن أن نقسِّم تناول القرآن لموضوع المواساة وتفريج الكُرَب كما يلي:

١. مواساة النبي ﷺ: حيث إنَّ كثيراً من آيات المواساة _ أكثر من أربعين آية _ كانت موجهة لشخص النَّبي ﷺ، وفي هذا بيان لعظم قدره ﷺ عند ربِّه ﷻ، وقد جاءت هذه المواساة في صور متعددة وأساليب مختلفة؛ فتارة تأتي بصيغة النَّهي عن الحزن (لا تحزن، لا يحزنك، لا تأس)، وتارة تأتي بصيغة النَّهي عن ذهاب النفس تحسراً ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ..﴾ [فاطر: ٨]، وتارة تأتي بصيغة الأمر بالصبر (واصبر، فاصبر)، وفي أحيان كثيرة تكون هذه المواساة بذكر من سبق من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وذكر ما تعرضوا له من الأذى والاضطهاد خلال مسيرتهم الدَّعوية، وذكر مواقف المكذبين من دعوة رسلهم؛ ليكون في ذلك كلِّه مواساة وتسلية للنبي محمد ﷺ.

ومن مواساة القرآن للنبيِّ ﷺ أيضاً القسم على صدقه وصدق ما جاء به، وبيان مُهمَّته في التبليغ والإنذار وعدم مطالبته بالنتائج، وكذلك ببيان ما أعد الله له من الأجر والثواب في الآخرة، وغير ذلك من صيغ وأساليب المواساة، وهذا ما سيتناوله الباحث _ بإذن الله _ في الفصل الأول من هذه الدراسة.

٢. مواساة الأنبياء السابقين وتفريج كربهم: وهذا كثيرٌ في كتاب الله ﷻ، ففي سياق سرد القرآن لقصص الأنبياء نجد ما يشير إلى مواساتهم بأساليب مختلفة؛ كالأمر بالصبر، والنهي عن الحزن، وبيان سنة الله ﷻ في نُصرة المرسلين وإهلاك المكذبين، وكذلك بيَّنَ لنا القرآن العظيم كيف كان تفريج كروب المرسلين عليهم الصلاة والسلام؛ كتفريج كَرب نوح عليه السلام، وتفريج كَرب يونس عليه السلام، وكذلك تفريج كروب يعقوب ويوسف وأيوب وموسى وهارون وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا ما سيتناوله الباحث في الفصل الثاني من الدراسة _ إن شاء الله تعالى _.

٣. مواساة المبتلين وأصحاب الهُموم والكُرَب وتفريج كربهم: حيث نلحظ من خلال التأمل في آيات كتاب الله ﷻ أنَّ هذا القرآن فيه الشفاء والدَّواء من كلِّ هَمٍّ وكربٍ وغَمٍّ، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ... ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه:﴿...قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ... ﴾[فصلت: ٤٤]؛ فنجد في القرآن الكريم أعظمَ منهج لمواساة المحزونين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكروبين، ونجد فيه أعظم منهج وأسلم طريق لتفريج الكروب وإزالة الهموم والغُموم، ففي القرآن آيات فيها مواساة عامَّة لكل مهموم ومكروب، وهناك آيات فيها الإرشاد إلى وسائل إذهاب الهموم وتفريج الكُرَب، كذلك نجد في كتاب الله ﷻ عناية خاصة لأصحاب الكرب العظيمة، كالمرضى والأيتام والمطلقات ومن ضُيق عليهم في الرزق... وغيرهم من أصحاب البلايا، نجد منهجاً عظيماً في مواساتهم، ونجد منهجاً سديداً في رعايتهم وتفريج كربهم، وسيتناول الباحث الحديث عن ذلك في الفصل الأخير من هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

رابعاً: مكانة المواساة وتفريج الكربات في الإسلام

لقد أنزل الله ﷻ القرآن لتسعد به البشرية في الدنيا والآخرة، وليحيا الناس في ظله حياة مطمئنة آمنة، لذا لم يترك الإسلام باباً من أبواب الخير والنفع إلا دلَّ عليه، ورغَّب فيه، وأمر بالمسارعة إليه، ولم يترك باباً فيه شر أو ضر إلا نبه عليه، وحذر منه، ونهى عن ولوجه، فالإسلام دين حياة يراعي المصالح، ويدرأ المفاسد، ويسد الذرائع، فمتى طبق الإسلام وتمسكت به البشرية وعملت به على الوجه الذي يريده ربُّها، كان الفوز والفلاح في الدارين.

وإنَّ من مفاخر الإسلام أن تعاليمه مبنية على الرحمة والرأفة، وتشريعاته تقوم على المواساة، وجبر الخاطر، وتفريج الكُرَب، وإيناس الوحشة، وعزاء المصاب وتهوين الفاجعة، وهذا لا يخفى على الناظر _ للوهلة الأولى _ إلى ما جاء به الإسلام من عبادات ومعاملات وآداب، فكل ذلك مبنيٌ على المواساة بين أفراد المجتمع المسلم؛ فالزكاة والصدقة والإنفاق والتبرع لا يخفى ما فيها من مواساة، وبُر الوالدين وصلة الأرحام وإيتاء ذي القربى حقه والإحسان إلى الجار وإكرام الضيف وعيادة المريض... كل هذا من المواساة؛ بل صلاة الجماعة والصيام والحج فيها من معاني المواساة والشعور بمشاعر الآخرين الشيء الكثير، فالإسلام كلُّه مواساة وتعاون، ولا يكون الإنسان مسلماً مؤمناً إلا إذا كان لأخيه مكملاً (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**)[1]، ويحب له ما يحب لنفسه (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) [2]

ولقد اهتم الإسلام بخلق المواساة وتفريج كرب الآخرين اهتماماً بالغاً وحثَّ أفراده عليه حثاً عظيماً؛ بل وجعله من أوسع الأبواب التي يصل من خلالها المسلم إلى مرضاة ربه والفوز

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب تراحم المؤمنين _ ح٦٧٥٠ .

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الإيمان _ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه _ ح١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بجنةٍ عرضها السماوات والأرض، ونلحظ ذلك جلياً في كتاب الله ﷻ، وفي سُنة رسول الله ﷺ؛ فلقد حثَّ القرآن الكريم على التعاون بين أبناء المجتمع الواحد، قال سبحانه:﴿...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ...﴾[المائدة: ٢]، وما أكثر الآيات التي توصي بالبرِّ والإحسان إلى ذوي القربى والضُّعفاء والمساكين وابن السبيل واليتامى، وذلك في القرآن كلِّه، مكيِّه ومدنيِّه، قال الله ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه:﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: " هذا أمر الله للعبد المؤمن بإيتاء قرابته حقوقهم من البرِّ والصلة، وكذا المساكين، وهم الفقراء الذي مسكنتهم الفاقة، وأذلهم الفقر، فهؤلاء أمر تعالى المؤمن بإعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه " (١)

ومن هذه الآيات أيضاً قوله سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وما أكثر ما نجد في كتاب الله ﷻ من مدح وثناء على أولئك المؤمنين العظام الذين يبادرون إلى مواساة إخوانهم ومد يد العون لهم في السراء والضراء قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال سبحانه:﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٧ – ٩]؛ بل ويصل بهم الأمر إلى أكثر من ذلك حين يقدمون مصلحة إخوانهم على مصلحة أنفسهم، وهذا هو خلق الإيثار قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ ١٨٨/٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكيف لا تكون تلك المبادرة العظيمة من المؤمنين لنُصرة إخوانهم وتفريج كربهم وقد وعدهم الله ﷻ بعظيم الأجر والثواب ورغبهم فيه ترغيباً عظيماً فقال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، وقال أيضاً: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[الإنسان: ١١ – ١٤]

بل إنَّ الله سبحانه قد بيَّن أنَّ صفة الأنانية وحب الذات وعدم نفع الآخرين، هي من صفات الكفار والمنافقين، الذين ليس في قلوبهم رحمة، قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[الفجر: ١٧ – ٢٠]، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧]، وبيَّن سبحانه أنَّ من أسباب الخسران يوم القيامة عدم الإحسان إلى الضعفاء والمساكين والإعراض عنهم، قال ﷻ حكاية عن الذي أُوتي كتابه بشماله: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة: ٣٠ – ٣٧]

ثم جاءت السُنَّة النبوية المطهرة _ المصدر الثاني للتشريع في الإسلام _ جاءت لتؤكد ما أتى به القرآن الكريم، ولتجلِّي الأمر أعظم تجلية، فلا يبقى بعد ذلك مسلم متمسك بدينه إلا وتحدثه نفسه دائماً بالمبادرة إلى إعانة الآخرين وتنفيس كربهم، كيف لا وقد بيَّن الرسول ﷺ أنَّ ذلك العمل الجليل قد جعل الله ﷻ جزاءه من جنسه كما جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)** [1].

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يواسيه ويعاونه ويكون معه في السراء والضراء فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا**

---

(١) صحيح مسلم_ كتاب الذكر والدعاء_ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر _ ٨/٧١ _ ح٧٠٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ (•) وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ) (١).

وإذا رأى المسلم في أخيه الحاجة والعوز أوجب عليه الإسلام أن يبادر إلى مقاسمة أخيه في طعامه ومتاعه _ وهذا أصل من أصول المواساة _ ففي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ فِى سَفَرٍ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ)** (٢).

ولذلك مدح النبي ﷺ الأشعريين مدحاً عظيماً حيث كانوا مثالاً رائعاً للمواساة وتقاسم المتاع في وقت الشدة والعوز، فعَنْ أَبِى مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا (•) فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُمْ)** (٣).

ومن شدة اهتمام الإسلام بالمواساة وتفريج كرب المسلمين أنّ النبي ﷺ بيَّن أنَّ إدخال الفرح والسرور على المسلمين، وإزالة الهم والكرب عنهم _ وهذا من أرفع معاني المواساة _ هو أحب الأعمال إلى الله ﷻ، وأحب الناس إلى الله ﷻ هو الذي ينفع الناس، فقد جاء في الحديث عن بن عمر ﷺ أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ﷻ ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو**

(•) هكذا وردت في رواية مسلم (فسمته) وفي الرواية المشهورة فشمته، قال ابن حجر: " قال الخليل وأبو عبيد وغيرهما: يقال بالمعجمة وبالمهملة، وقال بن الأنباري: كل داع بالخير مشمت بالمعجمة وبالمهملة، والعرب تجعل الشين والسين في اللفظ الواحد بمعنى "

(١) صحيح مسلم _ كتاب السلام _ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام _ ٣/٧ _ ح٥٧٧٨.

(٢) صحيح مسلم _ كتاب اللقطة _ باب استحباب المؤاساة بفضول الأموال _ ١٣٨/٥_ ح٤٦١٤.

(•) أرملوا: بمعنى نفد زادهم، يقال: أرمل الرجل إذا ذهب زاده (انظر: غريب الحديث _ ابن الجوزي _ ٤١٥/١)

(٣) صحيح البخاري _ كتاب الشركة _ باب الشركة في الطعام والنهد والعروض _ ١٣٨/٣_ ح٢٤٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد _ يعني مسجد المدينة _ شهراً) [1]

والخلاصة أنَّ دين الإسلام هو دين الرَّحمة والتعاون والمواساة، ينفع فيه المسلم أخاه المسلم بكل ما يستطيع، ويسعى لمعونته وتفريج شدَّته وكربه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، والقرآن العظيم زاخرٌ بالآيات التي تحثُّ على ذلك وترغِّب فيه.

(١) المعجم الأوسط للطبراني _ ١٣٩/٦_ ح٦٠٢٦، وحسنه الألباني (انظر: صحيح الترغيب والترهب _ ٢٣١/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

منهج القرآن في مواساة النبي ﷺ

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: مواساته بذكر من سبقه من الرسل والأنبياء.

المبحث الثاني: مواساته بالقسم على صدقه وصدق ما جاء به.

المبحث الثالث: مواساته ببيان عادة المكذبين في التعامل مع رسلهم.

المبحث الرابع: مواساته ببيان سُنَّة الله ﷻ في إهلاك المكذبين ونصرة المرسلين.

المبحث الخامس: مواساته ببيان معية الله ﷻ له.

المبحث السادس: مواساته بأمره بملازمة الذِّكر والعبادة.

المبحث السابع: مواساته ببيان نِعَم الله ﷻ عليه وما أعد له من الثواب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين يدي الفصل:

إنَّ القارئ لكتاب الله ﷻ بتدبر وتفكر وإمعان نظر يلحظ _ دون عناء _ أنَّ كثيراً من آيات القرآن فيها مواساة وتسلية للنبي محمد ﷺ، ويلحظ أيضاً أن هذه المواساة لم تأتِ على نمط واحد أو على صورة مطردة؛ وإنما جاءت هذه المواساة بأساليب مختلفة وطرق متعددة: فتارة تكون بذكر قصص الأنبياء السابقين وما تعرضوا له من التكذيب والأذى؛ لتكون فيهم الأسوة الحسنة لرسول الله ﷺ، وتارة تكون ببيان سنن الله ﷻ في نصرة المرسلين وإهلاك المكذبين المعاندين، وتارة تكون بأمر الرسول ﷺ بالصبر، وبيان ما أعد الله له من المكانة والأجر العظيم يوم القيامة... إلى غير ذلك من أساليب المواساة والتعزية التي جاء بها القرآن الكريم لمواساة خاتم المرسلين.

يقول الزرقاني: " وتجيء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين التي لها في القرآن عرض طويل وفيها يقول الله ﷻ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:١٢٠] ، وتارة تجيء التسلية عن طريق وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ كما في قوله سبحانه في سورة الطور: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[الطور: ٤٨]... ونحو ما في سورتي الضحى وألم نشرح من الوعود الكريمة والعطايا العظيمة... وطورا تأتيه التسلية عن طريق إبعاد أعدائه وإنذارهم نحو قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥]، وقوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]، وطوراً آخر ترد التسلية في صورة الأمر الصريح بالصبر نحو قوله جل شأنه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[الأحقاف: ٣٥]، أو في صورة النهي عن التفجُّع عليهم والحزن منهم. نحو قول الله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[فاطر: ٨]، ونحو قوله سبحانه في خواتم سورة النحل:﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧] "[1].

كلُّ هذه المواساة والتعزية والتصبير له ﷺ _ والتي لم يحظَ بها نبيٌ من قبل _ تدل دلالة واضحة وعظيمة على علو منزلته ﷺ عند ربه ﷻ ورفعة مكانته وجليل قدره، وتدل كذلك على

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن _ ٤٩/١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عظم المهمة الملقاة على كاهله، وعظم التكليف الذي أُنيط به، وثقل الرسالة العالمية الخاتمة التي أمر ﷺ بتبليغها على أكمل وجه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[المزمل: ٥].

ولمَّا كان طريقه ﷺ هو الطريق الذي سيسلكه جميع الدعاة والمصلحين إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولا بدَّ لكلِّ داعية ومصلح من أمور تُسليه وتُصبره وتُعينه على مواصلة طريق الدعوة الشائك المليء بالعقبات والمصاعب؛ لأجل ذلك كانت التسلية القرآنية للنبي ﷺ تسلية لكلِّ من سار على هديه واقتفى أثره وسلك طريقه في الدعوة والإصلاح وتبليغ دين الله ﷻ، لذا كان من الجدير بالعناية والدراسة والتأمل الوقوف على المنهج القرآني في مواساة وتسلية النبي ﷺ؛ حتى يكون هذا المنهج نبراساً لكل الدعاة إلى يوم الدين، ومصباحاً يُستنار به الطريق، وزاداً عظيماً لكل من أراد سلوك طريق الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لذلك أحببت أن يكون الفصل الأول من هذه الرسالة خاصاً بمواساة القرآن للنبي العدنان ﷺ، وقد حاولت جاهداً استقصاء هذا المنهج القرآني من خلال التدبُّر في آيات الكتاب العزيز فكان هذا الفصل في سبعة مباحث، والله المستعان وعليه التكلان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

مواساة النبي ﷺ بذكر من سبقه من الرسل والأنبياء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مواساته بذكر قصص الأنبياء السابقين وابتلاءاتهم.

المطلب الثاني: أمره بالصبر تأسياً بمن سبقه من الرسل والأنبياء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين يدي المبحث:

إنَّ من أعظم وسائل المواساة، ومن أنجح طرقها، ذكر أحوال أقوام حالهم كحال المُبتلى؛ فيشعر المُبتلى بالمشاركة والأنس فهو ليس وحيداً في الميدان؛ بل معه أخوة أصابهم ما أصابه ونالهم ما ناله، وهذا أمر طبيعي فطري، جعله الله سبحانه في كل إنسان، وقد أقر القرآن الكريم هذا المنهج للمواساة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ [النساء: ١٠٤]، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ٢١٤]، بل حتى في جانب العبادة نجده سبحانه يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفي شأن مواساة القرآن النبي ﷺ نجد هذا المنهج في كثيرٍ من الآيات، يقول الشيخ مصطفى العدوي عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ [القمر: ٩]: " الآية في مطلعها تحمل مواساة لرسول الله ﷺ، وتسلية له وتصبيراً، فإن الشخص إذا ابتلي بابتلاء من الابتلاءات وشاركه فيه غيره هانت عليه بلواه، وهانت عليه مصيبته، كما قالت الخنساء[1] وهي ترثي أخاها صخراً:

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس معهم بالتأسي[2]

ولذلك كثر التذكير بأخبار الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ، وذلك لتصبيره ﷺ، فمن ذلك قول الله ﷻ له: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ..﴾[الأنعام: ٣٤]، وفي الآية الأخرى قال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ، فهذا من أنواع

---

(١) هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو السلمية، أرقى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب. وأخواها معاوية وصخر، فلما قتلا جزعت عليهما جزعاً شديداً، وبكتهما بكاءً مراً، وكان أشد وجدها على صخر: لأنه شاطرها هي وزوجها أموالها مراراً، ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي ﷺ، وأسلمت وكان يعجبه شعرها، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم، وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعاً، فقالت : الحمد الله الذي شرفني بقتلهم، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها، وتوفيت سنة ٢٤هـ (الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر العسقلاني _ ٦١٤/٧) .

(٢) هذا البيت من قصيدة الخنساء في رثاء أخيها صخر، والتي مطلعها :

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى (جواهر الأدب _ أحمد الهاشمي _ ٣٢٣/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواساة التي يواسي ربنا سبحانه بها عباده ورسله، ويصبِّرهم بها، وهذا منهج من مناهج التصبير، وقد كان الرسول ﷺ يصبر نفسه بهذا المبدأ، ومن ذلك أنه لمَّا أوذي ﷺ قال: **(رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)**[1] "[2]

المطلب الأول

مواساته ﷺ بذكر قصص الأنبياء السابقين وابتلاءاتهم

بدأ القرآن الكريم بذكر قصص الأنبياء السابقين منذُ المراحل الأولى للدَّعوة، فكان بذلك منهج التصبير والمواساة _ بذكر أخبار الأنبياء السابقين _ من المناهج الأولى لتسلية النبي ﷺ؛ بل يكاد هذا المنهج يتركز في تلك المراحل الأولى (العهد المكي)، ويقل في المراحل المتأخرة من مراحل الدعوة (العهد المدني)، فنجد أن أغلب ما قصَّه القرآن الكريم من قصص الأنبياء إنَّما هو في القرآن المكي، حتى إنَّ العلماء جعلوا ورود القصص في السورة القرآنية من علامات مكيَّة هذه السورة، فذكروا أنَّ كلَّ سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم السابقة فهي مكية سوى سورة البقرة [3]

وقد بيَّن العلماء أنَّ للقصص القرآني أغراضاً عظيمة أرادها الله ﷻ، وذكروا من هذه الأغراض: تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة المحمدية علي دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحقِّ وجنده، وخذلان الباطل وأهله ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود: ١٢٠] [4].

وقد جاءت آيات كثيرة _ في سورٍ متعدِّدَةٍ من كتاب الله ﷻ _ تُذَّكرُ النبيَّ ﷺ بإخوانه المرسلين السابقين عليهم السلام، وتدعوه إلى ذكر أخبارهم وابتلاءات الله ﷻ لهم، وذكر تجاربهم مع أقوامهم ليتسلَّى ويتأسَّى بهم ﷺ، فعلى سبيل المثال في سورة ص أمر الله ﷻ نبيه محمَّداً ﷺ بذكر جماعة من الأنبياء؛ ليكون ذكرهم مسلياً ومصبراً له ﷺ، فبدأ بأمره بِذِكر داود

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب فرض الخمس _ باب فرض الخمس _ ٩٥/٤ _ ح٣١٥٠.

(٢) سلسلة التفسير _ مصطفى العدوي _ درس رقم ٤٣ (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.net)

(٣) انظر: مناهل العرفان _ الزرقاني _ ١٦٢/١، مباحث في علوم القرآن _ مناع القطان _ ص٥٩.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن _ مناع القطان _ ص٣٠١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۞ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۞ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۞ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾[ص: ١٧ – ٢٠]، ثم يذكر سليمان عليه السلام ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۞ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾[ص: ٣٤ – ٤٠]، وبعد ذلك أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بذكر أيوب عليه السلام فقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۞ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۞ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۞ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[ص: ٤١ – ٤٤]، ثم أمره بذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۞ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ – ٤٧]، وختم سبحانه ذلك بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨]

إنَّها الإشارة إلى الطريق المطروق في حياة الرسل عليهم صلوات الله، الطريق الذي يضمهم أجمعين، فكلُّهم سار في هذا الطريق. كلُّهم عانى، وكلُّهم ابتلي، وكلُّهم صبر، وكان الصبر هو زادهم جميعاً، وطابعهم جميعاً... لقد كانت حياتهم كلُّها تجربة مليئة بالابتلاءات... والله ﷻ يوجِّه نبيَّه ﷺ إلى الصبر، كما صبر إخوانه المرسلون، فله فيهم خير أسوة، وأفضل قدوة. (١)

ومن أكثر قصص الأنبياء ذكراً وتفصيلاً في القرآن الكريم، قصة نبيِّ الله نوح عليه السلام، وقصة نبيِّ الله موسى عليه السلام، ولعلَّ ذلك لكثرة ما تعرضا له من التكذيب والصدِّ والأذى من أقوامهم؛ فنوح ﷻ لبث في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، واستخدم معهم كل أساليب الدعوة، وبذل كل جهده وحياته من أجل دعوتهم، وقد سطَّر ربُّنا ﷻ في كتابه العزيز ما كابده نوح عليه السلام مع قومه، وذلك في العديد من سور القرآن(٢)؛ بل أنزل سبحانه سورة كاملة من سور

---

(١) انظر : في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٢٠٦/٦ .

(٢) ورد اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين مرة في ثلاثين سورة، وذكرت قصة نوح عليه السلام مع قومه في عشر سور من سور القرآن الكريم ؛ ذكرت بصورة موجزة في سبع منها، وذكرت بصورة مفصلة في ثلاث سور (هود، المؤمنون، نوح) (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ٢٧٣/١، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن تحمل اسم نبي الله نوح عليه السلام، بيَّن فيها ربُّنا سبحانه دعوة نوح لقومه، وصبره عليه السلام على أذاهم وتكذيبهم وعنادهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۞ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۞ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۞ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾[نوح: ١ – ٩]

أمَّا رسول الله موسى عليه السلام، فله تجربةٌ طويلةٌ مع فرعون وحزبه، ثم مع بني إسرائيل؛ حيث إنَّه عليه السلام جرَّبهم وخاض معهم غمار الدعوة والتوجيه والإرشاد، ولقد جاء على لسانه في حديث المعراج قوله لنبينا محمد ﷺ: (**أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ**) [(١)]، وفي رواية أخرى: (**فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ**) [(٢)]، لذا نجد كثرة ذكر أخباره عليه السلام في القرآن الكريم مكيِّه ومدنيِّه [(٣)].

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري _ رحمه الله _ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [طه: ٩]: " يقول ﷻ لنبيِّه محمدٍ ﷺ، مسلياً له عمَّا يلقى من الشدّة من مشركي قومه، وحاثاً له على الجدّ في أمره، والصبر على عبادته، اذكر أخاك موسى عليه السلام، وما نابه من فرعون وقومه، ثمَّ من بني إسرائيل، وما لقي في ذلك من البلاء والشدة " [(٤)].

ومن أشهر سور القرآن الكريم التي ذكرت قصص وأخبار الأنبياء السابقين: سورة الأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والحجر، والأنبياء، وطه، والمؤمنون، والشعراء، والنمل،

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب بدء الخلق _ باب ذكر الملائكة _ ٤/١١٠_ ح٣٢٠٧

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات_١/٩٩ _ ح٤٢٩

(٣) ورد اسم موسى عليه السلام في القرآن الكريم مائة وواحداً وثلاثين مرة في أربع وثلاثين سورة، وذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون في العديد من السور ؛ حيث ذكرت في بعض منها بالتفصيل (وهي : الأعراف، يونس، طه، الشعراء، النمل، القصص) وفي البعض الآخر بإيجاز، كذلك ذكرت بعض السور قصص وأحداث من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل (انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ١/٢٧٣، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي).

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ابن جرير الطبري _ ١٨/٢٧٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقصص، والصافات، وص، والقمر، ونوح، وسور أخرى ذكرت مواقف وأحداث من قصص الأنبياء عليهم السلام.

وقد قال الله تعالى في خاتمة إحدى هذه السور: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]، يقول ابن كثير _ رحمه الله _: " يقول تعالى: وكلٌّ أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أُمَمِهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمَّد؛ ليكون لك بمن مضى من إخوانك المرسلين أُسوةٌ، وقوله: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء، وكيف أنجاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلك الكافرين " (١)

وقد جاءت هذه الآية الكريمة في أواخر سورة هود عليه السلام؛ تلك السورة التي اشتملت على قصة نوح عليه السلام مع قومه، وقصة هود عليه السلام مع قومه، وقصة صالح ولوط وشعيب _ عليهم السلام _ مع أقوامهم، وجانب من قصة إبراهيم عليه السلام، كما اشتملت على جانب من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه، فكأن هذه الآية تلخيص لما مضى من قصص، وبيان للحكمة الربانية العظيمة من إيرادها في كتاب الله عز وجل.

وبهذا يمكن للمتأمل في كتاب الله عز وجل أن يقول إنَّ التذكير بأخبار الأنبياء السابقين وابتلاءاتهم هو منهج عظيم من مناهج مواساة القرآن الكريم للنبي ﷺ.

المطلب الثاني

أمره ﷺ بالصبر تأسياً بمن سبقه من الرسل والأنبياء

ورد الأمر الصَّريح بالصبر موجهاً لشخص النبي ﷺ في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً (٢)؛ يأتي هذا الأمر أحياناً بعد ذكر شيءٍ من قصص الأنبياء، وأحياناً بعد بيان مصير

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ٤٩١/٧ .

(٢) ورد الأمر بالصبر موجهاً للنبي ﷺ بعدة ألفاظ : ورد بلفظة (اصبر) مرة واحدة في سورة ص . وبلفظة (فاصبر) أحد عشر مرة في عشر سور، وبلفظة (واصبر) ست مرات في ست سور؛ أما الأمر بالاصطبار فقد ورد مرتين موجهاً للنبي ﷺ : مرة في سورة مريم، ومرة في سورة طه (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ص ٢٧٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكذبين وما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة، وأحياناً أخرى يأتي بعد عدة أوامر موجهة لـه ﷺ كاتباع الوحي، والاستقامة على أمر الله ﷻ، وعدم الرُّكون إلى الذين ظلموا، وإقام الـصلاة...، وسيقتصر الحديث في هذا المطلب على أمر النبي ﷺ بالصبر تأسياً بمـن سـبقه مـن الأنبيـاء والمرسلين؛ أما المواضع الأخرى التي ورد في سياقها الأمر بالصبر فـسيتناولها الباحـث فـي المطالب المناسبة لها بإذن الله ﷻ.

ومن أبرز المواضع التي ورد فيها أمر النبي ﷺ بالصبر، ما ورد في سورة هـود بعـد ذكرٍ مطولٍ لقصة نوح عليه السلام مع قومه، حيث قـال تعـالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[هود: ٤٩]

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمّدٍ ﷺ: هذه القصة التي أنبأتك بها من قـصة نوح عليه السلام وخبره وخبر قومه ﴿ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها، ﴿ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ يقول: نوحيها إليك لتعرفها، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ ﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح،﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ إنَّ الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأدَّى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤمِّلون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا، كما كانت عاقبة نوح عليه السلام إذ صبر لأمر الله أنْ نجَّاه الله ﷻ مع من آمن معه، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وأغرق المكذِّبين برسالته، فـأهلكهم جميعهم " (١)

والآية السابقة تعقيب حكيم على قصة نوح عليه السلام، قصد بـه الامتنـان علـى النبـي ﷺ والموعظة، والتسلية؛ فالامتنان نراه في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾، والموعظة نراها فى قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾، والتسلية نراهـا فـي قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

وقد ذكر الله ﷻ لنبيه محمَّدٍ ﷺ صبر إخوانه من الرسل والأنبياء قبله، وتحمُّلَهم للتكذيب والأذى من أقوامهم؛ ليكون فيهم خير أسوة له ﷺ، وليعلم أنه ليس وحيداً في هذه الطريق، وفـي

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٣٥٦/١٥ .

(٢) انظر : التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٢١٧/٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا من المواساة العظيمة ما لا يخفى. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الأنعام: ٣٤]

يقول ابن عطية: " هذه الآية تضمنت عرض الأسوة _ التي ينبغي الاقتداء بها _على محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ، وترجيته أن يأتيه مثل ما أتاهم من النصر إذا امتثل ما امتثلوه من الصبر، ثم قوى ذلك الرجاء بقوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا رادَّ لأمره وكلماته السابقات، ولا مكذب لما أخبر به... وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي فيما أنزلناه وقصصناه عليك ما يقضي هذا الذي أخبرناك به "[1]

ويقول الرازي: " اعلم أنَّه تعالى أزال الحزن عن قلب رسوله ﷺ وذلك بأن بيَّن أنَّ سائر الأمم عاملوا أنبياءهم بمثل هذه المعاملة، وأنَّ أولئك الأنبياء صبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم النَّصر والفتح والظفر، فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة، لأنك مبعوث إلى جميع العالمين، فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا " [2].

إنَّ الأنبياء السابقين هم إخوة النبي ﷺ، وهم رفقاؤه في درب الدَّعوة، وهم شركاؤه في حمل هذه الأمانة؛ فذكرهم يُثلج صدره ويصبِّر قلبه؛ لذا نرى أنَّ بعض الآيات التي ورد فيها أمْرُ النَّبي ﷺ بالصبر، أُرْدِف هذا الأمر بأمر آخر، وهو الأمر بذِكر بعض الأنبياء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ١٧]، ثم ذكر ربنا سبحانه بعد ذلك مجموعة من أنبيائه عليهم السلام، يقول الفخر الرازي في ذلك: " إنَّ قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ غير مقتصر على داود فقط؛ بل ذكر عقب قصة داود عليه السلام قصص سائر الأنبياء فكأنه قال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ واعتبر بحال سائر الأنبياء؛ ليُعلِمه أن كل واحد منهم كان مشغولاً بِهَمٍ خاص وحزن خاص، فحينئذٍ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والأحزان، وأن استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل إلا بتحمل المَشَاق والمتاعب في الدنيا "[3].

ولقد أثنى الله ﷻ على بعض أنبيائه لأنهم تميزوا بشدة صبرهم _ وكل الأنبياء كانوا من الصابرين _ فقال سبحانه عن عبده ونبيه أيوب عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ ٢/٢٨٧.

(٢) مفاتيح الغيب _ فخر الدين الرازي _ ١/١٧٧١.

(٣) مفاتيح الغيب _ ١/٣٧٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤١ – ٤٤]، وقال سبحانه في مدح أنبياء آخرين : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥، ٨٦].

ولقد أَمرَ الله ﷻ نبيه محمَّداً ﷺ بالصبر صبراً جميلاً كما صبر ألوا العزم من الرسل فقال سبحانه: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

يقول ابن جرير الطبري _ رحمه الله _ في هذه الآية: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمَّدٍ ﷺ مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ يا محمَّد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدّة " (١).

وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان أولى العزم من الرسل؛ قال القرطبي: " قال مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمَّد عليهم الصلاة والسلام. وهم أصحاب الشرائع... وقال السُّدي: هم ستة: إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين. وقيل: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة "الأعراف والشعراء". وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه مدة. وإبراهيم صبر على النار. وإسحاق صبر على الذبح. ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر. ويوسف صبر على البئر والسجن. وأيوب صبر على الضر... وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا: هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة. وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة "الأنعام" وهم ثمانية عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهرون، وزكرياء، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه: ﴿ أُولَٰئِكَ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ١٤٥/٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقال ابن عباس أيضا: كلُّ الرسل كانوا أولي عزم " [١]، ولعل الراجح من هذه الأقوال هو القول الأول والله أعلم.

إنَّ الله ﷻ يوجه نبيَّه ﷺ بأن لا يقل صبره عن صبر أولئك العظام من علِّيِّة الرسل _ عليهم جميعاً الصلاة والسلام _ فهو منهم؛ بل هو أعلاهم درجة، فعليه أن يكون أشدَّ منهم صبراً، وهذا التوجيه الرباني يقال لمحمَّد ﷺ وهو الذي احتمل ما احتمل، وعانى من قومه ما عانى، وهو الذي نشأ يتيماً، وجرد من الولي والحامي ومن كل أسباب الأرض واحداً بعد واحد...، وهو الذي لقي من أقاربه من المشركين أشد ممَّا لاقى من الأبعدين. وهو الذي خرج مرة ومرة يستنصر القبائل والأفراد فَرُدَّ في كل مرة بلا نصرة... وكان في ذلك كله صابراً لربه، ممتثلاً لأمره ﷻ فكان هو ﷺ خير قدوة لكل من يأتي من بعده من الدعاة والمصلحين[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٢٠/١٦.

(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ محمد الأمين الشنقيطي _ ٢٤١/٧، في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٤٣٠/٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

مواساة النبي ﷺ بالقسم على صدقه وصدق ما جاء به

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مواساته بالقسم على صدقه.

المطلب الثاني: مواساته بالقسم على صدق ما جاء به.

المطلب الثالث: مواساته بالقسم على ضلال وخسران مكذِّبيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين يدي المبحث:

من منهجيات القرآن الكريم في مواساة وتسلية النَّبي الأمين ﷺ القَسَم على صِدقه في دعوى الرسالة، والقَسَم على أنَّ ما جاء به هو من عند الله العزيز الحكيم، ثم القسم على ضلال وخسران الذين عادوه وكذَّبوه، وفي هذه الأقسام ما لا يخفى من عظيم المواساة والتسلية والتثبيت للنبي ﷺ، فإنَّ المرء عندما يأتي بنبأ عظيم يلقيه بين يدي قومٍ لم يسمعوا به من قبل، سيُقابَل هذا المرء بكل أنواع التَّكذيب والتَّضليل؛ بل بالسخرية والاستهزاء في كثير من الأحيان، حتى يكاد يشك في نفسه _ إذا لم يكن له من الله ظهير _ ثم في غِمار ذلك كلِّه يجد له ناصراً قوياً يصدِّقه؛ بل ويقسم على صدقه، إنه بلا شك سيشعر حينئذ بمواساة ونصرة عظيمة، فكيف إذا كان الناصر والمؤيِّد والمُقسم على صدق الدَّعوى وصدق صاحبها هو ربُّ العزة وخالق البرية وهادي البشرية ؟!.

وقد ذكر ابن القيم أن المُقسم عليه في القرآن يمكن حصره في أُمور، فقال: " فالله سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها؛ فتارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أنَّ القرآن حق، وتارة على أنَّ الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان... فمن القَسَم على أنَّ القرآن حق: قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة: ٧٥ – ٧٧]، وقوله: ﴿حمٓ ۞ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان: ١ – ٣] ، وقوله: ﴿حمٓ ۞ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ – ٣]، ومن القَسَم على الرَّسول ﷺ قوله: ﴿يسٓ ۞ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يس: ١ – ٤]، ومنه: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾[القلم: ١ – ٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾[النجم: ١ – ٣] إلى آخر القصة، ومنه قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾[الحاقة: ٣٨ – ٤١] ، وقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۞ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۞ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ١٥ – ٢٠] "[1]

(١) التبيان في أقسام القرآن _ ص٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

مواساته ﷺ بالقسم على صدقه

إنَّ شهادة الله ﷻ لأمر من الأمور لهي أعظم تصديق، وأجل تأكيد لهذا الأمر، قال سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ١٦٦] ، ولقد شهد الله ﷻ على صدق نبيه محمَّد ﷺ فيما ادعاه من الرسالة والنُّبوة، وذلك في أعظم كتاب أُنزل على الأرض، فلقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم شهادة الله ﷻ لنبيِّه ﷺ، ورد على المكذبين المنكرين لرسالته، يقول ابن القيِّم متحدثاً عن ذلك: " قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٤٣]، استشهد على رسالته ﷺ بشهادة الله له، ولا بدَّ أن تُعلم هذه الشهادة، وتقوم بها الحُجَّة على المكذِّبين له، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكذلك قوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦] ، وكذلك قوله: ﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ١ – ٣]، وقوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٢] ، وقوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ [المنافقون: ١]، وقوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الفتح: ٢٩] ؛ فهذا كلُّه شهادة منه ﷻ لرسوله ﷺ، قد أظهرها وبيَّنها وبيَّن صحتها غاية البيان، بحيث قطع العذر بينه وبين عباده وأقام الحجة عليهم [١]

ولقد كان في هذه الشَّهادة الربَّانية أعظم تثبيت، و أقوى مواساة للنبي ﷺ، وهو يواجه كلَّ أنواع المعارضة، والتَّكذيب، وتلفيق التُّهم والافتراءات، فكانت شهادة الله له أعظم زاد للصبر على تحمل مشاقِّ الدعوة، فإذا ما اتهمه الناس _ من المكذبين والمشركين _ بأنه كاذب مفترٍ، أو شاعرٌ متقولٌ، أو ساحرٌ، أو مجنونٌ؛ فإن ربَّ النَّاس يشهد له بأنَّه رسول من عند ربه، صادقٌ أمينٌ، على خلقٍ عظيمٍ.

يقول الله ﷻ بعد أن ذكر قصة بني إسرائيل مع ملكهم طالوت: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، ومعنى الآية: ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى ما سلف من خبر طالوت وجالوت ﴿ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ المنزَّلة من عنده تعالى،﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ أي بواسطة جبريل عليه السلام،﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي متلبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي من جملة الذين أرسلوا

---

(١) انظر : التفسير القيِّم _ ابن القيِّم _ ٣٠٧/١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الأمم لتبليغ رسالاتنا، وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم، فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم؛ بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنَّه رسول الله حقاً ونبيَّه صدقاً، الذي بعثه بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [1]

وعند التأمل في الجملة الأخيرة من الآية _ والتي تشهد للنبي ﷺ _ نجد أنها قد أُكِّدَت بالمؤكِّدات اللُّغوية؛ وذلك زيادة في تأكيدها؛ فقوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أكَّد أولاً بحرف " إن "، ثم باللام في " لمن "، ثم بالجملة الاسميَّة، وذلك للرَّد على من شكَّك في صدق رسالته ﷺ، ولتسليته عمَّا يقوله الجاحدون في شأنه [2].

" وجيء بقوله:﴿ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ دون أن يقول: وإنك لرسول الله، للرَّد على المنكرين بتذكيرهم أنه ما كان بدْعاً من الرسل، وأنه أرسله كما أرسل من قبله، وليس في حاله ما ينقص عن أحوالهم " [3].

ومع كل هذا التأكيد الرباني لصدق النَّبي ﷺ في دعواه، جاء القرآن الكريم بمزيد من التأكيد؛ وذلك بقسم الله ﷻ على صدق رسالة النبي ﷺ؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يس: ١ – ٥]، أقسم الله ﷻ في هذه الآيات بالقرآن الحكيم، المعجِز في نظمه وبديع معانيه، المتقَن في تشريعه وأحكامه، الذي بلغ أعلى طبقات البلاغة، على أن محمداً ﷺ رسول من المرسلين، والتأكيد بالقسم لشدَّة إنكار المشركين لرسالة النبي ﷺ، ومن المعلوم أن القرآن الكريم هو معجزة رسولنا ﷺ، التي تحدى العرب أن يأتوا بمثلها، فلم يستطيعوا، فإقسام الله بالقرآن على صحة الرسالة، إقسام بالمعجزة التي تؤيد تلك الرسالة، والدليل الذي يثبتها، كأنه قال: إنك من المرسلين بدليل القرآن الحكيم، قال القرطبي _ رحمه الله _: " أقسم الله تعالى بكتابه على أنه ﷺ لمن المرسلين، وعلى صراط مستقيم؛ أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق. قال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له، وفيه من تعظيمه وتمجيده... وحكى القشيري: قال ابن عباس: قالت كفار قريش ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] وما أرسلك الله إلينا؛ فأقسم الله ﷻ بالقرآن

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ محمَّد أبو السعود _ ٢٤٥/١، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ عبد الرحمن السعدي _ ١٠٨/١ .

(٢) انظر : التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٦١/١ .

(٣) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٠٣/٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحكم أنَّ محمَّداً ﷺ من المرسلين. و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ المحكم الذي لا يتعرَّض لبطلان وتناقض؛ كما قال:﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] وكذلك أحكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل... ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾أي دين مستقيم وهو الإسلام " [١]

أما قوله تعالى في بداية السورة: ﴿يٰسٓ﴾ فاختلف أهل التأويل فيها؛ فقال بعضهم: هو قَسَمٌ أقسم الله به، وهو من أسماء الله...، وقال آخرون: معناه: يا رجل...، وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه...، وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن. [٢]

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۞ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[النجم: ١ – ٥]، حيث أقسم الله ﷻ بالنجم؛ والمراد بالنجم في الآية: إمَّا نجوم السماء، أو الثريَّا، ومعنى إذا هوى إذا سقط، وإمَّا أن يكون المعنى القرآن إذا نزل [٣]

والمقسم عليه، تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغي في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتدياً في علمه، هادياً، حسن القصد، ناصحاً للأمة، بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد، وفي هذا تخصيصٌ للنبي ﷺ، حيث تولّى الله ﷻ الذَّبَ عنه فيما رُميَ به، بخلاف ما قال نوح عليه السلام حيث قال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٦١]، وهود قال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧] وغير ذلك [٤]

وفي هذا القسم لفتة جميلة حيث أقسم سبحانه بالنجوم التي ينبعث منها النور، وتكون بها الهداية في ظلمات البر والبحر، على كون محمد ﷺ سالكا جادة الرشد والهداية، ونفى عنه ما كانت قريش تنسبه إليه من الضلال في ترك ما كانت عليه آباؤهم، وأئمة الكفر منهم، وأن ما جاء به من الكتاب ليس من عنده، وإنما هو وحي إلهي. وكانت العرب تضرب الأمثال بهداية النجم والاهتداء به، ومما يؤثر عنهم في هذا قولهم: فلان أهدى من النجم، ويقولون: لا يضل فلان حتى يضل النجم. وإلى هذا أشار القرآن نفسه فقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٥/١٥ .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ محمد بن جرير الطبري _ ٤٨٨/٢٠ .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ محمد بن جرير الطبري _ ٤٩٥/٢٢، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ عبد الرحمن السعدي _ ٨١٨/١ .

(٤) انظر : لطائف الإشارات القشيري _ ٣١٩/٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النحل: ١٦]، والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه ظاهرة جلية، فالمقسم به: هو النجم الذي لا يضل السبيل، وبه يهتدي السائرون، والمقسم عليه: كون محمَّد ﷺ على محجَّة الهداية، وكون ما جاء به ليس إلا وحيا تلقاه من عالم الغيب والشهادة[١].

وإنما قال: ما ضل صاحبكم، ولم يقل: ما ضل محمد، تأكيداً لإقامة الحجَّة عليهم لأنهم مصاحبون له طوال أربعين سنة قبل البعثة، وهم أعلم الخلق به، وبحاله، وبأقواله، وبأعماله، وأنهم في تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد، فقولهم بعد بعثته ﷺ إنه ساحر، أو مجنون، هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق.ثم ما دام أنه صاحبهم فإن مقتضى الصحبة أن يصدقوه وينصروه، لا أن يكونوا أعداء له[٢]

ومن قبيل هذا القسم أيضاً قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ – ٤]، " أقسم الله ﷻ بالقلم لما فيه من البيان، وهو واقع على كل قلم يكتب به، وقال جماعة من المفسرين: المراد به القلم الذي كتب به اللَّوح المحفوظ؛ أقسم الله ﷻ به تعظيما له، قال قتادة: القلم من نعمة الله على عباده، وقوله:﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ما موصولة: أي والذي يسطرون، والضمير عائد إلى أصحاب القلم المدلول عليهم بذكره، لأن ذكر آلة الكتابة تدل على الكاتب، والمعنى: والذي يسطرون: أي يكتبون، كل ما يُكتب، أو الحفظة على ما تقدم "[٣]

أما قوله تعالى: ﴿نٓ﴾ فقد ذكر المفسرون في المراد منها أقوالاً، ورجح كثير منهم أن تكون من قبيل الحروف المقطَّعة التي في أوائل بعض السور، مثل: ﴿صٓ﴾[ص: ١]، ﴿قٓ﴾ [ق: ١] [٤]

" والمُقْسَمُ عليه نفيُ أن يكون النبي ﷺ مجنوناً، والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لمَّا دعاهم إلى الإسلام: هو مجنون، وذلك ما شافهوا به، وحكاه الله عنهم في آخر السورة ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]. وهكذا كل ما

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ١٥٤/٨، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ٤٧٥/١٩ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٩٢/٢٧، تفسير العثيمين _ ابن العثيمين _ ١/١١ .

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير _ الشوكاني _ ٣٧٢/٥ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٨٠/١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورد فيه نفي صفة الجنون عنه فإنَّما هو ردٌّ على أقوال المشركين كقولـــه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] " [١]

" وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: ثواباً على ما تحمَّلت مـــن أثقـــال النُّبـــوة وقاسيت من أنواع الشدائد ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع يقال مننت الحبـــل إذا قطعتـــه وقـــال مجاهد: غير ممنون غير محسوب وقال الحسن: غير ممنون غير مكدر بالمن وقال الـــضحاك: أجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وقيل غير ممنون به عليك من جهة الناس " [٢]

وأخيراً، وبعد أن تأمَّلنا في هذه الأقسام القرآنية العظيمة، نشعر بأنَّ فيها مواساة وتـــسلية وتثبيتاً للنبي ﷺ، إلى حدٍّ لا يستطيع عاقلٌ متدبِّرٌ أن ينكره، ونعلم بذلك أنَّ من منهجيَّات القـــرآن الكريم في مواساة خاتم النبيين ﷺ القَسَم على صدقه، والقَسَم على تبرئتـــه مـــن تهـــم المكـــذبين وافتراءاتهم.

المطلب الثاني

مواساته ﷺ بالقسم على صدق ما جاء به

بعث الله ﷻ نبيَّه محمَّداً ﷺ لهداية النَّاس، وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور، وأنزل معه القرآن الكريم، الذي فيه الهدى والرَّشاد ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فأبى المكذبون المعاندون قَبول الحقِّ، وبذلوا جهدهم لمحاربته، وصرف النَّاس عنه، فأخذوا يطعنون ويشككون فيه، ويلفقون الأباطيل ويرمونه بها، فقالوا عنه: أســـاطير الأولين، قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] ، وقـــال أيـــضاً: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، واستمروا في تلفيق التهم والأباطيل؛ والله ﷻ يدافع عـــن نبيـــه، وينزه قرآنه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٦١/٢٩ .

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير _ الشوكاني _ ٣٧٤/٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقالوا تارة: علمه بشر، فقال الله ﷻ رداً عليهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقالوا تارة أخرى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، ثم هذا زعيمهم الوليد ابن المغيرة ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ١٨ – ٢٤]، فلمَّا لم تفلح محاولاتهم الخائبة قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وهكذا أهل الباطل دائماً !.

ولقد كان هذا العداء وهذا التَّكذيب من أولئك الكافرين يؤذي النبي ﷺ، ويُحزن قلبه؛ فكانت المواساة الربانية له ﷺ بإثبات صدقه فيما ينقله عن ربِّه ﷻ، وردِّ تُهَم الكافرين المعاندين؛ ومن ذلك أن الله ﷻ أقسم _ في عدة مواضع من كتابه العزيز _ على صِدق القرآن، وأنه وحي من الله ﷻ، وأنَّه فصلٌ ليس بالهزل؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ – ٤]، حيث يقسم الله ﷻ في هذه الآيات بالقرآن على القرآن، يقسم بالكتاب المبين؛ الذي هو مبين لكلِّ ما يحتاج إليه العباد؛ من أمور الدنيا والدين والآخرة، وجواب القسم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ جعله سبحانه بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال:﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان، ثم ذكر سبحانه وصفاً آخر لهذا الكتاب المبين، وهو أنَّه في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها، عليٌّ في قدره وشرفه، حكيمٌ فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.(١)

ومن القَسَم على أنَّ القرآن منزل من عند الله ﷻ قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[الدخان: ١ – ٣]، " أقسم بالقرآن أنَّه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم الرجل له إليه حاجة: أتشفع بك إليك وأقسم بحقك عليك وجاء في الحديث: **(أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك)** (٢) " (٣)

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ٧٦٢/١، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٢٢٧/١٧ .

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الصلاة _ باب ما يقال في الركوع والسجود _ ٥١/٢ _ ح ١١١٨ .

(٣) السراج المنير _ شمس الدين الشربيني _ ٦٨٣/٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة: ٧٥ – ٨٠]، يخبر الله تبارك وتعالى أنه يقسم بمواقع النجوم على أنَّ هذا الذي يتلوه عليكم نبينا محمد ﷺ لقرآن كريم. أي: رفيع القدر طاهر الأصل، كثير المنافع، ظاهر الفضل، لأن الناس يجدون فيه كل ما يريدونه من سعادة وخير، وليس أمره _ كما زعمتم _من أن الشياطين تنزلت به، أو أنه من أساطير الأولين، أو أنه كلام بشر... ثم بين سبحانه _ قبل أن يبين المقسم عليه _ عِظَم هذا القسم فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ وأتى بالجملة الاعتراضية في قوله: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ إشارة على أنه يجب أن نتفطن لهذا القسم وعظمته حتى نكون ذوي علم به، ثم ذكر سبحانه وصفاً آخر للقرآن الكريم، وهو قوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾ والمكنون: المستور والمحجوب عن أنظار الناس، بحيث لا يعلم كنهه إلا الله ﷻ، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، أي: أنَّ هذا القرآن الكريم قد جعله الله ﷻ في كتاب مصون عن غير الملائكة المقربين، بحيث لا يطلع عليه أحد سواهم.(١)

وقد ورد في القرآن الكريم أقسام أخرى، يقسم فيها ربُنا سبحانه على أنَّ القرآن وحي منه لنبيه محمَّد ﷺ، نزل به الملَك الأمين جبريل عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝ ۝ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الحاقة: ٣٨ – ٤٣]، يقسم الله ﷻ في هذه الآيات بالأشياء كلها، ما نبصره وما لا نبصره، فيدخل فيه جميع المخلوقات والموجودات. وقال بعض المفسرين: أقسم بالدنيا والآخرة. وقيل: ما على وجه الأرض، وما في بطنها...(٢)، يقسم بهذا القسم العظيم _ والله سبحانه يقسم بما يشاء _ على أنَّ القرآن الكريم قول جبريل عليه السلام، وليس القرآن قول الرسول ﷺ، إنما هو من قول الله ﷻ ونسب القول إلى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به، ثم رد سبحانه الأباطيل التي وجهت إلى القرآن فقال سبحانه: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ليس بقول شاعر؛ لأنَّه مباين لصنوف الشعر كلها، وليس بقول كاهن؛ لأنَّه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئاً على من يسبهم، ثم أكد ﷻ أنَّ القرآن ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٣)

---

(١) انظر : التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ١٤/١٨٣.

(٢) انظر: معالم التنزيل _ البغوي _ ٨/٢١٤.

(٣) انظر : اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ١٩/٣٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن قبيل هذه الأقسام أيضاً قوله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ [التكوير: ١٦ – ٢١]، القسم هنا بالنجوم، التي بالنهار تكون مختفية عن الأنظار، ولا تظهر إلا بالليل، فشبِّهت بالظباء التي تختفي في بيوتها ولا تظهر إلا في أوقات معينة، والقسم بها لأنها في حركاتها المختلفة، من ظهور وأفول، ومن إقبال وإدبار، تدل دلالة ظاهرة على قدرة الله ﷻ، وعلى بديع صنعه في خلقه. فأقسم ﷻ بهذا القسم على أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام. (١)

ونسب ﷻ القول إلى الرسول – وهو جبريل عليه السلام – لأنَّه هو الواسطة في تبليغ الوحي إلى النبي ﷺ، ثم وصف الله ﷻ أمين وحيه جبريل عليه السلام بخمس صفات: أولها: قوله: ﴿ كَرِيمٖ ﴾ أي: ملك شريف، حسن الخلق، بهي المنظر، ثانيها:﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أي: صاحب قوة وبطش، ثالثها: ﴿ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾ أي: إن من صفات جبريل عليه السلام أنه ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة عند الله ﷻ، رابعها: قوله: ﴿ مُّطَاعٖ ﴾ أي يُطيعه من معه من الملائكة المقربين، وخامسها: قوله:﴿ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾والمعنى: مطاع فى السموات عند ذي العرش، أو أمين فيها، أي: يؤدى ما كلفه الله ﷻ به بدون أية زيادة أو نقص.(٢)

ومن القسم على عظمة القرآن وأنه كلام حق وفصل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾[الطارق: ١١ – ١٤]، يقسم الله ﷻ بالسماء ذات الرجع، أي ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر. كذا قال عامة المفسرين، ويقسم كذلك بالأرض ذات الصدع؛ أي التي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار، يقسم على أنَّ القرآن يفصل بين الحق والباطل، وفي الحديث عن علي ﷺ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **(كتاب فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللّه)** (٣)، ثم يردف سبحانه وصفاً آخر للقرآن وهو أنه ليس بالهزل، أي ليس القرآن بالباطل واللعب، والهزل: ضد الجد (٤)

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٥٤/٢٤ .

(٢) انظر : التفسير الوسيط _ سيد طنطاوي ٤٤٥٢/١ .

(٣) سنن الترمذي _ كتاب ثواب القرآن _ باب ما جاء في فضل القرآن _ ٢٩/٥ _ ح٢٩٠٨ وغيره، وقال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة : ضعيف (السلسلة الضعيفة _ ح ٦٣٩٣).

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٠/٢٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وعطف ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ بعد الثناء على القرآن بأنه ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ رداً على المشركين، إذ كانوا يزعمون أنَّ النبي ﷺ جاء يهزل؛ إذ يخبر بأنَّ الموتى سيحْيَوْن، يريدون تضليل عامتهم ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن، وهو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ... ﴾ [فصلت: ٢٦]، فالهزل على هذا الوجه هو ضدّ الجدّ، أعني المزح واللعب، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض وإلا كانت تقصيراً في المدح لا سيَّما إذا سبقتها مَحمَدة من المحامد العظيمة " (١)

بعد استعراض هذه الأقسام القرآنية المجيدة، يمكن القول أنَّ من منهج القرآن الكريم في مواساة النبي ﷺ القسم على صدق ما جاء به من عند ربِّه ﷻ، ورد تهم وأباطيل المكذبين التي أثيرت حوله، وكأنَّ الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: فليقولوا ما شاءوا، وليفتروا ما بدا لهم، وليكيدوا كيدهم، فالمهم أنَّ الله مصدقك، وناصرك، ومؤيدك.

المطلب الثالث

مواساته بالقسم على ضلال وخسران مكذِّبيه

بعد أن لمسنا _ في المطلبين السابقين _ موساة القرآن للنَّبي ﷺ، من خلال القسم على صدقه وصدق ما جاء به، نجد أنَّ في القرآن الكريم لوناً آخر من القَسَم، نلتمس فيه مزيداً من التصبير والمواساة، إنَّه القسم على ضلال وخسران أعداء النبي ﷺ؛ أولئك المكذِّبين الذين لم يتبعوا هديه، ولم يستنيروا بنوره؛ بل وقفوا في وجه دعوته، وجدُّوا في صد النَّاس عنها، ففَتَنوا المستضعفين، واستكبروا في الأرض بغير حقّ؛ فكانت أفعالهم تلك تُحزن قلب رسول الله ﷺ؛ فيأتيه القرآن بهذا النوع من القسم ليؤكد له بطلان عملهم، وخسران سَعيهم، وبئس مصيرهم.

فهذه آية من كتاب الله ﷻ، فيها قسم الغرض منه تشبيه حال أولئك المشركين المكذبين وسوء أعمالهم بحال الأمم الضالّة من قبلهم؛ الذين استهواهم الشيطان، من الأمم البائدة؛ مثل عاد وثمود، والحاضرة كاليهود والنصارى، قال ﷻ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٦٣]، يقول تعالى ذكره مقسِما بنفسه عزّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ: والله يا محمد لقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك؛ من الدعاء إلى التوحيد لله، وإخلاص العبادة له، والإذعان له بالطاعة، وخلع الأنداد والآلهة؛

---

(١) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٦٦/٣٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكانت النتيجة أن استحوذ الشيطان على نفوس عامة هؤلاء المُرسل إليهم، حيث زيَّن لهم الأفعال القبيحة، وقبح لهم الأعمال الحسنة، وجعلهم يقفون من رسلهم موقف المكذب لأقوالهم، المعرض عن إرشاداتهم، المحارب لدعوتهم، فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر، أمَّا في الآخرة عند ورودهم على ربهم، فلا تنفعهم حينئذ ولاية الشيطان، كما لم تنفعهم في الدنيا، بل ضرّتهم، وهي لهم في الآخرة أضرّ.(١)

والخطاب في الآية موجَّه إلى النَّبي ﷺ؛ بقصد إبلاغه إلى أسماع الناس جميعاً، فالنَّبي ﷺ لا يشكّ في ذلك؛ ولكنَّ المراد بيان الأمر وتأكيده بالقسم لعامة المخاطبين. (٢)

وجملة ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ معطوفة على جملة جواب القسم، والتقدير: أرسلنا فزيّن لهم الشيطان أعمالهم، والقسم في الآية منصبٌّ على التفريع في قوله تعالى:﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أما الإرسال إلى أمَم من قبلهم فلا يشكّ فيه المشركون.

فهذه الآية ضرب مثل لأولئك المشركين المكذِّبين بمن تقدم من الأمم الضالة السابقة، وفي ضمنها وعيدٌ لهم؛ فليس لهم وليٌّ إلا الشيطان، ولهم من الله عذاب أليم، وفي الآية أيضاً تأنيس للنبي ﷺ، ببيان حقيقة مكذبيه وتشبيه حالهم بحال الأمم المكذبة من قبلهم (٣)

وفي آية أخرى من كتاب الله ﷻ جاء القسم على ضلال أولئك المكذبين؛ ولكن هذه المرة ورد القسم على لسانهم هم، وذلك يوم القيامة عندما يدخلون جهنَّم، ويجدون ما أعدَّ الله لهم فيها من عذاب، قال تعالى واصفاً المشهد آنذاك: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۞ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ۞ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۞ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ۞ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ۞ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۞ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠ – ١٠١]، يقسم الغاوون المكذبون وهم في نار جهنم يختصمون مع آلهتهم المزعومة، يقسمون على أنَّهم كانوا في ضلال مبين؛ أي في خسارةٍ وتبارٍ وحيرةٍ عن الحق بينةٍ؛ إذ اتخذوا مع الله آلهة فعبدوها كما يُعبد، وساووا آلهتهم بربِّ العالمين _ وهذه التسوية إنَّما كانت في الحب والتأليه لا في الخلق والقدرة والربوبية (٤)_ وفي قسمهم هذا بيان لشدَّة حسرتهم وندمهم على ما كانوا عليه في الدنيا.(٥)

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ابن جرير الطبري _ ٢٣٦/١٧.

(٢) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٩٤/١٤-١٩٥ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ ابن عطية _ ٤٠٤/٣ .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة _ ابن قيم الجوزية _ ٢ / ١٣٢

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١١٥/١٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونلاحظ أنهم وصفوا ضلالهم بأنه ضلال مبين، أي: واضح؛ للمبالغة في إظهار ندمهم وتحسرهم، وبيان عظم خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق الذي جاءهم من ربِّهم.(١)

ومن قبيل هذه الأقسام التي تبين ضلال المكذبين للرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص: ١، ٢]، حيث يقسم سبحانه في هذه الآيات بالقرآن الكريم ذي الشرف والشأن العظيم، إنَّه لحقٌّ لا ريب فيه، وإنك يا محمَّد لصادق فيما تقول، وإنَّ الكافرين لم يُعرِضوا عن هذا القرآن لخلل وجدوه فيه، بل هم في استكبار عن اتباع الحق، ومعاندة لأهله، فهم في حميَّة ومشاقَّة، وفراق لمحمَّد ﷺ، وهذا هو الضلال المبين. (٢)

وقد بين القرآن الكريم أنَّ كلَّ من كذَّب الرَّسول ﷺ وعاداه فهو في خسران مبين، وسوف يندم على فعله يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا * يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤١، ٤٢]، هذا بيان لحالهم يوم القيامة، جزاء كفرهم وعصيانهم لرسول الله ﷺ، يودون أن يُدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى، أو أنَّ المعنى يتمنون أن لم يبعثوا، أو لم يخلقوا أصلاً، وكانوا هم والأرض سواء، وفي ذلك الموقف العظيم لا يقدرون على كتمان شيء؛ لأنَّ جوارحهم تشهد عليهم(٣)

" إنَّها المَهانة والخزي، والخجل والندامة؛ فَهُم في حضرة الخالق الذي كفروا به، الرَّازق الذي كتموا فضله، وبخلوا بالإنفاق ممَّا أعطاهم، إنَّهم في اليوم الآخر الذي لم يؤمنوا به، إنَّهم في مواجهة الرَّسول الذي عصوه... فكيف يكون حالهم ؟"(٤)

فماذا بوسعهم أن يفعلوا بعد أن ظَلَموا أنفسهم ؟! ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧]، يَعضُّ على يديه تأسفاً وتحسراً وحزناً وأسفاً، قال عطاء:

---

(١) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ٢٥٢/٦، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ١٠٣/١٩ .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ابن جرير الطبري _ ١٤٠/٢١، تيسير التفسير _ إبراهيم القطان _ ١٥٩/٣ .

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ١٩١/١، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ١٧٩/١ .

(٤) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ١٣١/٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه ثم تنبتان، ثم يأكل.. هكذا، كلَّما نبتت يده أكلها تحسراً على ما فعل، يتندم على أنَّه لم يتخذ مع الرَّسول ﷺ طريقا بالإيمان به وتصديقه واتباعه.(١)

من خلال تلك الأقسام _ التي فيها ما فيها من الوعيد والتحذير _ نستشعر المواساة الربانية للنبي ﷺ، فهذا حالهم، وذلك مصيرهم يوم يلقون ربَّهم، فلا تحزن يا نبي الرحمة من أفعالهم، ولا تجزع لإعراضهم وصدهم ومحاربتهم لدين الله ﷻ.

(١) انظر : معالم التنزيل _ البغوي _ ٨١/٦، بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥٣٦/٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

مواساة النَّبي ﷺ ببيان عادة المكذِّبين في التعامل مع رسلهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان تكذيب المكذِّبين لرسلهم.

المطلب الثاني: بيان استهزاء المكذِّبين برسلهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذا المبحث نلتمس _ بإذن الله _ جانباً آخر من جوانب المواساة القرآنية الربانية للنبي ﷺ، إنها المواساة ببيان عادة الكافرين المكذبين في التعامل مع رسلهم، فقد بين القرآن الكريم أنَّ الله ﷻ أرسل رسله إلى الأمم السالفة، فكانت طريقة تعامل الكافرين المعاندين مع رسلهم واحدة لا تتغير، التكذيب والعناد والسخرية والاستهزاء واستعجال العذاب...، هذا ديدنهم، وذاك نهجهم في التعامل مع رُسل الله ﷻ، فإذا كان النبي ﷺ يستاء ويضيق صدره بسبب تكذيب أولئك المعاندين المتكبرين في زمانه، فإن فعلهم ذاك ليس جديداً؛ بل هذا نهج أسلافهم السابقين؛ من الذين أرسل الله إليهم الأنبياء والمرسلين.

وسوف نقف _ بإذن الله ﷻ _ في مطلبي هذا المبحث مع الآيات القرآنية التي بينت عادة المكذبين في التعامل مع رسلهم.

المطلب الأول
بيان تكذيب المكذِّبين لرسلهم

ورد في كتاب الله ﷻ آيات كثيرة تبين أنَّ رُسُل الله السابقين _ عليهم السلام _ قد ووجهوا بالتَّكذيب والعِناد من أقوامهم؛ بل وبالتهديد وإلحاق الأذى في بعض الأحيان، فما كان من أولئك الأنبياء إلا الصبر والاحتمال، وانتظار الفرج من الله ﷻ، وأغلب هذه الآيات موجهة للنبي ﷺ، لتبين له ما لاقاه إخوانه الأنبياء والمرسلون من أقوامهم؛ وذلك للربط على قلبه ﷺ، ولتصبيره ومواساته، فما يجده من قومه قد وجده الأنبياء السابقون من أقوامهم، فهذه عادة المكذبين، وسنة المعاندين.

ثم إنَّ هذه الآيات تختم إمَّا ببيان مصير أولئك المكذبين، وما حل بهم من عذاب الله ﷻ، وإمَّا بِذِكر نصر الله سبحانه لرسله، وإظهارهم على أعدائهم؛ ليكون ذلك كله تصبيراً ومواساة للنبي ﷺ.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] إنَّ التسلية والمواساة لرسول الله ﷺ ظاهرة في هذه الآية؛ فانَّ إشعار النبي ﷺ بعموم البلوى يهونها عليه، ثمَّ إنَّ الآية فيها إرشاد له ﷺ إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام في الصبر على الأذى، وفيها أيضاً وعد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضمني للنبي ﷺ بالنصر والتمكين كما أعطي إخوانه من قبله، وفائدة التنوين في كلمة ﴿رُسُلٌ﴾ للتفخيم والتكثير...[1]

إنَّ القرآن العظيم يخبر النبي ﷺ عن أقوام كانوا أشدَّ من قومه قوة، وأكثر منهم جمعاً، أرسل الله ﷻ إليهم الرُّسل مبشرين ومنذرين، ولكن ما آمن منهم إلا قليل؛ فلمَّا كذَّبوا رُسُلهم، ولم يستجيبوا لأمر ربِّهم، لم يعجزوا الله ﷻ؛ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فلا تبتأس يا رسول الله ممَّا يُكذبك قومك؛ فإنَّه مصيبهم ما أصاب أسلافهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٤]، وفي موضع آخر قال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۞ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۞ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٢ – ١٥]

هذا كلُّه تسلية للنَّبي ﷺ وتعزية له، والخطاب في الآيات الأولى موجه إليه ﷺ، تقول له: كان قبلك أنبياء كُذِّبوا فصبروا، إلى أن أهلك الله المكذِّبين، فاقتد بهم واصبر، ثم بين سبحانه عاقبة أولئك المكذبين فقال: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، هذه نتيجة تكذيبهم: أخر الله عنهم العقوبة إلى حين معلوم ثم عاقبهم، فانظر كيف كان تغيير ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك، فكذلك يُفعل بالمكذبين من قريش.[2]

فليس قومك _ يا محمَّد ﷺ _ هُم أوَّل المكذبين لرسلهم، فقد سبقهم إلى هذا التكذيب قوم نوح، فكان عاقبتهم الإغراق بالطوفان، وسبقهم – أيضا – إلى التكذيب قوم عاد،حيث كذبوا نبيهم هوداً، فكانت عاقبتهم الإهلاك بالريح العقيم، وكذب فرعون موسى عليه السلام، فكانت عاقبته الغرق مع جنوده الكافرين، وقوم ثمود كذبوا نبيهم صالحاً، وكذب قوم لوط نبيهم لوطا، وكذب أصحاب الأيكة _ وهم قوم شعيب _ كذبوه كذلك؛ فكانت نتيجة هذا التكذيب الإهلاك لهؤلاء المكذِّبين جميعاً قال تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠]

---

(١) انظر : روح المعاني _ الألوسي _ ١٣٦/٧.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٧٣/١٢، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ١٠٧/١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإشارة في قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾تعود إلى هؤلاء الأقوام المكذبين لرسلهم، سُمُّوا بالأحزاب، لأنهم تحزبوا ضد رُسُلهم، وانضم بعضهم إلى بعض في تكذيبهم، ووقفوا جميعا موقف المحارب لهؤلاء الرسل الكرام.

إن هؤلاء المكذبين يستحقون عذاب الله ﷻ، لأنَّ جُرمهم عظيم ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾كأنَّه ليس لهؤلاء الأقوام من صفات سوى تكذيب الرسل، فكانت النتيجة جزاءً وفاقاً لهم على تكذيبهم.

ثم جاءت الآيات بالتهديد لمكذبي النبي ﷺ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ويا له من تهديد ووعيد.(١)

ومن قبيل هذه الآيات التي توضح عادة الكفَّار في تكذيب رسلهم قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[فاطر: ٤]، فهذه الآية مثل الآيات السابقة تذكر النبي ﷺ بمن سلف من إخوانه المرسلين، الذين صبروا على تكذيب أقوامهم، ولكن الآية هنا ختمت بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾، وفي ذلك من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى (الوعد لرسول الله ﷺ بالنصر والتأييد، والثواب العظيم، والوعيد للمكذبين بالإهلاك في الدنيا والخزي والعذاب المهين في الآخرة)؛ حيث اقتصرت الآية على ذكر المرجع، واختصاصه بالله وحده، مع عدم ذكر الثواب أو العقاب؛ وذلك حتى تذهب النفس في تقديرهما كل مذهب.(٢)

لقد بيَّن الله ﷻ لنبيَّه ﷺ أنَّ كلَّ نبيّ من الأنبياء لا بدَّ أنَّ يكون له أعداء من الأشرار، الذين لا يُحبون الحقّ؛ بل يتآمرون عليه ويعادونه؛ إنهم شياطين الإنس والجن، قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١١٢]، فكما جعلنا لَك يا محمَّد أعداء يُخَالِفونك ويُعَادونك، فكذلك جعَلنَا لِكُلِّ نَبِيّ مِنْ قَبْلك أَيْضًا أَعْدَاءً؛ فَلَا يَحْزُنك ذَلِكَ؛ فهذه سنة من سنن الله ﷻ، يبتلي عباده وأنبياءه، ويهلك أعداءه، وقد قَالَ وَرَقَة بْن نَوْفَل لِرَسُولِ اللَّه ﷺ: (**إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَحَد بِمِثْلِ مَا جِئْت بِهِ إِلَّا عُودِيَ**) (٣)

---

(١) انظر : الوسيط محمد سيد طنطاوي _ ٣٦٠٤/١.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٠٦/١١، روح المعاني _ الألوسي _ ١٦٧/٢٢.

(٣) صحيح البخاري _ كتاب بدء الوحي _ ٧/١ _ حديث ٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآيات التي تبين تكذيب السابقين لأنبيائهم كثيرة في كتاب الله ﷻ، اقتصر على ما ذكرت خشية الإطالة، ولعل فيما سبق ما يكفي لبيان أنَّ هذا لون من ألوان المواساة القرآنية للنبي محمَّد ﷺ.

المطلب الثاني
بيان استهزاء المكذِّبين برسلهم

كما مرَّ _ في المطلب السابق _ فإنَّ القرآن الكريم بين للنَّبي ﷺ أنَّ التَّكذيب، والعِناد، والصَّد عن سبيل الله ﷻ، هي صفات ملازمة للكفَّار ومُكذِّبي الرُّسل عبر الأزمان والعصور، كذلك فإنَّ القرآن الكريم قد بين أيضاً أنَّ لهؤلاء المكذِّبين صفة أخرى ملازمة لهم في التعامل مع رسل الله، إنها عادة الاستهزاء بالمرسلين، والسخرية منهم، وهذا الفعل مِنهم غاية في التكذيب والأذى لرسل الله عليهم الصلاة والسلام، ولكنَّ رُسُل الله هم دائماً أهل للصبر واحتمال البلاء ابتغاء رضوان الله ﷻ؛ فما ينبغي لهم غير ذلك، فهم صفوة خلق الله أجمعين، فكان الله معهم، وكان نصره حليفهم، وكانت العاقبة لهم.

وهذه الحقيقة قد بينتها مجموعة من آيات كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الأنعام: ١٠]، " ففي هذه الآية[١] يسلي الله ﷻ رَسُولَهُ ﷺ عَمَّا يُلاقِيهِ مِنْ عِنَادِ الكفار وتكذيبهم، وإصرارهِم على البَاطِل، فيَقول له: لقد استُهزِئ برُسلٍ جَاؤوا قَبْلَكَ، وسخِر مِنْهُمُ الكَافِرُون مِن قومِهِم، ومِن العِقَاب الذِي أَنْذَروهم بِهِ، فَعَاقَب الله الذِينَ سَخِروا مِنهم فَدَمَّرهم، ونصر رُسُلَه وَالمُؤمِنين، وكانت العَاقِبَة لِلمُؤمِنين فِي الدَّنيا والآخِرة " [٢]

وفي موضع آخر من كتاب الله ﷻ يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[الرعد: ٣٢]، جاءت هذه الآية بعد ذكر تَعَنُّت المشركين مع النَّبي ﷺ، ومطالبتهم له بالمطالب السَّخيفة، التي لا صلة لها بدعوته، كطلبهم منه تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، فكان ذلك محزناً له ﷺ؛ فجاءت هذه الآية لتسليته ومواساته.

---

(١) هذه الآية تكررت بنصها مرتين في كتاب الله ﷻ : المرة الأولى في سورة الأنعام آية ١٠، والمرة الثانية في سورة الأنبياء آية ٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٩٤/٦، وانظر : بحر العلوم _ السمرقندي _ ٤٥٧/١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعنى الآية: لقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسل كثيرين من قبلك أيها الرسول الكريم؛ فأمهلتهم وتركتهم مدة من الزمان في أمن ودعة، ثم أخذتهم أخذ عزيز مقتدر، فانظر كيف كان عقابي إيَّاهم، لقد كان عقابا رادعاً دمرهم تدميراً، فالاستفهام في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ للتعجيب مما حلَّ بهم، وللتهويل من شدَّته وفظاعته.(١)

ونلاحظ التنكير في قوله: ﴿بِرُسُلٍ﴾ في الآيتين السابقتين _ وفي غيرهما من الآيات التي تحدثت عن استهزاء المكذبين برسلهم _ وذلك للدلالة على الكثرة، فقد استهزأ قوم نوح عليه السلام به، فكانوا ﴿كلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، واستهزأ قوم شعيب عليه السلام به، وقالوا له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، واستهزأ قوم هود عليه السلام به، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦] ، واستهزأ فرعون بموسى عليه السلام، فقال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]... وغير هؤلاء كثير من رسل الله عز وجل الذين تعرضوا للسخرية والأذى من أقوامهم (٢)

وفي سورة الحجر ذكر الله عز وجل شيئاً من عناد المكذبين لرسول الله محمَّد ﷺ، واستهزائهم به، فقال سبحانه حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٦ – ٩]، وبعد ذلك جاءت التسلية، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠ – ١٣]، فبعد أن ذكر عز وجل استهزاء الكفار به ﷺ، ونسبته إلى الجنون، واقتراح نزول الملائكة، أراد سبحانه أن يسليه، فهو يقول له لا تحزن لما تجد من قومك فهذا ليس جديداً عليهم وعلى أمثالهم من أسلافهم السابقين،فإنا قد أَرْسَلْنا مَنْ قَبْلك رسلاً في الْأُمَم الْمَاضِيَة وَإِنَّهُ مَا أَتَى أُمَّة مِنْ رَسُول إِلَّا كَذَّبوه وَاسْتَهزءوا به (٣)

ومثل هذه الآيات آيات سورة الزخرف، حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦ –

---

(١) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٣٨٩/١

(٢) انظر : معالم التنزيل _ البغوي _ ٣٢١/٤، لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٤/٤، التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٣٨٩/١ .

(٣) انظر : البحر المحيط _ أبو حيان _ ٤٣٥/٥، تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٤٦/٨، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ ابن عطية _ ٣٥٢/٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨]، أرسلنا قبلك كثيراً من الأنبياء في الأمم الماضية، فكذّبوهم واستهزؤوا بهم، فاصبر كما صبروا. وقوله سبحانه: ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: فأهلكنا مِن الأمم السالفة مَن كان أكثر منهم طغياناً وإسرافاً، ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: سلف في القرآن غير مرة ذكر قصة الأولين، وهي عِدةٌ له ﷺ، ووعيد لقومه، بطريق الأولوية، فمثل ما جرى على الأولين يجري على هؤلاء؛ والمعنى أن كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فَلْيَحْذَرُوا أَنْ يَنْزِلَ بهم الخِزْيُ مثْلَ ما نزل بالأولين. (١)

إنَّ أَمر هؤلاء المكذبين يدعوا للعجب والاستغراب، فهم على مر العصور واختلاف الأمم والأماكن لهم نفس النهج في التعامل مع رسل الله ﷻ، بالسخرية وتلفيق التهم والأذية، وهذا ما أشار إليه قول الله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات: ٥٢ – ٥٥]، هذه الأقوال التي صدرت من هؤلاء المكذبين _ من الأولين والآخرين _ هل هي أقوال تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضًا بها؟ لا ليس الأمر كذلك ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ فلا يستغرب اتفاقهم عليها فهم تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت كذلك أقوالهم الناشئة عن طغيانهم وهذا هو الواقع (٢)

ثم قال سبحانه: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وهذه تسلية أخرى، وذلك لأن النبي ﷺ كان من كرم أخلاقه ينسب نفسه إلى التقصير، ويقول إنَّ عدم إيمانهم لتقصيري في التبليغ؛ فيجتهد في الإنذار والتبليغ، فقال له ربُّه: قد أتيت بما عليك، ولا يضرك التولي عنهم، وكفرهم ليس لتقصير منك، فلا تحزن فإنك لست بملوم بسبب التقصير، وإنما هم الملومون بالإعراض والعناد.(٣)

إنَّ أفعال المكذِّبين ومواقفهم مع أنبيائهم تدعوا للحسرة عليهم، ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[يس: ٣٠]، نداء للحسرة عليهم كأنَّما قيل للحسرة: تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل، والمعنى

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٦٤/١٦، البحر المديد _ الإدريسي _ ٦/٧،اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٢٣٣/١٧.

(٢) انظر : معالم التنزيل _ البغوي _ ٣٨٠/٧، الجواهر الحسان في تفسير القرآن _ الثعالبي _ ٢١٤٥/١، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٨١٢.

(٣) انظر : مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٢٨/ ١٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّهم أهل لأن يَتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون، أو هم مُتحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين [1]

فيا حسرتهم ويا ندمهم يوم القِيامة إِذا عايَنوا العذاب، كيف كَذَّبوا رُسُل اللَّه ؟ وكيف خالَفوا أَوامره ؟ كانوا فِي الدُّنيا ما يأتِيهم مِن رَسول إِلَّا كَانوا يُكَذِّبونَه ويستَهْزئون بِه ويجحدون مَا أُرسِل بِه مِن الحق.[2]

وفي خاتمة هذا المبحث نستنتج أنَّ بيان الله ﷻ لعادة الكفار المكذِّبين في التعامل مع رسل الله، الذين بُعثوا لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، لهو منهج عظيم من مناهج مواساة النبي ﷺ وتصبيره على تكذيب قومه وعنادهم.

(١) انظر :الكشاف _ الزمخشري _ ١٧٥/٥.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٥٩/١١، روح المعاني _ الألوسي _ ٣/٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

مواساة النبي ﷺ ببيان سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين ونصرة المرسلين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر إحاطة علم الله بالمكذبين.

المطلب الثاني: بيان سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين.

المطلب الثالث: بيان سنة الله ﷻ في نصرة المرسلين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد بيَّن القرآن الكريم الكثير من سُنن الله ﷻ في عباده، ومن هذه السنن الربانية: سنة الله في نصرة المرسلين وإهلاك المكذبين، حيث إنَّ كثيراً من الآيات القرآنية قد ذكرت هذه السنَّة وأوضحتها أعظم توضيح، وفي هذا المبحث سيحاول الباحث الوقوف على هذه الآيات واستخلاص ما فيها من المواساة للنبي ﷺ، وقد قسم الباحث هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، حسب استقرائه للآيات المتعلقة بالمبحث كما سيأتي بإذن الله تعالى.

المطلب الأول
ذكر إحاطة علم الله بالمكذبين

كان النبي ﷺ يحزن حرناً شديداً بسبب إعراض قومه عن دعوة الحق، بل كان ﷺ يصيبه الهَمُّ والغَمُّ، ويضيق صدره، وتكاد نفسه تذهب حَسراتٍ عليهم؛ بسبب رفضهم للهداية الربانية، وتكبرهم على الدين القويم؛ كان ﷺ يسمع منهم الكفر والجُحود، وكان يشاهد منهم أفعال الشِّرك والضَّلال، بل كان يجد منهم الإساءة له ولدعوته، ويعاني منهم العداوة، ويراهم يستحبون العَمَى على الهدى، ويتبعون سبيل الغَيِّ والهوى، ولا يتبعون سبيل الله ﷻ، يتخبطون في الظَّلام والجهل مع أنَّ النور بين أيديهم؛ ولكن يمنعهم كبرهم المقيت من الاستهداء به.

هكذا كان النبي ﷺ حزيناً لحال قومه؛ فجاءته المواساة والتسلية الربانية القرآنية؛ جاءته آياتٌ بيِّناتٌ تبين له، وتذكره بأنَّ الله ﷻ عليمٌ بحال أولئك المكذبين المعاندين، سميعٌ لأقوالهم، بصيرٌ بأفعالهم، خبيرٌ بما تكن صدورهم، ثمَّ هو سبحانه إليه المرجع والمآل، وإليه وحده المصير؛ فيجازي أولئك المتكبرين المعرضين على كفرهم وتكبرهم.

قال سبحانه: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[لقمان: ٢٣، ٢٤]، الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ؛ لمواساته وتسليته، والمعنى: من استمر _ أيُّها الرسول _ على كفره بعد أن بلغتَه رسالتنا ودعوتنا، فلا يحزنك بعد ذلك بقاؤه على كفره وضلاله، فأنت عليك البلاغ، ونحن علينا الحساب، وإنك لا تهدى من أحببت، ولكن الله يهدى من يشاء، ثمَّ إلينا وحدنا مرجع هؤلاء الكافرين، فنخبرهم بما عملوه في الدنيا من أعمال سيئة، ونجازيهم عليها بما يستحقونه من عقاب، إنَّ الله ﷻ عليمٌ بما في صدورهم، وبما في صدور العباد أجمعين.(١)

(١) انظر : فتح القدير _ الشوكاني _ ٣٤٤/٤، أيسر التفاسير _ الجزائري _ ٢١٢/٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمَّ ذكر الله ﷻ حال هؤلاء الكفَّار في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ فأمَّا في الدنيا فيمتعهم سبحانه تمتيعاً قليلاً، بأن يُعظِّم لهم الأموال والأولاد في سبيل الاستدراج، وأمَّا في الآخرة فيلجئهم ويدفعهم دفعاً إلى عذاب مروع فظيع، لضخامة ثقله، وشدة وقعه _ والعياذ بالله _ فحُقَّ للنبي ﷺ أن يتسلَّى بهذا الوَعيد العظيم لأولئك المكذبين المتكبرين، ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهَمُّ ولا يُرهقه الحُزن.(١)

إنَّ الله ﷻ قد بيَّن لنبيِّه ﷺ أنَّ الهداية بيد الله ﷻ، وليست بيد أحدٍ سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[البقرة: ٢٧٢]، ومهمَّة النَّبي ﷺ التذكير والإرشاد،وليست السيطرة والإجبار، قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ الغاشية: [٢١، ٢٢] ، فالنَّبي ﷺ غير مطالب بالنتائج، ما عليه إلا البلاغ، والله سبحانه يصطفي لهدايته من يشاء، وما دام الأمر كذلك فقد جاءت آيات كثيرة تسلي النبي ﷺ، وتنهاه عن الحُزن والهَمِّ لعدم هداية من ضلَّ من النَّاس، قال تعالى:﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]، يقول الله في هذه الآية لنبيِّه ﷺ: أَفمَن كانَ هكذا قد أَضَلَّهُ اللَّه أَلَك فِيهِ حِيلَة ؟ لا حِيلَة لَك فِيهِ؛ فإنَّ اللَّه يُضِلّ مَنْ يَشَاء، ويَهْدِي مَن يشاء، فبِقدرِهِ كانَ ذَلِكَ؛ فلا تَأْسَف عَلَيهم فَإِنَّ اللَّه حَكِيم فِي قَدَره، إِنَّمَا يُضِلّ مَنْ يُضِلّ ويَهْدِي مَن يهدِي لِما لَه فِي ذَلك مِن الحُجَّة البالغة وَالعِلم التَّام ولِهذا قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.(٢)

فيا أيُّها الرَّسول الكريم امضِ في طريقك، وبلغ رسالة ربِّك، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩]، ولا تُهلك نفسك همَّاً وغمَّاً وحُزناً من أجل هؤلاء الذين أعرضوا عن الحق، واعتنقوا الباطل، وظنوا أنهم بذلك يحسنون صُنعا؛ فإنَّ الله ﷻ لا يَخفى عليه شيء مما يفعلون، وسيجازيهم يوم القيامة بما يستحقون من عذاب وعقاب (٣)

ومن قَبيل تلك الآيات التي تسلِّي النَّبي ﷺ بذكر إحاطة عِلم الله ﷻ بأولئك المكذبين قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٤ – ٧٦]، أي: لا يحْزُنْك يا محمَّد قول هؤلاء المشركين: إنَّك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا يحْزُنْك تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك؛ فإنَّا

---

(١) انظر : انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٣٣٦٩، تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٦٥٠ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٠٧/١١ .

(٣) انظر : التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٤٩٨/١، أيسر التفاسير _ الجزائري _ ٣٤١/٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعلم أنَّ الذي يدعوهم إلى قول ذلك هو الحسد الذي ملأ قلوبهم، وهم يعلمون أنَّ الذي جئتهم بـه ليس بشعرٍ، ولا يُشبه الشعر، ويعلمون أنَّك لست بكذَّاب، فنحن نعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.[1]

المطلب الثاني

بيان سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين

وَرَدَ في كتاب الله ﷻ آياتٌ كثيرةٌ تبين سُنَّة الله ﷻ في إهلاك الأمم التي كذَّبت رُسُلها، فلقد ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز قصص العديد من الأقوام الذين رفضوا دعوة الرُّسل وكذبوهم وعادوهم، فكانت عاقبة أولئك المكذِّبين أن أنزل الله عليهم أصناف الهلاك والدمار، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " كانت عقوبة كل منهم بما يناسبه: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[فصلت: ١٥]، فجاءتهم ريح صرصر شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب، تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدناً بلا رأس،﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]... ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ وهم ثمود، قامت عليهم الحُجَّة، وظهرت لهم الدلالة من تلك النَّاقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وهددوا نبيَّ الله صالحاً ومن آمن معه، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم؛ فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات... ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾، وهو قارون الذي طغى وبغى، وعصى الرَّبَّ الأعلى، ومشى في الأرض مرحاً، وتاه بنفسه، واعتقد أنَّه أفضل من غيره، واختال في مشيته؛ فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة... ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما، أُغرقوا عن آخرهم في صبيحةٍ واحدةٍ فلم ينج منهم مُخبر... ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي: فيما فعل بهم ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: إنَّما فعل ذلك بهم جزاءً وفاقاً بما كسبت أيديهم " [2]

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٥٥٣/٢٠، البحر المديد _ الإدريسي _ ٦ /١٦١

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ٥١١/١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المواضع القرآنية التي بينت هذه السنَّة أيضاً ما ذكره الله ﷻ من قصة قوم نوح عليه السلام، حيث بيَّن الله ﷻ عاقبة تكذيبهم لرسولهم، وذلك أنَّ الله ﷻ أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام والأوثان، فمكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، ورغم صبره عليهم ونصحه لهم واستخدامه كافة الوسائل والأساليب في دعوتهم، إلا أن ذلك كله لم ينفع، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ – ٩] ، لقد أصرَّ القوم على كفرهم وعنادهم، وبالغوا في المعاندة والاستهزاء، وزعموا أن نوحاً عليه السلام ساحرٌ أو مجنون، ولم يؤمن به ولم يستجب لدعوته إلا قليل منهم.. فلما طال الزمان بهم وطالت مجادلتهم ويئس نوح عليه السلام من صلاحهم، لجأ إلى الله تعالى يدعوه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧] ، فعند ذلك أهلكهم الله ﷻ، وطهَّر الأرض من شركهم ودنسهم، فأرسل عليهم الطُّوفان؛ فغرقوا جميعاً، ونجَّى الله نوحاً ومن معه من المؤمنين في السفينة، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤] .(١)

ومن هذه المواضع أيضاً ما قصه الله ﷻ علينا من خبر قوم لوط عليه السلام، أولئك القوم الذين كانوا يرتكبون فاحشة لم يرتكبها أحد من الأمم قبلهم، وهي إتيان الذكور شهوة من دون النساء، فبعث الله ﷻ إليهم لوطاً عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك الفاحشة كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠،٨١]، ولكنَّهم أصرُّوا وتمادوا في فاحشتهم، وأبوا أن يستجيبوا لنبي الله؛ فجاءتهم سنَّة الله في المكذبين والمجرمين، كما جاءت لمَن قبلهم، فلمَّا كان الصباح جعل الله بلادهم عاليها سافلها، وخَسَفَ بهم الأرض، وأرسل عليهم حجارة من السماء، فأهلكوا جميعاً، ونجى الله لوطاً عليه السلام وأهله، إلا امرأته؛ لأنها لم تتابعه على دينه، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].(٢)

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٤٣/٩

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص٢٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآيات التي في هذا الباب كثيرة، لا يمكننا إيجاز ذكرها في مطلب واحد، والذي يعنينا في هذا المطلب أن نقف من خلال التأمُّل في هذه الآيات وأمثالها في كتاب الله ﷻ على ما فيها من التسلية والمواساة للنبي ﷺ، فإن كان قومه قد كذبوه وآذوه؛ فإنَّ من قبلهم _ وكانوا أشد منهم قوة _ قد كذبوا رُسُلهم أيضاً؛ فحلَّ بهم العذاب والهلاك، وهذه سنة ربانية لا تتغير ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣].

ولقد طمأن الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ وسلاه، وذلك من خلال ما ذكره سبحانه من وعيد شديد بالخزي في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، لمن كذب النبي ﷺ وآذاه _ وذلك في غير موضع من القرآن الكريم _، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، قال القرطبي: " قال القشيري: والحزن على كُفر الكافر طاعة؛ ولكن النبّي ﷺ كان يُفرط في الحزن على كفر قومه، فنهي عن ذلك " (١)

ومن الآيات التي تصبِّر النبي ﷺ بما تشتمل عليه من الوعيد للكافرين المعاندين، الذين رفضوا دين الحق واتبعوا الهوى والضلال، رفضوا التوحيد وأصروا على الشرك استكبارا بغير الحق قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [غافر: ٦٩ – ٧٧]، ففي هذه الآيات تهديد شديد ووعيد عظيم من الله ﷻ لأولئك المشركين، الذين يجادلون في آيات الله، المكذبين بالكتاب وبما جئتهم به يا محمد، فحين تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم سيعلمون حقيقة وصحة ما هم به اليوم مكذّبون، ويا لحسرتهم حين يضلون آلهتهم المزعومة، حينها يشعرون بشدة الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، وفي الآية الأخيرة من هذه الآيات آنس الله نبيه ووعده بقوله:﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي في نصرك وإظهار أمرك؛ فإن

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٨٦/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك أمر إمَّا أن ترى بعضه في حياتك فتقر عينك به، وإما أن تموت قبل ذلك فإلى أمرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون [١]

ومن تلك الآيات التي تتوعد الكفار المكذبين قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٠ – ١٣]، يا له من تهديد ووعيد تقشعر له الأبدان، حين يأمر الجبار نبيه ﷺ أن يترك أولئك المكذبين، ويخلِّ بينه وبينهم، فهُم بشر من البشر من خلق الله ﷻ، هو الذي أنشأهم ابتداءً، وهو الجبار سبحانه بهم كفيل، وعليهم قدير.. فذرني والمكذبين.. فهي دعوتي، وما عليك إلا البلاغ، دعهم يكذبون وسأتولى أنا حربهم، فاسترح أنت من التفكير في شأنهم[٢]

أمَّا قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]، فهي أيضاً فيها تسلية للنبي ﷺ بذكر ما للمكذبين من خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة، وهذه الآية لها سبب نزول، ففي صحيح مسلم عن البراء بن عازب ﷺ قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمماً [•] مجلوداً، فدعاهم فقال: **(هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم)** قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم فقال: **(أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم)** قال: لا ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنَّه كَثُر في أشرافنا فكنَّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم؛ فقال رسول الله ﷺ: **(اللهم إني أول مَن أحيا أمرك إذ أماتوه)** فأمر به فرجم؛ فأنزل الله: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾** [٣]

---

(١) انظر : جامع البيان _ الطبري _ ٤١٦/٢١، تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٠٩/١٢، المحرر الوجيز _ ابن عطية _ ٥٧٠/٤

(٢) انظر : في ظلال القرآن _ سيد قطب _٣٨١/٧

(•) المحمم: المسود الوجه، والتحميم: تسويد الوجه بالفحم (انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين _ الحميدي _ ص ٤٤)

(٣) صحيح مسلم _ كتاب الحدود _ باب رجم اليهود أهل الذمةِ في الزنا _ ١٢٢/٥ _ ح ٤٥٣٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى إلى أن لا يأسى ولا يحزن على أمثال هؤلاء؛ فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ فإن الذين يُحزن عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهراً وباطناً، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغِ به بدلا " (١)

إنّ المتأمّل في الآيات السابقة، وفي غيرها من الآيات التي فيها وعيد للمعرضين المكذبين، يشعر بأنَّ في هذه الآيات جانباً كبيراً من التسلية والمواساة للنبي ﷺ، فهذه الآيات تقرر وتؤكد أن لله ﷻ سنة لا تتغير ولا تتبدل في معاقبته للمكذبين، وهو سبحانه عليم حكيم، وليس بظلام للعبيد، فما على النبي ﷺ _ وسائر الدعاة من بعده _ إذا اشتد حزنهم بسبب أذية وتكذيب الناس لهم، ما عليهم إلَّا الصبر وانتظار أمر الله ﷻ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

المطلب الثالث

بيان سنة الله ﷻ في نصرة المرسلين

ومن أوضح وأبرز منهجيات القرآن في مواساة وتسلية النبي العدنان ﷺ، ما اشتملت عليه العديد من الآيات القرآنية من بيان لسنة الله ﷻ في نُصرة رسله وأنبيائه، فمن ذلك ما ورد في قصص الأنبياء عليهم السلام، حيث بيَّن الله ﷻ في هذه القصص كيف نصر أنبياءه على أعدائهم المكذبين، فكانت العاقبة دائماً للأنبياء ومن معهم من المؤمنين.

ومن الملاحظ أنَّ هذا النصر للأنبياء له أشكال متنوعة، فمن ذلك:

١- **المَنَعَة والحماية:** فقد يكون نصر الله للنَّبي بمعنى المنعة والحماية له من أعدائه، كما حصل ذلك لنبي الله صالح ﷺ حين تآمر عليه تسعة من المفسدين ليقتلوه فأهلكهم الله وقومهم أجمعين، قال ﷻ في ذلك: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝ قَالُواْ تَقَٰسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا

(١) تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص٢٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿يَشْعُرُونَ ۞ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٤٨ – ٥١]، ومن قبيل هذا النص أيضاً نصر الله لنبيه عيسى عليه السلام، إذ نجاه من اليهود ومنعهم من قتله، ورفعه إليه، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

٢– **العون على الأعداء:** والعون على الأعداء من النصر الذي أعطاه الله ﷻ لرسله وأنبيائه على أعدائهم؛ كما حصل لمحمَّد ﷺ من العون على أعدائه في غزوة بدر وحنين وفتح مكة وغيرها.

٣– **الظفر المادي والتمكين:** فقد مكّن الله تعالى لكثير من الأنبياء والمرسلين؛ فظفروا بأعدائهم، كما حصل لسليمان وداود عليهما السلام.

٤– **الانتقام من الأعداء وإهلاكهم:** وهذا الانتقام قد يكون في حال وجود النَّبي بينهم، وذلك كما حصل من إهلاك الله ﷻ لقوم نوح وعاد وثمود؛ فقد أهلكهم الله ونصر أنبياءه ونجى الله المؤمنين، وقد يكون بعد وفاته، كما انتقم الله ﷻ ممن قتل يحيى وزكريا عليهما السلام، حيث سلَّط على أولئك القتلة أعداءهم فسفكوا دماءهم وأهانوهم، وكما انتقم الله ممن أراد صلب المسيح عيسى عليه السلام ؛ من اليهود فسلَّط عليهم الروم؛ فأهانوهم وقتلوهم وظهروا عليهم.

٥– **الغلبة بالحجَّة والبرهان:** إنَّ نصر الأنبياء قد يكون أيضاً بالغلبة في المناظرة بالحجة والبرهان، كما حصل لإبراهيم عليه السلام.(١)

فجميع الرُّسل منصورون _ بإذن الله _، وهذا وعدٌ من ربِّ العزة سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات: ١٧١ – ١٧٣] قال ابن كثير: " أَيْ تقدَّم فِي الكِتَاب الأوَّل أَنَّ الْعَاقِبَة للرُّسل وَأتباعهم فِي الدُّنيَا وَالآخِرة " (٢)

إنَّها سنة ربانية لا تتبدل، ولا تتغير ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، النَّصر والغلبة للرُّسل والمؤمنين في الدارين، في الدنيا والآخرة، ولا ينتقض ذلك بما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحيانا إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر(٣)

" إنَّ وعد الله قاطع جازم:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ بينما يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل، ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذَّباً مطروداً،

---

(١) انظر : زاد المسير _ عبد الرحمن الجوزي ٢٣٠/٧، السنن الإلهية _ زيدان _ ص٣٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ٤٣٢/١٢

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ٩٧/١، روح المعاني _ الألوسي _ ٧٦/٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن المؤمنين فيهم من يسام العذاب، وفيهم من يلقى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد.. فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا ؟ ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل!.. ولكن الناس يقيسون بظواهر الأمور، ويغفلون عن قيم كثيرة وحقائق كثيرة في التقدير، إنهم يقيسون بفترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان، وهي مقاييس بشرية صغيرة، فأمَّا المقياس الشامل؛ فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر، ولا بين مكان ومكان، ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك، وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها؛ فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها، وأوَّل ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها!؛ فلا يقتصر معنى النَّصر على صور معينة معهودة، قريبة الرؤية؛ ولكن صور النَّصر شتى " [1]

الأمر لا يحتمل الريب، ولا يتطرق إلية الشك، لأن الله قد كتب ذلك وقضى به، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] أثبت الله ﷻ ذلك في اللوح المحفوظ وقضاه، وأراد وقوعه في الوقت الذي يشاؤه، فهو سبحانه قوي قادر لا يغلبه غالب؛ بل هو القاهر فوق عباده.[2]

وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية، أنَّه لمَّا فتح الله ﷻ للمؤمنين ما فتح من الأرض، قال المؤمنون: إنَّا لنرجو أن يفتح الله لنا فارس والروم؛ فقال بعض المنافقين: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي تغلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا، من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزلت [3]

وبعد هذا كله يظهر لكلِّ متأمل مُنصف أنّ الآيات التي فيها بيان لسنن الله ﷻ في نصرة المرسلين وإهلاك المكذبين، نلتمس فيها كثيراً من المواساة للنبي ﷺ، وبهذا يمكن القول إنَّ من أساليب ومنهجيات القرآن في مواساة النَّبي ﷺ بيان بعض سنن الله ﷻ.

---

(١) في ظلال القرآن _ سيد قطب _٢٦٢/٦

(٢) انظر : روح المعاني _ الألوسي _ ٣٤/٢٨

(٣) انظر : الجانع لأحكام القرآن _ القرطبي ٣٠٦/١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

مواساة النبي ﷺ ببيان معية الله ﷻ له

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان حفظ الله ﷻ لنبيه ﷺ ورعايته.

المطلب الثاني: بيان منزلته ﷺ عند ربه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس هناك مواساة وتسلية للمؤمن أكثر من أن يشعر بأنَّ الله ﷻ معه؛ يحفظه، ويؤيده، وينصره، حينها لا يخشى العبد المؤمن شيئاً، وإن اجتمعت عليه جيوش الدنيا بكامل قوتها؛ لأن العبد في هذه الحالة يشعر بأنَّه يأوي إلى ركن شديد، ويعتصم بالقوي العزيز، الذي بيده نواصي الخلق، وهو على كل شيء قدير.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث _ بإذن الله تعالى _ عن الآيات التي تبين معية الله ﷻ لنبيه ﷺ؛ للوقوف على ما فيها من المواساة الربانية لخير البرية ﷺ، ليكون ذلك مسلياً لكلِّ من أحبَّ المصطفى ﷺ، وسار على هديه، واقتفى أثره، وسلك سبيله في الدعوة إلى الله ﷻ.

المطلب الأول

بيان حفظ الله لنبيه ﷺ ورعايته

لقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بتبليغ الدعوة التي أرسله بها، وأمره ألا يخشى في ذلك أحداً؛ لأن الله ﷻ قد تكفل بحفظه وعصمته من الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ففي هذه الآية ينادي ربُّنا ﷻ على نبيه ﷺ بوصف الرسالة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾وفي ذلك تشريفٌ له وتكريم، وتمهيدٌ لما يأمره به الله ﷻ، من وجوب تبليغ ما كُلِّف بتبليغه إلى الناس دون أن يخشى أحدا سواه؛ لأنَّ الله ﷻ هو الذي خلقه وربَّاه، وتعهَّده بالرِّعاية والحماية، وهو الذي اختاره لحمل هذه الرسالة دون غيره، فمن الواجب عليه ﷺ أن يبلِّغ جميع ما أنزل إليه منه سبحانه.(١)

ولقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات كثيرة؛ ولكن الذي تميل إليه نفس الباحث أنَّ هذه الروايات لا تعدُّ سبباً للنزول؛ وإنما هي روايات حول الآية، والجو الذي نزلت فيه، قال الفخر الرازي _ بعد أن ذكر عشرة أقوال في سبب نزولها_: " واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمل الآية على أن الله ﷻ آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن سياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها " (٢)

---

(١) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٥٧/٦، التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٢٤/٤

(٢) مفاتيح الغيب _ ٣٩٩/١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال الشيخ سيد طنطاوي معلقاً على كلام الرازي: " وهذا الذي قاله الإمام الرازي هو الذي تسكن إليه النفس، أي أن الآية الكريمة ساقها الله ﷻ لتثبيت النبي ﷺ وتقوية قلبه وأمره بالمضي في تبليغ رسالته بدون خوف من أعدائه الذين حدثه عن مكرهم به وكراهتهم له، حديثاً مستفيضاً، وقد بشره_ سبحانه_ في هذه الآية بأنه حافظه من مكرهم وعاصمه من كيدهم " (١)

ومعنى الآية: عليك يا محمَّد أن تبلِّغ رسالة الله، دون أن تخشى أحداً سواه، والله ﷻ يحفظك من كيد أعدائك ويمنعك من أن تعلق نفسك بشيء من شبهاتهم واعتراضاتهم، ويصون حياتك عن أن يَعتدي عليها أحد بالقتل أو الإهلاك؛ فالمراد بالعصمة هنا: عصمة نفسه وجسمه ﷺ من القتل أو الإهلاك، وعصمة دعوته من أن يحول دون نجاحها حائل، وهذا لا ينافي ما تعرض له ﷺ من بأساء وضراء وأذى بدني؛ فقد رماه المشركون بالحجارة حتى سالت دماؤه الشريفة، وشج وجهه وكسرت رباعيته في غزوة أحد.(٢)

" والمراد بالناس في الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ المشركون والمنافقون واليهود ومن على شاكلتهم في الكفر والضلال والعناد، إذ ليس في المؤمنين الصادقين إلا كل محب لله ولرسوله ﷺ " (٣)

ولقد عصم الله ﷻ حياة رسوله ﷺ عن أن يصيبها قتل أو إهلاك على أيدي الناس، مهما دبروا له من مكر وكيد؛ لقد نجاه من كيدهم عندما اجتمعوا لقتله في دار الندوة، ليلة هجرته إلى المدينة، ونجاه من كيد اليهود عندما هَمُّوا بإلقاء حجر عليه وهو جالس تحت دارٍ من دورهم، ونجاه من مكرهم عندما وضعت إحدى نسائهم السم في طعامٍ قُدِّم إليه ﷺ... إلى غير ذلك من الأحداث التي تعرض لها النَّبي ﷺ من أعدائه؛ ولكن الله ﷻ نجاه منهم (٤)

وهناك آثارٌ تشهد بأنَّ النَّبي ﷺ كان يُحرس من بعض أصحابه، فلمَّا نزلت هذه الآية صرفهم عن حراسته؛ ومن هذه الآثار ما أخرجه الترمذي والحاكم بسندهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القُبَّة وقال: (**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله ﷻ**) (٥)

---

(١) التفسير الوسيط _ ٢٢٣/٤

(٢) انظر : روح المعاني _ ١٩٩/٦، اللباب في علوم الكتاب _ ٤٤١/٧ .

(٣) التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٢٥/٤

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٨٨/٥ – ٢٩١

(٥) سنن الترمذي _ أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ _ باب : ومن سورة المائدة _ ١٣٨/٥ _ ح ٣٠٤٦، وصححه الألباني (انظر: السلسلة الصحيحة _ ٧٤٤/٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الآيات التي ذكرت وعد الله ﷻ للرسول الكريم ﷺ بالحفظ والعصمة من النَّاس قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧]، وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب، الذين قالوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]، فجاءت هذه الآية لتبين لأهل الكتاب أنه لا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان الذي عند المؤمنين المتبعين للنبي ﷺ.

ثم بينت الآية لأهل الكتاب أنَّهم إن رفضوا تلك الهداية وتولوا فسيكونون في شقاق، أي هم في شق، والله ورسوله في شق، ويلزم من هذه المشاقة: العداوة البليغة تجاه رسول الله ﷺ، وسيبذلون ما يقدرون عليه من أذية له ﷺ؛ فلهذا وعد الله ﷻ رسوله ﷺ، بأن يكفيه إيَّاهم؛ فهو سبحانه السميع العليم المحيط بما بين أيديهم وما خلفهم؛ فاطمئن يا رسول الله فقد كفاك الله شرهم.(١)

" وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد، وفي ذلك معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر " (٢)

إنَّ الله ﷻ ناصرٌ عبده ونبيه محمداً ﷺ، وحافظه، وكافيه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]، وهذه الآية نزلت رداً على قريش حين قالوا للنبي ﷺ: إنَّا نخاف أن تخبلك آلهتنا، ويصيبك مضرتها لعيبك إيَّاها. وفي رواية قالوا: لتكفنَّ عن شتم آلهتنا أو ليصيبنَّك منهم خبل أو جنون، وذلك معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأوثان التي اتخذوها آلهة من دون الله تعالى. وهذا القول من قريش مشابه لما قاله قوم هود حين قالوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤] (٣)

ولقد جاءت الآية بصيغة الاستفهام المنفي، وفي ذلك إنكار ونفي شديد لعدم كفايته تعالى لعبده ونبيه محمد ﷺ على أبلغ وجه وآكده، كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحدٌ على أن يتفوه بعدمها، أو يتلعثم في الجواب بوجودها، وهذه تسلية عظيمة لرسول الله ﷺ (٤)

---

(١) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ٤١١/١، تفسير القرآن _ السمعاني _ ١٤٦/١

(٢) تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص٦٨ .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم _ أبو السعود _ ٢٥٥/٧، روح المعاني _ الألوسي _ ٥/٢٤

(٤) انظر : الكشاف _ الزمخشري _ ٣٠٦/٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وفي استحضار الرسول ﷺ بوصف العبودية وإضافته إلى ضمير الجلالة، معنى عظيم من تشريفه بهذه الإضافة وتحقيق أنه غير مُسلِمه إلى أعدائه " (١)

وقريب من معنى هذه الآيات _ التي تبين معية الله ﷻ لنبيه ﷺ وحفظه له _ قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨]، حيث يأمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ بالصبر وعدم الحزن وعدم ضيق الصدر من إعراض المشركين، ومكرهم وأذاهم، ثم علَّلَ الله ﷻ هذا النهي وذاك الأمر بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه، وهذه معية خاصة كقوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ [الأنفال: ١٢] وقوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦] (٢)

إذا كان الله القوي العزيز مع نبيه ﷺ، فليس على النبي من بأس، ما عليه إلا الجهر والصدع بدعوة ربِّه ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾[الحجر: ٩٤، ٩٥]، يقول الله ﷻ في هذه الآية لنبيه محمد ﷺ: إنَّا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك، ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، وبلِّغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله، ولا تخفهم؛ فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم. (٣)

وكان رؤساء المستهزئين قوماً من قريش معروفين؛ كما ورد في الروايات التي تناقلها المفسرون، ومن هذه الروايات ما نقله ابن كثير قال: " عن محمد بن إسحاق قال: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم: من بني أسد أبي زمعة، كان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال " اللهم أعم بصره وأثكله ولده "، ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة، ومن بني سهم العاص بن وائل، ومن خزاعة الحارث ابن الطلاطلة، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾، قال ابن إسحاق فحدث يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى

---

(١) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٢/٢٤

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٧٠/٨، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣٣٨/١٤ .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ١٥٤/١٧، أضواء البيان _ الشنقيطي _ ٣٢٠/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بطنه فمات منه، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله _ وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش _ فانتقض به فقتله، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله " (١)

يقول الشعراوي: " وكل مستهزيء برسول الله ﷺ قد ناله عقابٌ ما، ومَنْ لم تُصِبْه عاهة أو آفة صرعتْه سيوف المسلمين في بدر، لدرجة أن رسول الله ﷺ قد حدد المواقع التي سيلْقى فيها كل واحد من صناديد قريش حَتْفه؛ فقال: هنا مصرع فلان، وهناك مصرع فلان " (٢)

نعم كلُّ من استهزأ بالرسول ﷺ سيناله عقوبة من ربِّه، وكلُّ من اعتدى على شخص النبي ﷺ بفعل أو قول فلينتظر سخط الله عليه، وهذا أمر معروف مطرد على مر العصور _ ليس فقط في حياة النبي ﷺ _، والأخبار في ذلك كثيرة مشهورة، تعج بها كتب الحديث والسير، أقتصر هنا على ذكر خبر واحد منها حصل في زمن النبوة، فعن أنس رضي الله عنه قال: **(كان رجل نصرانياً، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه)** (٣)

وفي أيامنا هذه ونحن نرى ونسمع تطاول بعض الكفرة المجرمين على شخص النبي الكريم ﷺ، نعلم علم اليقين أنَّ الله ﷻ ناصرٌ نبيه ومنتقم ممن استهزأ به أو انتقصه شيئاً من حقه، عاجلاً أم آجلاً، إن لم يعجل له في الدنيا فله العذاب المهين في الآخرة، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، وأحب هنا أن أذكر قصة سمعتها ذكرها الشيخ أبو إسحاق الحويني _ حفظه الله _ عن صديق له يعمل طبيباً؛ حيث ذكر أنَّ رجلاً من غير المسلمين، له مكانة في دينه، دفعه الحقد الأعمى على الإسلام، وعلى رسول الإسلام إلى أن يقوم بكتابة اسم النبي محمدٍ ﷺ على أسفل قدمه؛ ليدوس على هذا

(١) تفسير القرآن العظيم _ ٨/٢٨٥، وانظر: الدر المنثور _ السيوطي _ ٥/١٠٠

(٢) تفسير الشعراوي _١/ ٤٨٣٢

(٣) صحيح البخاري _ كتاب المناقب _ باب علامات النبوة في الإسلام _ ٤/٢٠٢ _ ح٣٦١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاسم الشريف كلَّما قام وكلَّما مشى، فماذا كانت عقوبته ؟ وكيف انتقم الله لنبيه ؟ يقول الطبيب الراوي _ وقد كان هو المعالج لهذا الحاقد _: لما أراد ذاك الرجل الكافر أن يقوم على قدمه، شعر بألمٍ شديدٍ لا يُحتمل، ولم يَخطُ خطوة على قدمه؛ بل نُقل سريعاً إلى المشفى، فقام الأطباء بإعطائه حقن دواء لتسكين الألم؛ ولكنهم تفاجؤوا بما حصل للرجل، حيث رأوا جلده ينصهر عن لحمه، لدرجة أن الطبيب قال أصبحنا نرى عضلات الجسم بلا جلد !! فسبحان الله العزيز الجبار.[1]

ومن أعظم ما يُشعر المؤمنَ بعظيم رعاية الله ﷻ لنبيه ﷺ قول الله تعالى لزوجتي النبي ﷺ حفصة وعائشة رضي الله عنهما وعن والديهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤]، حيث جاءت هذه الآية في قصة تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه _ على الرأي الراجح [2]_، والقصة صحيحة ذكرها الشيخان بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها: **أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير[3]، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: (لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له) فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾**[التحريم: ١] [4]

قال السعدي _ رحمه الله _: " الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سببًا لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت، أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهنَّ، من الورع والأدب مع الرسول ﷺ واحترامه، وأن لا يشققن عليه، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي: تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكن، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل

---

(١) القصة ذكرها الشيخ أبو إسحاق في حلقة خاصة بثتها قناة الناس على الهواء مباشرة يوم الخميس ٢٥ ذي القعدة ١٤٣٣، الموافق ٢٠١٢/١٠/١١ .

(٢) ذهب بعض المفسرين إلى أن آيات سورة التحريم نزلت في قصة تحريم النبي ﷺ مارية القبطية على نفسه . (انظر : البحر المديد _ الإدريسي _ ١٢٠/٨، الكشاف _ الزمخشري _ ١٥٩/٦)

(٣) المغافير : واحدها مغفور، شبيه بالصمغ، فيه حلاوة، يخرج من شجر يقال له العرفط، إذا أكل منه النحل ظهر ريحه في العسل . (لسان العرب : ٣٢٧٥/٥)

(٤) صحيح البخاري _ كتاب الأيمان والنذور _ باب إذا حرَّم طعامه _ ١٤١/٨ _ ح ٦٦٩١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانًا لهذا الرسول الكريم ﷺ. وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى " [١]

فإذا كان كلُّ هذا التحذير والترهيب لزوجتين من زوجات الرسول ﷺ لأنهما تجاوزتا في غيرتهما الطبيعية على رسول الله ﷺ، فكيف يكون الحال إذا كان هناك اعتداء على شخص النبي ﷺ ؟!

" وفى هذه الآية الكريمة أقوى ألوان النصر والتأييد للرسول ﷺ، وأسمى ما يتصوره الإنسان من تكريم الله ﷻ لنبيه ﷺ، ومن غيرته ﷻ عليه، ومن دفاعه عنه ﷺ " [٢]

المطلب الثاني

بيان منزلته ﷺ عند ربه

لقد بيَّنت كثيرُ من آيات القرآن العظيم منزلةَ النبي ﷺ عند ربِّه، ولقد مَرَّ معنا في المباحث والمطالب السابقة الكثير من هذه الآيات، وسوف يمر معنا _ إن شاء الله تعالى _ آياتٌ أخرى في هذا الموضوع في المطالب المتبقية من هذا الفصل؛ ولكن هناك آياتٌ ذات طَابع خاص في بيان منزلة النبي ﷺ عند الله ﷻ، لا يمكن لنا أن نتحدث عن المواساة الربانية لخير البرية ﷺ دون أن نعرج على تلك الآيات البينات، التي توضح المنزلة الرفيعة، والدرجة العالية للنبي محمد ﷺ.

فمن هذه الآيات: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦]، يا لها من مكانة لا يشابهها مكانة، ومنزلة لا يقاربها منزلة، حيث أثنى الله ﷻ بنفسه الكريمة على نبيه ﷺ ثناءً كبيراً، وبين أيضاً أنَّ الملائكة يثنون عليه ﷺ، ويدعون له بالظفر بأعلى الدرجات وأسماها، وأمر سبحانه عباده المؤمنين أيضاً بأن يُعظِّموا النبي الأمين ويوقروه توقيراً كبيراً

قال القرطبي ما ملخَّصه: هذه الآية شَرَّف الله بها رسوله ﷺ في حياته وبعد موته، وذكر منزلته منه.[٣]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن _ ص٨٧٢

(٢) التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٤٢٥٣

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ ٢٣١/١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال ابن كثير: " والمقصود من هذه الآية الكريمة، أن الله ﷻ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عِنده في الملأ الأعلى: بأنَّه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأنَّ الملائكة تُصلي عليه، ثم أمر الله أهل العالم السُفلي بالصلاة والتسليم عليه ﷺ؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَين العلوي والسفلى جميعاً " (١)

" والتعبير بالجملة الاسمية في صدر الآية، للإِشعار بالمداومة والاستمرار على ذلك، وخص المؤمنين بالتسليم على النبي ﷺ، لأن الآية وردت بعد النهى عن إيذاء النبي ﷺ، والإِيذاء له ﷺ إنما يكون من البشر لا من الملائكة " (٢)

وقد وردت أحاديث متعددة في فضل الإِكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وفي كيفية الصلاة عليه، وقد ساق المفسرون الكثير منها في كتبهم (٣)

ومن هذه الآيات التي تبين منزلة النبي ﷺ عند ربِّه ﷻ قوله تعالى مخاطباً نبيه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨]، يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر، ويعلل هذا الأمر ببيان الرعاية الربانية، كأنَّ المعنى: اصبر لأنك بأعيننا، أي نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك، نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه بك فنحن نجازيك على ما تلقاه ونحرسك من شرهم وننتقم لك منهم. وهذا مثل قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] ، أي بحفظي وحراستي (٤)

وجمع العين هنا ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ لإضافته إلى ضمير الجمع ووحد في آية سورة طه ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ لإضافته إلى ضمير الواحد، ونقل الألوسي عن العلامة الطيبي قوله: " إنَّه أفرد هنالك لإفراد الفعل وهو كلاءة موسى عليه السلام، وههنا لمَّا كان لتصبير الحبيب على المكايد ومشاقِّ التكاليف والطاعات، ناسب الجمع؛ لأنَّها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه ﷻ انتهى، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم " (٥)

ومن تعظيم الله لنبيه ﷺ أنَّه سبحانه شرع أحكاماً خاصة في شأن معاملة المسلمين للنبي ﷺ، فلا يجوز أن يعامل الرسول ﷺ معاملة عادية كما يعامل بعضنا بعضاً؛ فمثلاً نهى الله ﷻ

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ٢١٠/١١ .

(٢) التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٤٣/١١

(٣) راجع : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٣٢٠/٢٠ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٨٤/٢٧، إرشاد العقل السليم _أبو السعود _ ١٥٣/٨

(٥) روح المعاني _ الألوسي _ ٤٠/٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن دعاء الرسول باسمه كما يدعو بعضنا بعضاً، فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[النور: ٦٣]، قال الشيخ السعدي في هذه الآية: " أي: لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم، ودعائكم للرسول ﷺ كدعاء بعضكم بعضاً؛ فإذا دعاكم فأجيبوه وجوباً، حتى إنَّه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس لأحد إذا قال قولاً يجب على الأمة قبول قوله والعمل به إلا الرسول ﷺ؛ لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] ، وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول ﷺ كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: " يا محمد " عند ندائكم، أو " يا محمد بن عبد الله " كما يقول ذلك بعضكم لبعض؛ بل من شرفه وفضله وتميزه ﷺ عن غيره أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله "[(١)]

ومن هذه الأحكام الخاصة في معاملة النبي ﷺ مطلع سورة الحجرات، حيث قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[الحجرات: ١ – ٥] ، أي يا من آمنتم بالله ﷻ حق الإيمان: احذروا أن تتسرعوا في الأحكام، فتقولوا قولاً، أو تفعلوا فعلاً يتعلق بأمر ديني، دون أن تستندوا في ذلك إلى الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ؛ ولكن اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون، إنَّ الله سميع لأقوالكم، عليم بجميع أحوالكم.

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: " هذه آداب أدب الله ﷻ بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام "[(٢)]

وفي الآية الثانية من السورة، ينادي الله ﷻ مرة أخرى على المؤمنين: يا من آمنتم بالله واليوم الآخر.. واظبوا على توقيركم واحترامكم لرسولكم ﷺ، ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته عند مخاطبتكم له، ولا تجعلوا أصواتكم مساوية لصوته ﷺ حين الكلام معه، ولا تنادوه باسمه مجرداً، بأن تقولوا له _ كما تقولون لبعضكم البعض _: يا محمد، ولكن قولوا له: يا رسول الله، أو يا نبي الله [(٣)]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن _ ص٥٧٦

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ٢٨٠/١٠

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ سيد طنطاوي _ ٢٩٩/١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الشنقيطي _ رحمه الله _: " قال ابن كثير: وقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: إنَّما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ﷺ خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدرى "(١)

ثم مدح الله ﷻ الذين يغضون أصواتهم فى حضرة الرسول ﷺ فقال:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

وقد دلت آياتٌ من كتاب الله ﷻ على أن الله ﷻ لم يخاطب نبيه ﷺ في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم كقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، مع أنه ﷻ قد نادى غيره من الأنبياء بأسمائهم، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾، أمَّا النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما ذكر في غير ذلك، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

(١) أضواء البيان _ ٤٠٣/٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

مواساة النبي ﷺ بأمره بملازمة الذكر والعبادة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أمره بمداومة الصلاة والتسبيح والاستغفار.

المطلب الثاني: أمره بالإكثار من تلاوة القرآن.

المطلب الثالث: أمره بالثبات على العبادة حتى يلقى ربه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ المتأمِّل في القرآن الكريم، يرى أن كثراً من آياته موجهةٌ إلى شخص النبي ﷺ، تأمره بالعبادة والصَّلاة والتَّسبيح والذِّكر والاستغفار وتلاوة القرآن...، وفي هذه الأوامر الربانية الحكيمة عظيم مواساة وتسلية للنبي ﷺ.

فإن العبادات هي غذاء الروح، وشفاء النفس، وراحة البدن، فكيف لا تَحيى روحٌ إذا سَمت إلى بارئها ؟!، وكيف لا تطيب نفس إذا اتصلت بربها ؟!، وكيف لا يرتاح جسد تقرب لخالقه وخشع له ؟!.

وسيتعرض الباحث في هذا المبحث _ إن شاء الله _ لهذا الجانب من جوانب المواساة القرآنية لسيد البشرية محمدٍ ﷺ، إنَّها المواساة بالأمر بِشغل العُمر بالعبادة، التي هي الغاية الأسمى لكل من اتصف بالعبودية لله ﷻ، وهذه المواساة من أعظم ما يُواسى بها كلُّ مؤمن مبتلىً.

المطلب الأول

أمره ﷺ بمداومة الصلاة والتسبيح والاستغفار

لقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالمداومة على التسبيح والصلاة، ليكون في ذلك عوناً له ﷺ على حمل أعباء الدَّعوة؛ فمن بداية نزول الوحي على قلبه ﷺ، كان الأمر بالصلاة، والحث على الاستعانة بها، والإكثار منها، خاصة في سكون الليل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١ – ١٠]، فهذه الآيات من أوَّل ما نزل على قلب الحبيب ﷺ، حيث إنه لم ينزل قبلها إلا سورتان أو ثلاث كما قال العلماء.(١)

إنَّ الرِّسالة التي حَملها النبي ﷺ، وأُمِر بتبليغها لهي تكليفٌ ثقيلٌ، وعبءٌ عظيمٌ، فلا بدَّ من التهيؤ لها، ولا بدَّ من الاستعداد لتحمل أمانتها العظمى، لذا كان الأمر بأشرف العبادات، وفي آكد الأوقات، كان الأمر بالصلاة، وكان الأمر بالذكر والانقطاع لله ﷻ.(٢)

---

(١) أول ما نزل من القرآن صدر سورة العلق، ثم سورة القلم، ثم المُزَّمِّل (انظر : البرهان _ الزركشي _ ١٩٣/١، مناهل العرفان _ الزرقاني _ ٢٨٧/١)

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص٨٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الله ﷻ لمَّا أمر نبيه ﷺ بصلاة الليل فكأنَّه قال: إنَّما أمرتك بصلاة الليل لأنَّا سنلقي عليك قولاً عظيماً؛ فلا بد وأن تستعدَّ لذلك القول العظيم، ولا يحصل ذلك الاستعداد إلا بصلاة الليل [١]

يقول سيد قطب _ رحمه الله _: " إنَّ هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة، والعبادة فيه ذات أسرار، ومن أسرارها أنَّها زاد الطريق، وأنَّها مدد الروح، وأنها جلاء القلب. وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر، إنَّ الله ﷻ حينما انتدب محمداً ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل، قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، هو قيام الليل وترتيل القرآن.. إنَّها العبادة التي تفتح القلب، وتُيسِّر الأمر، وتَفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان، وإنَّ قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية، والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنَّما هو يتنزَّل من الملأ الأعلى.. إنّ هذا كلَّه هو الذي ينير القلب في الطريق الشاق الطويل، وهو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والجهد الكبير، الذي ينتظر الرسول ﷺ وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل " [٢]

إنَّ سورة المُزَّمل بما فيها من أوامر حكيمة؛ بالصلاة والذكر والعبادة، لهي سورة زاخرة بما يُدخل التسلية والصبر على قلب النبي ﷺ [٣]

وليست سورة المُزَّمِّل هي السورة الوحيدة التي اشتملت على هذه الأوامر الحكيمة؛ بل توالت الآيات التي تأمر النبي ﷺ بالصلاة والتسبيح بعد هذه السورة، ولم تنقطع، ومن الجدير بالملاحظة أنَّ معظم هذه الآيات هي آيات مكية، في سور مكية [٤]، فسورة الأعراف والحجر وطه وغافر وق والطور والحاقة والإنسان [٥] _ وهذه هي السور المشتملة على أمر النبي ﷺ

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب _ الرازي _ ١٥٤/٣٠

(٢) في ظلال القرآن _ ٣٧٩/٧

(٣) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ١٥٠/١٥

(٤) يستثنى من هذه السور سورة النصر فهي باتفاق سورة مدنية، وورد فيها أمر النبي ﷺ بالتسبيح والاستغفار

(٥) يرى بعض المفسرين أنَّ سورة الإنسان من السور المكية الخالصة، ويرى آخرون أنها من السور المدنية ؛ قال الألوسى وأبو حيان : "هي مكية عند الجمهور" (روح المعاني _ ١٥٠/٢٩، البحر المحيط _ ٣٨٥/٨)، والذي تطمئن إليه النفس أن هذه السورة، من السور المكية الخالصة، فإن أسلوبها وموضوعها ومقاصدها كل ذلك يشعر بأنها من السور المكية (انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣٧٠/٢٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالصلاة والتسبيح _ كلها سور مكية، وهذا يوضح لنا خصوصية المرحلة المكية، حيث كان النبي ﷺ في مواجهة دائمة مع المشركين والمكذبين، وهو ﷺ وأصحابه مستضعفون أمام قوى الكفر التي اجتمعت على معاندته ومعاداته.

إنَّ أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ بالتسبيح والصلاة ورد في القرآن الكريم بضع عشرة مرة[1]، ولقد جاء الأمر بالمداومة على هذه العبادات العظيمة، في ساعات النهار وساعات الليل، وذلك في آيات عدة من كتاب الله ﷻ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۞ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۞ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾[طه: ١٢٨ – ١٣٠]، يقول السعدي _ رحمه الله _: " هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سبباً وناشئاً عن الذنوب، ملازماً لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى ونفوذ كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة؛ ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر " [2]

إنَّ المداومة على الصلاة وتسبيح الله ﷻ وذكره يشرح الصدر ويجلو الهَمَّ، ويفرِّج الكَرب، ويُؤنس النفس، ويُطمئن القلب، وإنَّه ليستعان على الشدائد والمصائب بالصبر والصلاة، وهذا أصل قد أُكد عليه في آيات عدة من كتاب الله ﷻ. [3]

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المقصود بالتسبيح في الآيات السابقة _ وما يشبهها من الآيات _ إنما هو الصلوات الخمس، فقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾

---

(١) من ذلك : قول الله تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ حيث وردت هذه الآية الكريمة في كتاب الله ثلاث مرات ؛ مرتين في سورة الواقعة (آية ٧٤، ٩٦) ومرة في سورة الحاقة (آية ٥٢)

(٢) تيسير الكريم الرحمن _ ٥١٦

(٣) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ١٦٧/٩، تفسير العدوي _ شريط رقم ٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصود منه صلاة الصبح، وقوله: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي: صلاة العصر، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: صلاة العشاء، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾أي: صلاة الظهر والمغرب؛ لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر؛ فهي في طرفين منه؛ والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب.(١)

ومن الآيات التي تأمر _ أيضاً _ بالمداومة على التسبيح والصلاة ليكون في ذلك عوناً للنبي ﷺ، قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[ق: ٣٩، ٤٠]، فهذه الآية تأمر النبي ﷺ بالصبر والاشتغال بالله ﷻ _ بالتسبيح والتحميد _ عن هؤلاء المكذبين، وليكن هذا التسبيح والتحميد مستمراً في الأوقات الفاضلة، في الفجر والعصر، وفي الليل، وعقب الصلوات، وقيل: المراد بالتسبيح: الصلوات الخمس نفسها، فالمراد بما قبل الطلوع: صلاة الفجر، وبما قبل الغروب: الظهر والعصر، وبما من الليل: المغرب والعشاء والتهجُّد، وبأدبار السجود: النوافل بعد المكتوبات.(٢)

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩] ، حيث أمرت هذه الآية بالتسبيح حين القيام للصلاة الليل، أو المراد حين القيام إلى الصلوات الخَمس، وكذلك عند إدبار النجوم في آخر الليل، ويدخل في ذلك صلاة الفجر، والله أعلم.(٣)

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۞ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤، ١١٥] ، فهذه الآيات فيها أمر بإقامة الصلوات، وفيها بيان لبعض ثمرات الصلاة، وهي أنَّ الصلوات مكفرات للذنوب والخطايا، كما جاء في الحديث: (**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**)(٤)، وفي الآية أيضاً أمر بالصبر، وتسلية حكيمة بالتذكير بأنَّ أجر المحسنين لا يضيع عند الله ﷻ، فهو سبحانه يوفيهم أجور أعمالهم كاملة من غير نقص ولا بخس (٥)

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٦١/١١، أحكام القرآن _ ابن العربي _ ٢٦١/٣

(٢) انظر : البحر المديد الإدريسي _ ١٩٦/٧، فتح القدير _ الشوكاني _ ١١٤/٥

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص٨١٨

(٤) صحيح مسلم _كتاب الطهارة _ باب الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن _ ١٤٤/١ _ح ٥٧٤

(٥) انظر : إرشاد العقل السليم : أبو السعود _ ٢٤٥/٤، معالم التنزيل _ البغوي _ ٢٠٤/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الاشتغال بالصلاة وحث الأهل عليها لهو من أعظم ما يسلي العبد المؤمن ويواسيه عما يلقاه في دنياه من متاعب، ويتعرض له من مصاعب، ولقد أُمِرَ النبي ﷺ بحث أهله على الصلاة والاصطبار عليها بعد أن نهاه الله ﷻ عن مد النظر إلى ما عند بعض المشركين من متاع زائل؛ من مال وجاه وولد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢]، إنَّ ما عند هؤلاء من متاع دنيوي بمثابة الزهرة التي سرعان ما تلمع ثم تذبل وتزول، وإنما آتاهم الله إياه للابتلاء والاختبار؛ فإن آمنوا وشكروا فازوا، وإن استمروا في طغيانهم وجحودهم وكفرهم، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وفي هذا تنفيرٌ للعقلاء من التطلع إلى ما بين أيدي الكفار من متاع؛ لأن هذا المتاع سيئ العاقبة، إذا لم يستعمل في طاعة الله ﷻ [١]

وقوله ﷻ: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ تذييل قصد به الترغيب فيما عند الله ﷻ من طيبات؛ فما رزقك الله إياه- أيُّها الرسول الكريم- في هذه الدنيا من طيبات. وما ادخره لك في الآخرة من حسنات، خير وأبقى مما متع به هؤلاء الكافرين من متاع زائل سيحاسبهم الله ﷻ عليه يوم القيامة حسابا عسيراً، لأنهم لم يقابلوا نعم الله عليهم بالشكر، بل قابلوها بالجحود والكفران.[٢]

وفي بعض الآيات ورد الأمر بالتسبيح مقروناً مع الأمر بالاستغفار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥]، والاستغفار في حق النبي المعصوم ﷺ محمول على التوبة عن ترك الأولى والأفضل، أو محمول على ما كان قد صدر عنه ﷺ قبل النبوة، وقيل أيضاً المقصود منه محض التعبد، أو أن هذا الأمر للنبي ﷺ لتقتدي به أمته [٣]

والمراد بالعشيِّ والإبكار: قيل صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: الإبكار عبارة عن أول النهار إلى النصف، والعشيِّ عبارة عن النصف إلى آخر النهار، فيدخل فيه كل الأوقات، وبالجملة فالمراد منه المواظبة على ذكر الله. وأن لا يفتر اللسان عنه.[٤]

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٣ – ٢٦]،

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٨٣/٩.

(٢) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ١٦٩/٩ .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٥٢٩/٢٧.

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٢٤/١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى في آخر سورة الحجـــر: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ – ٩٩]

يقول الزحيلي: " التسبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان، وطريـــق الخـــروج من الأزمات والمآزق والكروب. وغاية القرب من الله تعالى حال السجود؛ لذا خص السجود هنا بالذكر " (١)

وهذا الأمر بالتسبيح يستمر حتى اكتمال مهمة النبي ﷺ بتبليغ الدعوة، والإعلام بـــاقتراب أجله ﷺ، فهذه سورة النصر _ وهي من آخر ما نزل من القرآن _ تأمر النبي ﷺ بالتسبيح بحمـــد الله والاستغفار عند مجيء نصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجـــاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النـــصر: ١، ٣]، فما كان من النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة إلا أن امتثل لأمر ربه ﷻ، وظل لاهجاً بالتسبيح والاستغفار حتى لقي ربه، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبـــي ﷺ آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلا قال: (**سبحان الله وبحمده، اســـتغفر الله وأتوب إليه**) قال: (**فإني أُمرت بها**)، ثم قرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلى آخرهـــا(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلا يقول: (**سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**) (٣)

المطلب الثاني

أمره بالإكثار من تلاوة القرآن

إنَّ تلاوة القرآن الكريم من العبادات التي ورد فيها أمر صريح في القرآن الكريم للنبـــي ﷺ بالمحافظة والمداومة عليها، وذلك في عدة مواضع من كتاب الله ﷻ؛ فمن أوائل ما نزل مـــن القرآن قوله تعالى في مطلع سورة المزمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١، ٤]، حيث إن هذه الآيات فيها أمر للنبي ﷺ بترتيل القرآن

---

(١) التفسير المنير _ ٧٧/١٤

(٢) مسند الإمام أحمد _ ٣٥/٦ _ ح٢٤١١١، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحيح البخاري _ كتاب التفسير _ تفسير سورة إذا جاء نصر الله _ ١٧٨/٦ _ ح٤٩٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع أنَّه حين نزولها لم يكن نزل من القرآن إلا سورتان أو ثلاث [١]، والترتيل: جعل الشيء مرتَّلاً، أي مفرقاً، وأصله من قولهم: ثَغْر مرتَّل، وهو المفلَّج الأسنان، أي المفرق بين أسنانه تفرقاً قليلاً بحيث لا تكون النواجذ متلاصقة. وأريد بترتيل القرآن ترتيل قراءته، أي التمهل في النطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحةً مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع. وفائدة هذا الترتيل أن يرسخ حفظه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بأذهانهم، ويتدبر قارؤه وسامعه معانيَه، وأكد هذا الأمر بالمفعول المطلق لإفادة تحقيق صفة الترتيل.[٢]

والأمر بالترتيل في الآية يجوز أن يكون متعلقاً بقيام الليل، أي رتل قراءتك في القيام، ويجوز أن يكون أمراً مستقلاً بكيفية قراءة القرآن، في الصلاة وغيرها، وهذا أولى لأن القراءة في الصلاة تدخل في ذلك [٣]

ولقد جاء الأمر بتلاوة القرآن في مواضع أخرى من كتاب الله ﷻ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٧] وهذه الآية جاءت عقب ذكر قصة أصحاب الكهف، التي سأل المشركون النبي ﷺ عنها، ليختبروه وليضيقوا عليه فأنزل الله ﷻ الردَّ عن أسئلتهم، ثمَّ جاء الأمر بتلاوة القرآن، وكأنَّ تلاوة القرآن هي الملجأ والملاذ عند الشدائد، يقول الشعراوي: " بعد هذه الأسئلة التي سألك كفار مكة إياها، وأخبرك الله بها فأجبتهم، اعلم أن لك رباً رفيقاً بك، لا يتخلّى عنك ولا يتركك لكيدهم، فإنْ أرادوا أن يصنعوا لك مأزقاً أخرجك الله منه، وإياك أنْ تظنَّ أن العقبات التي يقيمها خصومك ستُؤثّر في أمر دعوتك، وإنْ أبطأتْ نُصرْة الله لك فاعلم أن الله يريد أنْ يُمحِّص جنود الحق الذين يحملون الرسالة إلى أن تقوم الساعة، فلا يبقى في ساحة الإيمان إلا الأقوياء الناضجون، فالأحداث والشدائد التي تمرُّ بطريق الدعوة إنما لتغربل أهل الإيمان حتى لا يصمد فيها إلا مَنْ هو مأمون على حَمْل هذه العقيدة " [٤]

فالأمر بتلاوة القرآن أمر رباني حكيم، وتلاوة القرآن تسلية للقلب وانشراح للصدر، يقول الإدريسي: " القرآن شفاء لكل داء فمن نزلت به شدة حِسِّية أو معنوية، دنيوية أو دينية، ففزع إليه بالتلاوة أو الصلاة به، رأى فَرَجًا قريبًا، فالالتجاء إلى كلام الله هو الالتجاء إلى الله،،

---

(١) سبق بيان ذلك ص ٧٠

(٢) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٦٠/٢٩

(٣) انظر : أحكام القرآن _ ابن العربي _ ٣٢٧/٤

(٤) تفسير الشعراوي _ ٨٨٧٣/١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما من التجأ إلى غير الله فقد خاب رجاؤه وبطل سعيه؛ قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ تميل إليه فيأويك. والله تعالى أعلم "[1]

ومن الآيات التي ورد فيها أمر النبي ﷺ بتلاوة القرآن أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، فبينت هذه الآية أنَّ تلاوة القرآن هي ممَّا أُمِر به النبي ﷺ بعد الأمر بعبادة الله وحده، والتسليم والانقياد لأوامره، والأمر بالتلاوة هنا يشمل تلاوة القرآن على الناس للتبليغ، ويشمل أيضاً التلاوة الفردية في صلاة الليل وغيرها [2]

ولقد بين الله ﷻ أنَّ في القرآن العظيم كفاية وغنى للعبد المؤمن فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۞ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، ففي هذه الآية يمتن الله ﷻ على رسوله ﷺ بتلك النعمة العظيمة التي لا يماثلها نعمة، وفي ذلك طمأنة للنبي ﷺ وتسلية عظيمة.

والمراد بالسبع المثاني حسب ما رجَّحه جماعة من المفسرين سورة الفاتحة، وسميت بذلك، لأنَّها سبع آيات، ولأنَّها تثنى أي تكرر في كل ركعة من ركعات الصلاة. وقيل: السبع المثاني هي: السبع الطوال، فيكون عطف " القرآن العظيم " على ذلك من باب عطف العام على الخاص.[3]

والذي تميل إليه النفس أنَّ المراد بالسبع المثاني سورة الفاتحة؛ وذلك للأحاديث الصحيحة المصرحة بذلك، ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري عن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ: **(أم القرآن هي: السبع المثاني والقرآن العظيم)** [4]

وإذا كان الله قد أعطى رسوله ﷺ القرآن العظيم مع السبع المثاني فقد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ، ولذلك قال بعده:﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أي: لا

---

(١) البحر المديد _ ١٥٥/٤

(٢) انظر : المحرر الوجيز _ ابن عطية ٢٧٤/٤، التفسير المنير _ الزحيلي _ ٤٨/٢٠

(٣) وهناك أقوال أُخرى في معنى السبع المثاني ذكرها الطبري في تفسيره (انظر: جامع البيان _١٧ /١٢٨-١٤٠)

(٤) صحيح البخاري _ كتاب التفسير _ باب قوله " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني " _ ٨١/٦ _ ح ٤٧٠٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعجب إعجاباً يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغترَّ بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم [١]

يقول الزحيلي: " وهذا دليل على أن القرآن ثروة كبرى وخير وفلاح، القرآن العظيم هو النعمة العظمى على النبي ﷺ وعلى المسلمين، لا يقاس بها أي شيء آخر من مال أو ثروة أو غير ذلك " [٢]

" وقد نُقل عن أبي بكر الصديق ﷺ أنَّه قال: من أوتى القرآن، فرأى أن أحدًا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى، فقد صغَّر عظيمًا، وعظَّم صغيرًا " [٣]

المطلب الثالث

أمره بالثبات على العبادة حتى يلقى ربه

ورد الأمر الرَّبَّاني الحكيم للنَّبي ﷺ بالعبادة في غير موضع من كتاب الله ﷻ، ففي مطلع سورة الزمر يقول ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١، ٢]، فبعد أن ذكر سبحانه تنزيل كتابه العزيز على نبيه الكريم ﷺ بالحقِّ الذي لا يشوبه باطل، جاء الأمر بالعبادة الخالصة لله ﷻ، فالفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه ﷺ بالحق، فالمعنى: وما دام الأمر كذلك فعليك أن تخلص لربِّك عبادتك وطاعتك ودينك إخلاصاً تاماً، لا يحوم حوله رياء أو تفاخر، أو غير ذلك مما يتنافى مع إخلاص الخضوع لله ﷻ وحده [٤]

أمَّا في خاتمة سورة هود فقد جاء الأمر للنبي ﷺ بعبادة ربِّه مقروناً بالأمر بالتوكل عليه ﷻ، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، إنَّ الله ﷻ يخبر في هذه الآية _ عن نفسه أنَّه عالم غيب

---

(١) أنظر : التفسير المنير _ الزحيلي ٧٠/١٤، الكشاف _الزمخشري _ ٤١٧/٣

(٢) التفسير المنير _ ٧٠/١٤

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ١٤١/١٧

(٤) انظر : إرشاد العقل السليم _ أبو السعود _ ٢٤٠/٧، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٤٦٧/١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السموات والأرض، وأنَّه إليه المرجع والمآب، فله الخلق والأمر، وسيؤتي كل عامل جزاء عمله يوم الحساب، وما دام الأمر كذلك؛ فإنَّه ﷻ كافٍ من توكل عليه وأناب إليه [١]

وهذه الآية الأخيرة من سورة هود جاءت بعد آيات عظيمات فيها مواساة عظيمة للنبي ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۞ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [هود: ١٢٠ – ١٢٢] ، حيث بين سبحانه في هذه الآيات أهم الفوائد التي تعود على الرسول ﷺ من وراء إخباره بأحوال الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وهو تثبيت قلبه ﷺ، وتقوية يقينه، وتسلية نفسه ونفوس أصحابه عمَّا لحقهم من أذى في سبيل تبليغ دعوة الحق إلى الناس، ثمَّ أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بالسير في طريق الحق بدون مبالاة بتهديد أعدائه فقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۞ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [٢]

أمّا في سورة مريم فقد جاء الأمر بالعبادة متبوعاً بالأمر بالاصطبار عليها، قال ﷻ: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ، أي الزم طاعته، وسلِّم لأمره ونهيه، وصبِّر نفسك على الانقياد لأمره، والعمل بطاعته، تَفُز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مِثل له، ولا عَدل له، ولا شبيه في جُوده وكرمه وفضله، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾. [٣]

وفي سورة الكهف أُمِرَ النبي ﷺ بملازمة أهل الطاعة والعبادة، الذين يدعون ربَّهم ليل نهار، ليس لهم قصد إلا إرادة وجه الله ﷻ، قال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] ، فهؤلاء المؤمنون الصادقون الملازمون لعبادة ربهم هم من يجب أن يحبس العبد نفسه معهم، فهم أهل الإخلاص، الذين يتقربون إلى الله ﷻ بالطاعات، لا من أجل دنيا يصيبونها، ولا من أجل إرضاء النَّاس؛ وإنَّما هم يبتغون بعبادتهم رضا الله وحده، لا شيئاً آخر من حظوظ الدنيا؛ فما أجمل مجالستهم، وما أطيب مخالطتهم، وما أسعد من حبس نفسه معهم.[٤]

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٩٢/٧

(٢) انظر : التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٩٥/١٢، التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٩٥/٧-٢٩٦

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٢٦/١٨

(٤) انظر : روح المعاني _ الألوسي _ ٢٦٢/١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها: أنَّها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم مع ضعفاء أصحابه، كبلال وعمَّار وابن مسعود، فنهاه الله ﷻ عن ذلك، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء الفقراء.(١)

يقول سيد قطب " اصبر نفسك مع هؤلاء؛ صاحبهم وجالسهم وعلِّمهم، ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات، فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة؛ ولا على من يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع؛ ولا على من يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع، وليتجروا بها في سوق الدعوات؛ إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه " (٢)

ولقد امتثل النبي ﷺ لأمر ربه ﷻ في ملازمة أولئك المؤمنين المخلصين، نقل ابن كثير عن الطبراني بسنده عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ... ﴾ الآية فخرج ﷺ يلتمسهم، فوجد قوماً يذكرون الله تعالى؛ منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: (**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم**) (٣)

إنَّ عبادة الله ﷻ هي غاية خلق الإنسان، وما دام العبد حيَّاً فلا بُدَّ وأن يظل عابداً لربه سبحانه، وليس للعبد حصن يأوي إليه، أو ملجأ يلوذ به عند الشدائد أعظم من الفزع إلى عبادة الله ﷻ وحده، والتذلل له والخضوع بين يديه، وهذا المعنى نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٧ – ٩٩]، فإنَّ الله ﷻ قد بين لنبيه ﷺ ما الذي يفرِّج ضيق صدره، ويُذهب حُزنه وأسفه على قومه، إنَّه التسبيح والصلاة والعبادة، فكان الأمر الرباني الحكيم بملازمة العبادة لله ﷻ حتى يلقى العبد ربَّه ﷻ (٤)

---

(١) انظر : الدر المنثور _ السيوطي _ ٣٨٠/٥، تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ١٢٧/٩

(٢) في ظلال القرآن _ ٢٢٦٨/٤

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ١٢٨/٩، والحديث رواه أبو داود بلفظ آخر (كتاب العلم _ باب في القصص _ ٣٦٢/٣ _ ح ٣٦٦٨)، وضعفه الألباني

(٤) انظر : أضواء البيان _ الشنقيطي _ ٣٢٣/٢، التفسير المنير _ الزحيلي _ ٧٤/١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

مواساة النبي ﷺ ببيان نِعَم الله عليه وما أعد له من الثواب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مغفرة الله له وما أعطاه من فضائل في الدنيا.

المطلب الثاني: ثناء الله ﷻ عليه وعلى أصحابه الكرام.

المطلب الثالث: بيان ما أعده الله له من الثواب في الآخرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الحديث عن فضائل النبي ﷺ، وما خصه به ربُّه ﷻ من النعم والكرامات في الدنيا والآخرة، لهو حديثٌ طويلٌ عظيمٌ، لا يكفي لتناوله مبحث من مباحث فصل معين، وإنما يحتاج إلى كتب ومؤلفات كبيرة؛ ولكن ما يذكره الباحث في هذه المطالب _ الموجزة _ ما هو إلا إشارات سريعة، ومقتبسات نزيرة، ذكرها الباحث في ثنايا الحديث عن منهجيات وأساليب القرآن الكريم في المواساة والتسلية للنبي ﷺ.

وممَّا لا شَك فيه أنَّ التذكير بنعم الله، والشعور بها لهو من أبلغ أساليب التسلية والمواساة للعبد المؤمن، ولقد بين ربنا سبحانه لنبيه ﷺ ما أفاض به عليه من خيري الدنيا والآخرة، ففضل الله على نبيه عظيم، لا يمكن أن يخطه قلم أو يحويه كتاب ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

المطلب الأول

بيان مغفرة الله له ﷺ وما أعطاه من فضائل في الدنيا

إنَّ من أعظم نِعَم الله ﷻ على عبده ونبيه محمدٍ ﷺ، أنه سبحانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقد أخبر ربنا ﷻ بهذا في كتابه العزيز فقال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ – ٣]، فهذه الآيات الكريمات التي افتتحت بها سورة الفتح تفيض بالبشارات السامية، والمدائح العالية للنبي ﷺ، بشارات بالفتح المبين، وبشارات بالمغفرة العامَّة الكبرى، وبشارات بتمام النعمة الإلهية، وبشارات بالنصر العزيز.. ولقد بينت هذه الآيات أنَّ الله ﷻ قد أكرم نبيه ﷺ إكراماً لا يدانيه إكرام، ومنحه من الخير والفضل ما لم يمنحه لأحد سواه.(١)

ويلحظ المتأمل للآيات أنَّ الله ﷻ قدم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ على المفعول المطلق ﴿فَتْحاً﴾ في الآية الأولى، وعلى الفاعل ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه _ في الآية الثانية _، وذلك للاهتمام به ﷺ، وللإشعار بأن ذلك الفتح كان من أجله ﷺ، وفي ذلك _ أيضاً _ ما فيه من تعظيم أمره ﷺ وبيان لرفعة درجته ﷺ عند ربِّه ﷻ (٢)

والمراد بما تقدم من ذنبه ﷺ ما كان قبل النبوة، وبما تأخر منه ما كان بعدها، والمراد بالذنب هنا بالنِّسبة له ﷺ ما كان خلاف الأولى، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين،

---

(١) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٦١/١٣

(٢) انظر : روح المعاني _ الألوسي _ ٨٩/٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو المراد بالغفران: الحيلولة بينه وبين الذنوب كلها، فلا يصدر منه ﷺ ذنب، لأن غفران الذنوب معناه: سترها وتغطيتها وإزالتها.(١)

وقد جاء بيان مغفرة ذنب النبي ﷺ في موضع آخر؛ مقروناً ببيان بعض ما أنعم الله ﷻ على نبيه ﷺ، وذلك في سورة الشرح، حيث يقول المولى ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ١ – ٤]، فذكر ربنا ﷻ لنبيه ﷺ نعمة شرح الصدر، وقد جاء السياق مؤكداً بالاستفهام المنفي الذي يفيد التقرير والتوكيد ومعنى شرح الصدر كما ذكر ابن العربي: " شرحه حقيقةً، وذلك حين كان عند ظئره [٢]، وحين أسري به، وشرحه معنىً حين جمع له التوحيد في صدره والقرآن، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وشرحه حين خلق له القَبول لكل ما ألقى إليه، والعمل به، وذلك هو تمام الشرح وزوال الترح " [٣]

والمتأمل في الآيات يلاحظ زيادة الجار والمجرور﴿ لك ﴾، وهذه الزيادة لم تأت عبثاً، يقول الإدريسي _ رحمه الله _ " وزيادة ﴿ لك ﴾ وتوسطه بين الفعل ومفعوله للإيذان بأنَّ الشرح من منافعة ﷺ ومصالحة، مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه ﷺ وتشويقاً إلى ما يعقبه... قال في الحاشية الفاسية: والظاهر أنَّه إيثار بما طلبه موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥]، وأنَّه بادَاه به من غير طلب " [٤]

لقد ذكر الله ﷻ نعمته على عبده ونبيه محمدٍ ﷺ بمغفرة ذنبه ووضع وزره ، ثمَّ وصف سبحانه هذا الوزر بأنَّه ثقيل فقال:﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقله حتى سمع نقيضه [٥] نقل القرطبي عن المحاسبي [•] قوله: " وإنَّما وصفت ذنوب، الأنبياء بهذا الثقل، مع كونها مغفورة، لشدة اهتمامهم بها، وندمهم منها، وتحسرهم عليها... وقيل: المراد ذنوب أمتك، أضافها إليه لاشتغال

---

(١) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٢٦١/١٣

(٢) الظئر: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً (انظر: المعجم الوسيط _ مجمع اللغة العربية _ ٥٧٥/٢)

(٣) أحكام القرآن _ ٤١٢/٤

(٤) البحر المديد _ ٤٩١/٨

(٥) نقيضه ؛ أي صوته. وأهل اللغة يقولون : أنقض الحمل ظهر الناقة : إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل (انظر: لسان العرب _ ابن منظور _ ٤٥٢٥/٦)

(•) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. سنة ٢٤٣هـ، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلبه بها، وقيل: عصمناك عن احتمال الوزر، وحفظناك قبل النبوة من الأدناس؛ حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر، وقيل: المراد ثقل الوزر لو لم يعف اللّه عنه " (١)

وذكرت الآيات نعمة أخرى أنعم الله بها على نبيه ﷺ وهي نعمة رفع الذكر،﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال القرطبي: " قال مجاهد: يعني بالتأذين. وفيه يقول حسان بن ثابت ﷺ:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهدُ

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهدُ (٢)

وروي عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى: وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها. ولو أن رجلا عبد اللّه جل ثناؤه، وصدق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول اللّه، لم ينتفع بشيء وكان كافراً " (٣)

أمَّا إذا أردنا الحديث عن الفضائل والكرامات التي أعطاها الله ﷻ لنبيه ﷺ في الدنيا، فهي كثيرة لا يمكن حصرها، والقرآن العظيم مليء بالتنبيه عليها، ولعلنا أن نشير إلى بعضها هنا، فمن هذه الفضائل:

١- أخذ الميثاق له ﷺ من الأنبياء السابقين: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، يقول السعدي: " يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين إنَّه إن بَعث رسولاً مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد عُلِم أنَّ محمداً ﷺ هو خاتمهم وأفضلهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومتبوعَهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم ﷺ "(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ١٠٦/٢٠

(٢) انظر: ديوان حسان بن ثابت _ تحقيق: عبد مهنا _ ص ٥٤

(٣) المرجع السابق _ ١٠٧/٢٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن _ ص ١٣٦، وانظر : البحر المديد _ الإدريسي _ ٤٥٦/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- إنَّه ﷺ خَاتم النبيين: قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فهو ﷺ الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة،.(١)

وفي الحديث الصحيح عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: **(مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا بنيانا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة).**(٢)

٣- إنَّه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنَّ أزواجه أمهاتهم: قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، فهو ﷺ أولى من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه، ووجوب طاعته عليهم، فإذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم. وأزواجه ﷺ أمهات للمؤمنين جميعاً أي مثل أمهاتهم وهو أب لهم وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر إليهن، والخلوة بهنَّ فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب (٣)

٤- إنَّه ﷺ مِنَّة من الله ﷻ على المؤمنين: قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالله سبحانه يمتن ويتفضل على المؤمنين بإرسال نبيه محمداً ﷺ لهم، وبين سبحانه بعض أوصاف هذا النبي، ومنها: إنه عربي من ولد إسماعيل من جنس قومه، مما يدعوهم إلى الاهتداء به والثقة برسالته، ومنها أنه يتلو عليهم آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته وكمال أوصافه، ومنها: أنَّه يزكيهم ويطهرهم من زيف الوثنية وفساد العقيدة الجاهلية ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم، ومنها: أنَّه يعلمهم القرآن والسنة، فيصبح منهم العلماء والكتاب والحكماء والقادة، وإن كانوا من قبل هذا الرسول لفي غي وجهل ظاهر.(٤)

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٧٨/٢٠، الكشاف _ الزمخشري _ ٧٥/٥

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الفضائل _ باب ذكر كونه خاتم النبيين _ ٦٤/٧ _ح ٦٠٩٩

(٣) انظر : اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٥٠٣/١٥

(٤) انظر : التفسير المنير _ الزحيلي _ ١٤٩/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- وجوده بين قومه يمنع نزول العذاب بهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الأنفال: ٣٣]، فوجود الرسول ﷺ بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.(١)

وهناك فضائل أخرى كثيرة لا مجال لتعدادها، منها أنَّه ﷺ بعث رحمة للعالمين﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومنها أنَّه ﷺ بعث للناس كافة بشيراً ونذيراً ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ: ٢٨]، ومنها ما خصه الله ﷻ به من رحلة الإسراء والمعراج ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وغير ذلك كثير...

وقبل أن ننتقل إلى المطلب الثاني لابد أن نقف سريعاً مع سورة الضحى، هذه السورة العظيمة التي نزلت على النبي ﷺ في وقت عسير وحَرِج، حيث انقطع الوحي عن رسول الله ﷺ مدة من الزمن، وكان ذلك في بداية مراحل الدعوة، فصار الكفار يستهزؤون بالنبي ﷺ ويقولون قلاه ربِّه... (٢)، فكان النبي ﷺ في أمس الحاجة إلى مواساة ربِّه ﷻ، فنزلت هذه السورة المباركة، قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۞ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۞ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١ – ١١] ، يقسم الله ﷻ على أنه ما تركك ربك- أيها الرسول الكريم- منذ أن اختارك لحمل رسالته، وما أبغضك ولا كرهك، بل أنت محل رضانا ومحبتنا ورعايتنا.. ثم بشَّره- سبحانه- ببشارتين عظيمتين، قد بلغتا الدرجة العليا في السمو والرفعة، فقال: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾فالدار الآخرة وما أعده الله لك فيها من نعيم لا يحيط به وصف، خير لك من دار الدنيا التي أعطيناك فيها ما أعطيناك؛ من نبوة، وكرامة ومنازل عالية، وخلق كريم. وفضلا عن كل ذلك فأنت- أيها الرسول الكريم- سوف يعطيك ربك من خيري الدنيا والآخرة، كل ما يسعدك ويرضيك، من نصر عظيم، وفتح مبين، وتمكين في الأرض، وإعلاء لكلمة الحق على يدك، وعلى أيدي أصحابك الصادقين، ومنازل عظمى في الآخرة لا يعلم مقدارها إلا الله ﷻ، وبذلك ترضى رضاءً تاماً بما أعطاك- سبحانه- من نعم ومنن. (٣)

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٢٣٠

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٤٨٦/٢٤، روح المعاني _ الألوسي _ ١٥٦/٣٠

(٣) انظر : التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٤٢٨/١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم عدَّد الله ﷻ نعمه على نبيه ﷺ فقال:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ لقد كنت- أيها الرسول الكريم- يتيما، حيث مات أبوك وأنت في بطن أمك، فآواك الله ﷻ بفضله وكرمه، وتعهدك برعايته وحمايته وعصمته، وسخر لك جدك عبد المطلب ليقوم بكفالتك، ومن بعده سخر لك عمك أبا طالب، حيث تولى رعايتك والدفاع عنك قبل الرسالة وبعدها، إلى أن مات، وهذه النعمة الأولى، أما النعمة الثانية: أنك كنت حائراً غافلاً تعيش بين قوم مشركين، فحبب الله إليك الانفراد عنهم، واعتزال شركهم، وهداك إلى الصراط المستقيم، وإلى الدين القويم، والنعمة الثالثة: أنه سبحانه أغناك من فضله بعد أن كنت فقيراً عائلاً؛ فعشت غني النفس غير محتاج لأحد [1]

المطلب الثاني

ثناء الله ﷻ عليه ﷺ وعلى أصحابه الكرام

لقد أثنى الله ﷻ على عبده ونبيه محمدٍ ﷺ ثناءً عظيماً جميلاً، ومن ذلك ما جاء في مطلع سورة القلم حيث يقول ربنا سبحانه: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ١ – ٤]، ففي هذه الآيات يقسم ربنا سبحانه على براءة الرسول ﷺ من التهم التي رماه بها المشركون الحاقدون، ثم ذكر سبحانه ما للنبي ﷺ عند ربه من أجر عظيم، غير ممنون، وغير مقطوع، ثم مدح الله ﷻ نبيه ﷺ مدحاً عظيماً فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإن القلم ليعجز عن بيان ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة، من ثناء من الله ﷻ على نبيه ﷺ [2]، وهذا الخلق العظيم هو ما فسرته أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها لما سألت عنه، فقالت: **(كان خلقه القرآن)** [3]

لقد وصف ربُّنا ﷻ النبي ﷺ بصفات عظيمة، منها أنَّه ﷺ هو الهادي إلى الطريق المستقيم، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ومنها أنَّه ﷺ النور المبين الذي تستنير به الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ

---

(١) انظر : المرجع السابق _ ٤٢٩/١٥-٤٣١

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٨٧٨

(٣) مسند الإمام أحمد _ ٩١/٦ _ ٢٤٦٤٥، ورواه البخاري في الأدب المفرد _ ص ١١٥ _ ح ٣٠٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ١٣١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]، قال الألوسي _ رحمه الله _: " قد جاءكم من الله نور عظيم، وهو نور الأنوار والنبي المختار ﷺ وإلى هذا ذهب قتادة واختاره الزجاج " (١)

ومن الصفات العظيمة التي وصف الله ﷻ بها نبيه ﷺ: أنه ﷺ سراجٌ منيرٌ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، فهو ﷺ السراج الذي جُلِيَت به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير، ووصف السراج بالإنارة في قوله ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ لأن من السُرُج ما لا يُضيء إذا قل سليطه (زيته) ودقت فتيلته (٢)

وقد امتدح الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ، وامتدح أصحابه الكرام معه، فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] ، فشهادة الله ﷻ لمحمدٍ ﷺ بأنه رسول الله هي أعظم شهادة، وأجل مدح له ﷺ، ثم مدح الله ﷻ الصحابة الكرام، حيث وصفهم بصفات عظيمة؛ وصفهم أولاً بالشدة على الكفار، والرحمة فيما بينهم، ثم أخبر النبي ﷺ عنهم بأنه يراهم ركعاً سجداً يبتغون رضوان الله ﷻ، لهم علامات من نور في وجوههم يوم القيامة من كثرة سجودهم.

ثمَّ ذكر سبحانه مثل هؤلاء المؤمنين الصادقين في الإنجيل، وهو أنهم كالزرع، يظهر في أول أمره رقيقاً ضعيفاً متفرقاً، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد، وتعجب جودته أصحاب الزراعة، العارفين بها، فكذلك النبي ﷺ وأصحابه، كانوا في أول الأمر في قلة وضعف، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة، حتى بلغوا ما بلغوا في ذلك.

قال الزمخشري: "وهذا مثل ضربه الله ﷻ لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم. لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قواه الله ﷻ بمن معه. كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، حتى يعجب الزراع " (٣)

---

(١) روح المعاني _ ٩٧/٦

(٢) انظر : الكشاف _ الزمخشري _ ٧٨/٥

(٣) الكشاف _ ٥٥٣/٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم ختم الله ﷻ هذه الأوصاف الجليلة بذلك الوعد الصادق الجميل، فقال:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وعدهم جميعا مغفرة لذنوبهم، وأجراً عظيماً لا يعلم مقداره إلا هو – سبحانه–.(١)

والآيات القرآنية التي تتحدث عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ كثيرة ليس المجال هنا لحصرها، ولكن نذكر شيئاً منها على سبيل المثال:

١– في سورة الأنفال يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]، ففي هذه الآية جمع الله الفضل لفريقي الصحابة، وهم المهاجرون والأنصار، من هاجر، ومن آوى، فشهد لهم بحقيقة الإيمان، ووعدهم بالمغفرة والرزق الواسع الكريم. (٢)

٢– وفي سورة التوبة مدح آخر للصحابة الكرام، حيث قال الله ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩]، وهذه تزكية عظيمة لهم _ رضي الله عنهم أجمعين _ حيث جمعهم الله مع نبيه ﷺ في الإيمان والجهاد والثواب في الآخرة والجزاء بالخلود في الجنات.

٣– ومن الفضائل العظيمة التي سجَّلها القرآن العظيم للصحابة الكرام، شهادة الله لهم بالصدق والإخلاص، وامتلاء قلوبهم بالمحبة والألفة لبعضهم، واتصافهم بالجود والكرم والإيثار، قال الله ﷻ في حق المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[الحشر: ٨] ، فهذه فضيلة للمهاجرين خاصة بأنهم ما تركوا ديارهم وأموالهم إلا نصرة لله ورسوله، وأنهم صادقون فيما أقدموا عليه وأن الله يثيبهم وينصرهم. وبعد هذه الآية مباشرة قال سبحانه عن الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩]، وهذا وصف عظيم للأنصار ممن آوى الصحابة المهاجرين حباً وكرامة، بأنهم أهل الإيمان، وأهل الفضيلة والإيثار، وأن جزاءهم هو الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم، وفي الآخرة النجاة من النار ودخول الجنة والخلود في نعيمها.(٣)

---

(١) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ١١٨/٥

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ص ١٢٤

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٨٨/١٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- لقد بشَّرهم ربُّهم ﷻ في غير موضع من كتابه العزيز بأنَّه قد رضي عنهم، وأعد لهم جزيل الثواب، وبأنَّهم أهل الفلاح والفوز العظيم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] ، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢]، ويا لكمال نورهم وروعة بشارتهم، عندما يكرمهم ربهم مع نبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]، وهذا وعد من الله تعالى للنبي ﷺ ومن آمن معه بالكرامة في الآخرة، وبالشرف التام، والمقام الرفيع، والنور العظيم

والخلاصة: إنَّ القرآن الكريم سجَّل العديد من الآيات التي تبين فضل صحابة النبي ﷺ وما قاموا به من نصرة لدين الله ﷻ، ابتداءً من هجر دين آبائهم، وما جر ذلك عليهم من عداوة الأقربين، ومن تركهم وهجرتهم لأهلهم وبلادهم وأموالهم وأولادهم ابتغاء رضوان الله تعالى، ومن وقوفهم مع النبي ﷺ في قتال المشركين، ومن صبرهم على شظف العيش ومرارة الحياة، ومن إنفاقهم في سبيل الله على قلة ذات أيديهم، كل ذلك سجَّله القرآن الكريم، ليسجل للأجيال أعظم صورة لجيل الصحابة الكرام في بذلهم وعطائهم وصدقهم وإخلاصهم،

وبعد هذه الجولة الشيقة _ الموجزة _ مع فضائل النبي ﷺ، وفضائل أصحابه الكرام، نشعر بأن بيان القرآن الكريم لهذه الفضائل فيه عظيم مواساة وتسلية للنبي ﷺ، وبهذا نعلم أن ذكر هذه الفضائل يعد أسلوباً من أساليب القرآن الكريم في مواساة النبي ﷺ.

المطلب الثالث

بيان ما أعده الله للنبي ﷺ من الثواب في الآخرة

بعد أن عرَّجنا على ما أكرم الله ﷻ به نبيه ﷺ من فضائل نعرِّج في هذا المطلب _ بصورة موجزة _ على ما أعطى الله نبيه ﷺ من كرامات ودرجات رفيعات في الآخرة، حسب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما بين ربنا سبحانه في كتابه العزيز وحسب ما أخبرنا النبي ﷺ؛ لنقف على ما في ذلك من تثبيت للنبي ﷺ وتسلية له.

لقد بشَّر الله ﷻ نبيه ﷺ بأنَّ الآخرة خير له من الأولى فقال سبحانه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] ، ورغم أنَّ ما أوتيه ﷺ من خير الدنيا، من شرف النبوة وغيرها من كرامات وفضائل، وإن كانت مما لا يُعادله شرف، ولا يُدانيه فضل، إلا أنَّ نعيم الآخرة المعد له ﷺ أجل وأعظم؛ فالدنيا لا تخلو من الشوائب والعوارض الشاقة على النفس، والآخرة صافية من الشوائب على الإطلاق [١]

وإنَّ ما وعد الله به نبيه ﷺ من نعم في الآخرة لا يمكن حصرها في وريقات معدودة، ولكن نشير في هذا المطلب إلى بعض هذه النعم:

١- إعطاؤه الشفاعة العظمى والمقام المحمود، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[الإسراء: ٧٩]، ففي هذه الآية يأمر ربنا سبحانه نبيه ﷺ أن يجعل له جانبا من الليل، يقوم فيه، ليصلي صلاة زائدة على الصلوات الخمس التي فرضها الله ﷻ عليه وعلى أمته، ليكون ذلك زيادة في رفع درجاته ﷺ، _ فإن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر _، وليبعثه ربه يوم القيامة مقاماً محموداً، ومكاناً عالياً، يحمده فيه الخلائق كلهم.

والمراد بالمقام المحمود هنا، هو مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة. ليريح الناس من الكرب الشديد، في موقف الحساب، قال الآلوسي: " والمراد بذلك المقام، مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء حيث لا أحد إلا وهو تحت لوائه ﷺ " [٢]، وقد ساق المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية جملة من الأحاديث في هذا منها: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال: **(إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا (أي جماعات) كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً)** [٣]

٢- إعطاؤه الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ١ – ٣]، قال شيخ المفسرين: " واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر، فقال بعضهم: هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ...، وقال آخرون: عُنِي بالكوثر: الخير الكثير...، وقال آخرون: هو حوض أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وأولى هذه

---

(١) انظر : البحر المديد _ الإدريسي _ ٤٨٤/٨

(٢) روح المعاني _ ١٤٠/١٥

(٣) صحيح البخاري _ كتاب التفسير _ باب قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) _ ٨٦/٦ _ ح٤٧١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك، فعن أنس ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: (**بَيْنَما أنا أسيرُ في الجَنَّةِ، إذْ عَرَض لي نَهْرٌ، حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، فقالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أتَدْرِي ما هَذَا؟ هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَ اللهُ إيَّاهُ، وَضَرَبَ بيَدِهِ إلى أرْضِه، فأخْرَجَ مِنْ طِينِه المِسْكَ**) [١] " [٢]

٣- أنَّه ﷺ أول من ينشق عنه القبر، وأول من يجوز الصراط، وأول من يدخل الجنَّة، وقد جاء ذلك كلُّه في أحاديث صحيحة: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**)[٣]، وعنه ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (**فإنكم ترون ربكم كذلك... ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز**) [٤]

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**) [٥]، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: (**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**) [٦]

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الرقاق _ باب في الحوض _ ١٢٠/٨ _ ح ٦٥٨١

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٦٤٩/٢٤

(٣) صحيح مسلم _ كتاب الفضائل _ باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق _ ٥٩/٧ _ ح ٦٠٧٩

(٤) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب معرفة طريق الرؤية _ ١١٢/١ _ ح ٤٦٩

(٥) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب قول النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة ..) _ ١٣٠/١ _ ح٥٠٧

(٦) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب قول النبي ﷺ (أنا أول الناس يشفع في الجنة ..) _ ١٣٠/١ _ ح٥٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

نماذج من مواساة القرآن للأنبياء والصالحين وتفريج كربهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج من مواساة القرآن للرسل والأنبياء وتفريج كربهم.

المبحث الثاني: نماذج من مواساة القرآن للأولياء وتفريج كربهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

نماذج من مواساة القرآن للرسل والأنبياء وتفريج كربهم

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تفريج كربة نبي الله آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: مواساة نوح عليه السلام، وتفريج كربته.

المطلب الثالث: مواساة لوط عليه السلام، وتفريج كربه.

المطلب الرابع: مواساة يعقوب ويوسف عليهما السلام وتفريج كربهما.

المطلب الخامس: تفريج كربة أيوب عليه السلام.

المطلب السادس: تفريج كربة يونس عليه السلام.

المطلب السابع: مواساة موسى عليه السلام، وتفريج كربه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد أن كان الفصل الأول من هذه الرِّسالة مُخصَّصاً للحديث عن منهجيات القرآن في مواساة النبي ﷺ وتسليته، يرى الباحث أنَّه من المناسب أن يُخَصَّصَ الفصل الثاني للوقوف على نماذج من مواساة القرآن الكريم للأنبياء والصالحين وتفريج كربهم؛ لكي تكون الأفكار مترابطة متسلسلة، ثمَّ يأتي بعد ذلك الفصل الثالث _ أن شاء الله تعالى _ ليتناول الحديث عن منهجيات القرآن الكريم في مواساة كل مبتلى مؤمن.

وقد قَسَمَ الباحث الفصل الثاني إلى مبحثين اثنين: الأول خاص بالحديث عن نماذج من مواساة الأنبياء، والآخر للحديث عن نماذج لمواساة بعض الصالحين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم.

المطلب الأول

تفريج كربة نبي الله آدم عليه السلام

آدم عليه السلام هو أبو البَشر، وهو أوَّل نبي، ولقد خصَّه الله ﷻ بكرامات عظيمة؛ حيث خلقه الله سبحانه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم جوانب من قصة آدم عليه السلام؛ فذكر لنا بداية خلقه عليه السلام من طين، وأمر الملائكة بالسجود له، واستخلاف الله له في الأرض، وبيَّن لنا القرآن كذلك موقف إبليس اللعين من آدم عليه السلام، وما أظهره من شدَّة الحسد والاستكبار، حتى دفعه ذلك إلى معصية العلي الجبار، وتطرق القرآن الكريم كذلك إلى قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه الله ﷻ عنها وما تبع ذلك من توبة آدم عليه السلام.

ولقد وردت قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم في سبع سور كريمات، وهي: البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه وص، وفي سور أخرى وردت إشارات موجزة لبعض جوانب من القصة، أمَّا اسم آدم عليه السلام فقد ذُكر في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة(١)، وفي ذلك بيان لأهمية هذه القصة العظيمة، قصة خلق البشرية واستخلافها في الأرض، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]، إنها قصة الصراع والعداوة الأبدية بين آدم عليه السلام وذريته وبين إبليس اللعين، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۞ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[طه: ١١٦]

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ص ٣٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليس المجال هنا _ في هذا المطلب _ للإحاطة بكل جوانب القصة، ولكن ما نريد الوقوف عليه هو ما في القصة من بيان تفريج كربة آدم عليه السلام، هذه الكربة التي أصابته عندما خالف أمر ربِّه عز وجل وأكل من الشجرة التي نُهِيَ عنها، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٩]

فهذه الآيات تخبرنا عن نعمة الله عز وجل على عبده ونبيه آدم عليه السلام؛ حيث أسكنه وزوجه الجنَّة، وأباح له التنعم والاستمتاع بما فيها من خيرات، كما جاء في آية أخرى:﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩]، وأراد الله عز وجل أن يبتلي آدم عليه السلام بنهيه عن الأكل من شجرة معينة في الجنة، فامتثل آدم أمر ربِّه، والتزم حدوده، ثم بدأ العدو اللعين (إبليس) يوسوس لآدم ليخرجه مما هو فيه من النَّعيم، ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠ – ٢١]، لقد استخدم إبليس اللعين أساليبه الشيطانية المتعددة ليغويَ آدم عليه السلام وزوجه، كما جاء في آية أخرى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[طه: ١٢٠]

ولقد نسيَ آدم عليه السلام، ودفعته وساوس الشيطان إلى الأكل من الشجرة التي نُهي عنها، فما أن فعل آدم ذلك بدت له إشارات تبين له أنَّه قد وقع في المعصية ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٢]، قال الإدريسي: " فدلاّهُما بغُرور أي: أنزلهما إلى الأكل من الشجرة بما غرهما به من القَسَم، لأنهما ظنًا أن أحدًا لا يحلف بالله كاذبًا "[(١)] ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[طه: ١٢١]، وهنا علم آدم عليه السلام أنه أخطأ، فاغتم لذلك غماً شديداً، وندم ندماً عظيماً.

---

(١) البحر المديد _ ٣٤٢/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كانت وسوسة الشيطان سبباً لخروج آدم وزوجه من الجنة،﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ...﴾[البقرة: ٣٦]، أخرجا من النعيم والنضرة والسرور، إلى دار التعب والكد والنكد، اهبطا إلى أرض الشقاء والابتلاء والاختبار [١]

ذُكِرَ أنَّ آدم عليه السلام بكى واشتد بكاؤه على خطيئته، وندم عليها ندماً شديداً، وسأل الله عز وجل قَبول توبته، وغفران خطيئته، ولقد كان عليه السلام مبادراً ومسارعاً إلى تلك التوبة، بمجرد شعوره بالمعصية، فما أن أكل هو وزوجه من الشجرة، وبدت لهما سوءاتهما، وعَلِم أنَّه قد عصى ربَّه، أسرع راكضاً في الجنَّة، حياءً من ربِّه عز وجل، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ الله خلق آدم رجلاً طوالاً، كثير شعر الرأس، كأنَّه نخلة سحوق** [٢]**، فلمَّا ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأوَّل ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فلقيته شجرة فأخذت شعره، فنازعها، فناداه الرحمن عز وجل: يا آدم مني تفر، فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا، ولكن استحياء منك والله يا رب مما جئت به**) [٣]

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن سرعة توبة أبينا آدم عليه السلام وزوجه، بمجرد أن سمعا عتاب ربِّهما ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٢،٢٣]

لقد وقع آدم عليه السلام في كَرب شديد؛ فنجَّاه الرحمن من ذلك بأن تاب عليه وألهمه الكلمات التي يستغفر بها عن ذنبه، فتلقاها آدم من ربِّه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، ولقد روى المفسرون في بيان هذه الكلمات روايات عدة، أشهرها: ما روي عن الحسن ومجاهد: أنَّها قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٣]، وقال آخرون: هي أنَّ آدم قال: سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت التواب الرحيم، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ آدم عليه السلام قال: أي ربِّ، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال أي ربِّ، ألم تنفخ فيَّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي ربِّ، ألم تُسكنِّي جنتك؟ قال: بلى، قال: أي ربِّ، ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال آدم عليه السلام: أرأيتَ إن تُبتُ وأصلحتُ أمُرجِعي أنت إلى الجنة ؟ قال: نعم، فهو قوله تعالى:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾. [٤]

---

(١) انظر : البداية والنهاية _ ابن كثير _ ٨٥/١ –٩١ ، تحفة النبلاء _ ابن حجر العسقلاني _ ص ١٩.

(٢) السحوق : الطويلة (انظر: المعجم الوسيط _ مجموعة من المؤلفين _ ٤٢٠/١)

(٣) الحديث ذكره ابن حجر مختصراً في فتح الباري (١٠٦/١٠) ، وانظر : البداية والنهاية _ ٨٥/١ –٩١

(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك _ الطبري _ ٨٥/١ ، المحرر الوجيز _ ابن عطية _ ١٣٠/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذه التوبة العظيمة فرَّج الله ﷻ كُربة نبيه آدم عليه السلام، وخلَّد الله ﷻ هذه التوبة بأن سطَّرها في كتابه العزيز، لتظل نبراساً للعالمين إلى قيام الساعة، ولتتعلم البشرية كلُّها كيفية الرجوع إلى ربِّها سبحانه وتعالى.

ونخلص من هذه الوقفة السريعة مع قصة آدم عليه السلام إلى أنَّ المبادرة إلى التوبة، والمسارعة إلى الاستغفار، هما من أهم وأعظم وسائل تفريج الكربات وإزالة الهَمِّ والغَمِّ؛ فمعصية العبد لربِّه كرب وضَنك، ولا يُزال ذلك الضنك إلا بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

المطلب الثاني

مواساة رسول الله نوح عليه السلام وتفريج كربته

نوح عليه السلام هو عبد الله ورسوله، وهو الأب الثاني للبشرية بعد آدم عليه السلام؛ حيث إنَّ البشر جميعاً بعد نوح عليه السلام إنَّما هم من نسله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، قال القرطبي: " قال ابن عباس: لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءه " (١)، وهو عليه السلام أول رسول على وجه الأرض بعثه الله ﷻ إلى الكفار.(٢)

ولقد ورد اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين مرة (٣)، وذكر ربُّنا ﷻ قصته عليه السلام في غير موضع من كتابه العزيز، حيث وردت قصته في ست سور وهي: الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء القمر وسورة نوح التي جعلها الله ﷻ باسمه عليه السلام، ووردت الإشارة إلى القصة بصورة موجزة في سور أخرى وهي: يونس والأنبياء والعنكبوت والصافات (٤)

أرسل الله ﷻ نبيه نوحاً عليه السلام إلى قومه الذين انخرطوا في الكفر والضلال وعبدوا أصناماً من دون الله، لا تضرهم ولا تنفعهم، أرسله الله إليهم ليكون رحمة لهم وليخرجهم من الظلمات إلى النور، يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد ويحذرهم من عذاب يوم عظيم، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٨٩/١٥

(٢) انظر : المحرر الوجيز _ ابن عطية _ ٤٢٢/١ ، البحر المحيط _ أبو حيان _ ٣٢٣/٤

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ ص٢٧٣

(٤) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ص ٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[نوح: ١].

بدأ نوح عليه السلام بتنفيذ مهمته التي أرسل بها، وبدأ يدعوا قومه بكل جد وعزيمة، فكانت الدعوة هي شغله الشاغل في الليل والنهار، ولقد استخدم في ذلك كل الأساليب الممكنة، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾[نوح: ٥ – ٩]، ولقد استمر نوح عليه السلام يكابد مشاق الدعوة زمناً طويلاً، حيث مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت: ١٤] (١)

لقد كان نوح عليه السلام مشفقاً على قومه، رحيماً بهم، حريصاً على إيمانهم، ولكنَّ قومه لم يستجيبوا لأمره، ولم يتعظوا بوعظه، بل إنَّهم أعرضوا عن دعوته، وردُّوا عليه أسوء ردٍ، وعادوه أشد المعاداة، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام:﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ [نوح: ٧] ، وقال:﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾[نوح: ٢١ – ٢٣]، ولقد كان كبار القوم (الملأ) هم أشدُّ الناس عناداً وتكذيباً لرسول الله نوح عليه السلام، فلقد قالوا عنه بكل سخرية واستهزاء:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٢٤]، و ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الأعراف: ٦٠]، لقد كان الكبر مصيطراً عليهم؛ فطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد المستضعفين من المؤمنين حتى يؤمنوا هم معه (٢)﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾[الشعراء: ١١١]، وقالوا بكل كبر واستعلاء ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

لم يكتفِ قوم نوح بذلك التكذيب وتلك السخرية بنبيهم؛ بل تمادوا في إيذائه ومعاداته عليه السلام فاتهموه بالجنون (٣)، فقالوا: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[المؤمنون: ٢٥]،

---

(١) انظر : في ظلال القرآن _ سيد سابق _ ٣٤٥/٧

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٥٩٤

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٦/١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهددوه بالرَّجم إن استمر في دعوته ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾[الشعراء: ١١٦] ووصل بهم الأمر في النِّهاية إلى حدِّ أنَّهم طلبوا من نبيِّهم أن يأتيهم بالعذاب الذي يحذرهم منه ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢]، ومع كل هذا الإيذاء والتَّكذيب ظلَّ نوح عليه السلام صابراً محتملاً، لا يفقد الأمل في إيمان قومه، وينتظر أمر ربه عز وجل.

لم يؤمن مع نوح عليه السلام طوال هذه السنين الطويلة إلا القليل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، ذكر بعض المفسرين أن عددهم لا يتجاوز الثمانين [(١)]، ورغم ذلك لم يدعُ نوح عليه السلام على قومه إلا عندما أخبره ربُّه أنَّه لن يؤمن معه إلا من قد آمن ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]

لما أخبر الله نبيه نوحاً بأنَّه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، واساه الله عز وجل مواساة عظيمة فقال له: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]، فالله عز وجل ينهى نبيه نوحاً عليه السلام عن الحزن والغَم بسبب تكذيب قومه وأذيتهم له؛ فإنَّه قد حان وقت نزول العذاب بهم [(٢)]

لقد احتمل نوح عليه السلام كثيراً من أذى قومه طوال سني الدعوة الطويلة، وحتى بعد أن أمره ربُّه بصنع السفينة ظل الكفار يسخرون منه ويؤذونه، وممَّا زاد عليه في البلاء بقاء امرأته وابنه مع معسكر الكفر، ولم يؤمنا معه.

لقد كان نوح عليه السلام في كرب عظيم، فالتجأ إلى العلي القدير، ليفرج عنه كربه ويذهب حزنه وغمَّه ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[القمر: ١٠]، لقد دعا نوح عليه السلام رباً سميعاً بصيراً يجيب دعوة الداعِ إذا دعاه، فنجاه من كربه وأذهب عنه غمه ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الصافات: ٧٥، ٧٦]، يقول الشعراوي _ رحمه الله _: " والمراد بالكرب ما لبثه نوح في دعوة قومه من عمر امتد ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما تحمَّله في سبيل دعوته من عَنَتٍ ومشقّة " [(٣)]

وقد يُراد بالكرب أيضاً العذاب النازل على الكفار المكذبين، يقول الرازي في بيان معنى الكرب العظيم: " وفي تفسير الكرب وجوه: أحدها: أنَّه العذاب النازل بالكفار، وهو الغرق، وهذا قول أكثر المفسرين، وثانيها: أنه تكذيب قومه إيَّاه وما لقي منهم من الأذى، وثالثها: أنَّه مجموع

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٥/٩ ، تفسير القرآن _ السمعاني _ ٤٣٠/٢

(٢) انظر : إرشاد العقل السليم _ أبو السعود _ ٢٠٥/٤

(٣) تفسير الشعراوي _ ٩٥٩٦/١٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمرين، وهذا قول ابن عباس ﷺ وهو الأقرب؛ لأنه عليه السلام كان قد دعاهم إلى الله تعالى مدة طويلة وكان يناله منهم كل مكروه، وكان الغم يتزايد بسبب ذلك، وعند إعلام الله ﷻ إيَّاه أنَّه سيغرقهم، وأمره باتخاذ الفلك، كان أيضاً على غَمٍّ وخوف من حيث لم يعلم من الذي يتخلص من الغرق ومن الذي يغرق؛ فأزال الله تعالى عنه الكرب العظيم بأن خلصه من جميع ذلك وخلص جميع من آمن به معه " [1]

لقد نجَّا الله ﷻ نبيَّه نوحاً عليه السلام من الكرب العظيم، بعد أن صبر عليه السلام صبراً عظيماً، والتجأ إلى ربِّه ﷻ مخلصاً يدعوه ويتضرع إليه.

وبعد هذه الوقفة الإيمانية الجميلة مع هذه القصة العظيمة نعلم أنَّ الصبر على الابتلاء، مع حسن التضرع إلى الله ﷻ هما من أعظم وسائل تفريج الهموم والنجاة من الكروب.

المطلب الثالث

مواساة لوط عليه السلام وتفريج كَربه

كان نبي الله لوط عليه السلام معاصراً لنبي الله إبراهيم عليه السلام، وذكر بعض المفسرين أنه كان ابن أخيه [2]، ولقد نزح لوط عليه السلام عن بلد إبراهيم عليه السلام بأمر منه، حيث أمره أن يذهب إلى بلد تسمى سدوم، ليدعو أهلها إلى الإيمان بالله ﷻ، ولقد كانوا من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم؛ وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النساء لعباده الصالحين [3]

بدأ لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش والمنكرات، ولكنهم تمادوا في ضلالهم وأصروا على طغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم.

---

(١) مفاتيح الغيب _ ١٦٣/٢٢

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٤٤/٥

(٣) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ٢٥٥/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد ذكر ربُّنا ﷻ قصة لوط عليه السلام مع قومه في عدة مواضع من كتابه العزيز؛ في سورة الأعراف وهود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات والذاريات والقمر [1]

قال الله تعالى مبيناً لنا محاورة لوط عليه السلام لقومه، وانكاره لما كانوا عليه من الفحشاء والمنكر، وكيف كانت ردودهم القبيحة عليه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۞ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۞ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٨]

وقال سبحانه في موضع آخر:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ – ٨٢]

لقد قام لوط عليه السلام بواجب الدعوة لقومه على أكمل وجه؛ ولكنَّ قومه كانوا في غاية الضلال والتكذيب، والسخرية والاستهزاء بنبيهم، وهذا واضح من ردودهم عليه عندما كان يعظهم وينصحهم وينكر عليهم أفعالهم المشينة، فما كانت إجاباتهم له إلا التهديد بالإخراج من القرية ضجراً منه ومما يسمعونه من وعظه، يريدون أن يخرجوا لوطاً وآله لأنهم أناس يتطهرون، وهذا من سخرية قوم لوط وشدة وقاحتهم، حيث إنهم يفتخرون بما هم عليه من القبح والقذارة، وينكرون على من تطهَّر من ذلك، فما أشد خبثهم، وما أقذر فعلهم !! [2]

ومما يُظهر شدَّة ما كانوا عليه من الكفر والضلال والانخراط في الأقذار ما كان منهم عندما جاءتهم ملائكة الله على صورة بشر ذوي وجوه حسان، فما أن سمع قوم لوط بمقدم هؤلاء الغرباء على بيت نبي الله لوط عليه السلام حتى جاؤوا يهرعون إليهم، ولم يرعوا لنبيهم حرمة أبداً، بل كادوا يقتحمون البيت عليه، وهم لا يعرفون أن من عنده هم رسل الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۞ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۞ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٧ – ٧٩]

---

(١) انظر : تحفة النبلاء من قصص الأنبياء _ الحافظ ابن حجر _ ص٢٣٩

(٢) انظر : الكشاف _ الزمخشري _ ٤٧٠/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أصاب لوطاً عليه السلام ضيق شديد، وحزن عظيم، نتيجة أفعال قومه المخزية، وعدم استجابتهم لدعوة ربِّهم عز وجل، وبلغ هذا الحزن والغم ذروته عندما جاءته الضيفان من الملائكة، فهو لا يعلم بعد أنَّهم ملائكة، وحسبهم من الآدميين، وخشي عليهم من قذارة قومه [1] _ وكان قومه قد اشترطوا عليه ألا يضيف أحداً _، وهنا وفي ذلك الوقت العصيب جاءته المواساة الربانية، حين قالت له رسل الرحمن: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[هود: ٨١]، لقد طمأنت الملائكة لوطاً، وبشرته بهلاك قومه المجرمين، ونجاته ومن معه من المؤمنين، قال تعالى:﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣، ٣٤]

وهكذا يُنَجِّي الله عباده المؤمنين، ينجيهم من كل كرب وحزن، وينصرهم على أعدائهم، ويتم نعمته عليهم، وهذا ما كان لنبي الله لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤، ٧٥]

المطلب الرابع

مواساة يعقوب ويوسف عليهما السلام وتفريج كربهما

قصة يعقوب وولده يوسف _ عليهما السلام _ من أبدع القصص القرآني، لذا قال الله عز وجل في التقديم لهذه القصة العظيمة: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[يوسف: ٣]، ومن مميزات هذه القصة أنَّها جُمعت أطرافها، وأحكم نظمها في مكان واحد من كتاب الله عز وجل _ في سورة يوسف _ ولم تأتِ مفرقة في سور القرآن العظيم، ولله الحكمة البالغة.[2]

(١) انظر : تحفة النبلاء من قصص الأنبياء _ الحافظ ابن حجر _ ص٢٤٠

(٢) انظر : تيسير المنان في قصص القرآن _ أحمد فريد _ ٢٣٢/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه القصة العظيمة مليئة بالفوائد العظام التي يستفيد منها كل متأمِّل لها، ولقد ذكر ابن القيم _ رحمه الله _ أنَّ القصة فيها أكثر من ألف فائدة [1]، وفي هذا المطلب القصير لا يتسع المجال لذكر أطراف القصة بكاملها؛ ولكن يقف الباحث على بعض أحداث القصة باختصار [•]، وبما يتعلق بموضوع المبحث الذي نحن بصدده؛ من بيان بعض ما نال النبيين الكريمين من المِحن والبلايا، وكيف كانت المواساة الربانية لهما، ثمَّ ما أنعم الله به عليهما من فرج وكرامات ونعم عظيمة نتيجة لصبرهما الجميل، واستعانتهما بالله ﷻ.

تبدأ القصة بذكر رؤيا يوسف عليه السلام، قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم، كأنَّ أحد عشر كوكباً، وهم إشارة إلى بقية إخوته، والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه، قد سجدوا له، فهاله ذلك، فلما استيقظ قصها على أبيه، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية، ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها، فأمره يكتمانها وأن لا يقصها على إخوته ؛ كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل.[2]

ثم ذكرت القصة حسد إخوة يوسف له بسبب محبة أبيه له ولأخيه – أي شقيقه لامه بنيامين – أكثر منهم، وهم عصبة وجماعة... ثم تشاوروا فيما بينهم في قتل يوسف أو إبعاده إلى أرض لا يرجع منها؛ ليخلو لهم وجه أبيهم، ولتتمحض محبته لهم.

وقع الإخوة في شراك الشيطان، وقرروا أن يلقوا أخاهم في غيابة الجب، وخطَّطُوا لأخذه من أبيهم ليفعلوا فعلتهم تلك، وتم لهم ذلك، وكان ذلك بداية الابتلاء ليوسف وأبيه _ عليهما السلام _، فلقد شعر الأب بما يدور في نفوس أبنائه من حسد لأخيهم، وهذا أمر ثقيل على الأب الرحيم المشفق، ثم تألم يعقوب عليه السلام ألماً شديداً لفراق ابنه الحبيب يوسف عليه السلام، الذي تعلق قلبه به؛ ولكن هذا قضاء الله يبتلي عباده ويمحصهم، وفي الحديث: (**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**) [3]

ما كان من يعقوب عليه السلام إلا الصبر الجميل، والاستعانة بالله ﷻ ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ١٨]

---

(١) انظر : المصدر السابق _ نقلاً عن ابن القيم _ /٢٣٩

(•) لم يستشهد الباحث بالآيات لأحداث القصة كما كان الحال في المطالب السابقة ؛ وذلك بعداً عن الإطالة، ولأن آيات القصة في سورة يوسف معروفة محفوظة.

(٢) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ٣١٠/١

(٣) مسند الأمام أحمد _ ٣٦٩/٦ _ ح ٢٧١٢٤ ، وصححه الأرنؤوط ، وأخرجه الحاكم في مستدركه _ كتاب معرفة الصحابة _ باب محنة أبي ذر ﷺ _ ٣٤٣/٣ _ ح ٥٤٣٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أُلقِيَ يوسف عليه السلام في الجُب، وبدأت الابتلاءات تتوالى عليه؛ ولكنَّ الله عز وجل لم يتركه؛ بل واساه وشدَّ من أزره، حتى وهو في غيابة الجب ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، أوحى الله إليه أنَّه لابد لك من فرج ومخرج من هذه الشِّدة التي أنت فيها، ولتخبرنَّ إخوتك بصنيعهم هذا، في حال أنت فيها عزيز، وهم محتاجون إليك خائفون منك [١]

ثمَّ تتوالى الابتلاءات على يوسف عليه السلام، حين جاءت السيارة ووجدوه في الجب، فأسرُّوه بضاعة، وباعوه عبداً، ففقد حريته ليصبح مع العبيد، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

ووجد نفسه أخيراً في بيت العزيز الذي قال لامرأته ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[يوسف: ٢١]، وهذا من تعهد الله عز وجل ليوسف عليه السلام بالتربية والرعاية، حيث نشأ على الطهر والعفاف، واكتملت شخصيته، وتمت مروءته، وظهرت علامات صدقه ونجابته، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]

ثمَّ جاء بعد ذلك الابتلاء الأعظم ليوسف عليه السلام، حين امتلئ قلب امرأة العزيز حباً له عليه السلام، وراودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وهذه محنة عظيمة ابتلي بها يوسف عليه السلام، فلقد كانت الدواعي للوقوع في الفاحشة في غاية القوة بحيث لا يصمد أمامها إلا من صبَّره الله عز وجل؛ فيوسف عليه السلام شاب أعزب، وفي بلاد الغربة لا يعرفه أحد من الأهل، والمرأة هي التي تدعوه للفاحشة، وهي ليست امرأة عادية؛ بل هي امرأة العزيز، ذات منصب وجمال، ثمَّ إنَّه عليه السلام في دارها، بل كان عبداً مملوكاً لها، استعانت عليه بمكر النِّساء، وتوعدته بالسجن والعقاب إن رفض ما تأمره به... فكل واحد من هذه الدواعي كفيل بإيقاع أشد الرجال في المعصية؛ ولكن يوسف عليه السلام رغم كل هذه الدواعي آثر مرضاة الله عز وجل، واختار السجن على معصية ربِّه ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] [٢]

ثمَّ كانت مِحنة السجن، حيث لبث يوسف عليه السلام فيه بضع سنين، وهو صابر محتسب، ينتظر الفرج من الله عز وجل، يقوم بما أوجب الله عليه من واجب الدعوة ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]

---

(١) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ٣١٤/١

(٢) باختصار من الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي _ ابن القيم _ ٢١٩-٢٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما اشتدت المحن على يوسف عليه السلام وبلغت ذروتها، بدأ الفرج يلوح في الأفق، حين رأى الملك تلك الرؤيا العجيبة، وأراد معبراً لها، فدُلَّ على يوسف عليه السلام؛ ليعبرها له ذلك التعبير العظيم، ويخرج يوسف عليه السلام من السجن، يخرج بريئاً شريفاً، علم الجميع بطهره وعفافه، يخرج وقد نجاه الله عز وجل من مكر النساء، يخرج ليرتقى أعلى الدرجات، وليكون على خزائن الأرض، فسبحان العزيز الحكيم، وسبحان مُفرِّج الكروب ومذهب الأحزان، ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٦، ٥٧]

وتتوالى المنح والكرامات ليوسف عليه السلام، حين جاء إليه إخوته يطلبون حظهم ونصيبهم من القوت ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨]، وهذا مقدمة لتحقق رؤيا يوسف عليه السلام التي رآها في صغره.

ولكنَّ يعقوب عليه السلام لا تزال البلايا والمحن تنزل عليه؛ ليكون له الفرج بعد الشدة في أكمل أحواله، فبعد أن عانى من فراق يوسف سنين طويلة، ليزيده الله عز وجل أجراً ورفعة، طلب منه بنوه أن يرسل معهم أخاهم الصغير، لأنَّ الملك طلب منهم ذلك، فخاف يعقوب عليه السلام على ولده كما خاف من قبل على يوسف عليه السلام، ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦]، ذهب الإخوة إلى العزيز ثمَّ عادوا إلى أبيهم وقد تركوا أخاهم عند الملك، وقالوا لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۞ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨١، ٨٢]، وحينها اشتد الكرب على يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٣، ٨٤]، ولكنَّ يعقوب عليه السلام ظلَّ صابراً محتسباً، لا يبث شكواه إلا إلى الله ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف: ٨٦]

وما بعد الشِّدَّة إلا الفرج، والمؤمن لا ييأس من روح الله، ويعقوب عليه السلام يعلم أنَّ رؤيا ولده يوسف عليه السلام لا بدَّ وأن تتحقق، فقال لبنيه: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]

وفعلاً استجاب الأبناء لأمر أبيهم، وذهبوا إلى العزيز فدخلوا عليه دخول الفقراء المحاويج، وقد أصابهم من الهمِّ والضيق ما أصابهم و﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨]، وحينها كشف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوسف عليه السلام اللثام عن وجهه وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ – ٩٢]

وبعد هذا العفو العظيم من يوسف عليه السلام عن إخوته، أعطاهم قميصه ليُلقوه على وجه أبيهم ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[يوسف: ٩٣]، وبعد ذلك حصل الفرج العظيم بعد تلك الشدائد العصيبة، حيث اجتمع الشمل بعد الفراق، ورفع يوسف عليه السلام أبويه على العرش، وسجد الأبوان والإخوة الأحد عشر، سجدوا جميعاً ليوسف عليه السلام، وحينئذ قال يوسف عليه السلام لأبيه ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠] (١)

وبهذا تم الفرج، وجاءت المنح والكرامات، ولم يذهب صبر يعقوب وصبر ولده يوسف عليهما السلام سدى؛ بل كانت نعم العاقبة، وخير الجزاء.

وبعد هذه الجولة السريعة مع قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام نخرج بالكثير من الفوائد والعبر، من ذلك:

١– إنَّ الفرج مع اشتداد الكرب، فإنه إذا تراكمت الشدائد المتنوعة، وضاق العبد ذرعاً بحملها، فرجها فارج الهم، وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطر، سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٥، ٦] (٢)

٢– بيَّنت الآيات الكريمات من سورة يوسف عليه السلام عظم عاقبة التقوى والصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، قال القاسمي: " قال بعضهم: إنَّ من أمعن النظر في قصة يوسف عليه السلام علم يقيناً أنَّ التَّقي الأمين لا يُضيع الله سعيه؛ بل يُحسن عاقبته، ويعلي منزلته في الدنيا والآخرة، وإنَّ المعتصم بالصَّبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه، ولا يخاف صروفه ونوائبه؛ فإنَّ الله يُعضده، ويُنجح مسعاه، ويُخلِّد ذكره العاطر على مر الأدهار.." (٣)

---

(١) انظر : تيسير المنان في قصص القرآن _ أحمد فريد _ ٢٣٨/١

(٢) انظر : مصابيح الضياء من قصص الأنبياء _ عبد الرحمن السعدي _ ص ٧٤

(٣) محاسن التأويل _ ٢٤٢/٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- اتباع خطوات الشيطان سبب للوقوع في الأحزان، فإن كل ما جرى لإخوة يوسف هو نتيجة استجابتهم لنزغ الشيطان بينهم، فلا بد للمؤمن أن يحذر من مكائد الشيطان.

٤- المؤمن يختار ما فيه بعد عن معصية الله ﷻ، وإن كان فيه مشقة، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]، فالمؤمن يختار ما يبقى على ما يفنى، فرب شهوة ساعة أورثت حزناً، ورب صبر ساعة أورث نعيماً [١]

٥- العبد المؤمن يلتجأ دائماً إلى ربِّه ﷻ ليحميه من كل زلل ومن كل شر، ولا يركن إلى نفسه البشرية الضعيفة، فلقد قال يوسف عليه السلام طالباً العون من ربِّه: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]، قال أبو السعود: " هذا فزع منه عليه السلام إلى ألطاف الله تعالى، جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله ﷻ، وسلب القوة والقدرة عن أنفسهم، مبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة، كقول المستغيث أدركني وإلا هلكت " [٢]

المطلب الخامس

تفريج كربة نبي الله أيوب عليه السلام

ورد اسم النَّبي أيوب عليه السلام في القرآن الكريم أربع مرات [٣]، وقد ذكر الله ﷻ قصته في سورتين من كتابه العزيز؛ في سورة الأنبياء حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وفي سورة ص يقول المولى ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

ولقد ذكر المفسرون والمؤرخون تفاصيل قصة أيوب عليه السلام، ولسنا بصدد ذكر كل هذه التفاصيل وإنما يكفي في هذا المقام الإشارة إلى خلاصة القصة.

---

(١) انظر _ البحر المديد _ الإدريسي _ ٣٨١/٣

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ ٢٧٤/٤

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد فؤاد عبد الباقي _ص ٣١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن كثير _ رحمه الله _: " كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه؛ من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة، وكان له أولاد وأهلون كثير" (١)

وكان أيوب عليه السلام براً تقياً، رحيماً بالمساكين، يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، شاكراً لأنعم الله ﷻ، فأراد الله ﷻ أن يبتليه فسلب منه تلك النعم جميعها، وابتلاه في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله ﷻ بهما، وهو في ذلك كله صابرٌ محتسبٌ، ذاكرٌ لله ﷻ في ليله ونهاره وصباحه ومسائه.(٢)

يقول السمرقندي في تفسيره: " روي في الخبر أنَّ أيوب عليه السلام كانت له أموال من صنوف مختلفة، وكانت له ضياع كثيرة، وكان له ثلاثمائة زوج ثيران، وغلمان يعملون له في ضياعه، وأموال من الغنم والإبل والبقر، وكان متعبداً ناسكاً منفقاً متصدقاً؛ فحسده إبليس عدو الله، وقال إنَّ هذا يذهب بالدنيا والآخرة، وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كلتيهما؛ فسأل الله تعالى وقال إن عبدك أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة في الدنيا ولولا ذلك لم يعبدك، قال الله تعالى: إنِّي أعلم منه أنَّه يعبدني ويشكرني وإن لم يكن له سعة في الدنيا، فقال يا رب سلطني عليه، فسلطه على كل شيء منه إلا على روحه، فرجع إبليس إلى غنمه كهيئة النار وضرب عليها فأهلك غنمه ورعاته، ثم جاء إبليس على هيئة راع من رعاته فأخبره بذلك، فقال له أيوب عليه السلام لو كان فيك خير لهلكت مع أصحابك، ثم جاء إلى إبله وبقره ففعل مثل ذلك، ثم جاء إلى زرعه كهيئة النار فأفسد جميع زرعه، فأخبر بذلك فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال هو الذي أعطى وهو الذي أخذ وهو أحق به، وكان له سبعة بنين وثلاث بنات، ويقال سبعة بنين وسبع بنات في بيت فجاء إبليس عليه اللعنة فهدم البيت عليهم فماتوا كلهم، فذكر ذلك لأيوب عليه السلام فحمد الله ﷻ على ذلك وأثنى عليه ولم يجزع، وقال هو الذي أعطى وهو الذي أخذ، ثم جاء إلى أيوب وكان في الصلاة فلما سجد نفخ في أنفه وفمه نفخة فانتفخ أيوب عليه السلام وخرجت به قروح وجعل تسيل منها الصديد، وتفرق عنه أقرباؤه وأصدقاؤه ولم يبق معه أحد إلا امرأته " (٣)

وقد روى بعض المفسرين كثيراً من الإسرائيليات حول مرض أيوب عليه السلام وما حل به وبزوجه، مما لا يليق بنبي ولا يقبله عقل ولا نقل، يقول الدكتور محمد أبو شهبة في ذلك: " والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم ﷺ إمَّا من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل

---

(١) البداية والنهاية _ ٢٥٤/١

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٢٣/١١

(٣) بحر العلوم _ ٤٣٦/٢ ، وانظر أيضاً : البحر المحيط _ أبو حيان _ ٣١٠/٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وافتراءاتهم على الأنبياء... وقد دل كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد ﷺ على أنَّ الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال ﷻ: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤]، فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا، والواجب على المسلم: أن يقف عند كتاب الله، ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم... والذي يجب أن نعتقده: أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه أُلقِيَ على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود...وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله ؟ " [١]

لقد ظل أيوب عليه السلام صابراً محتسباً وحامداً لله ﷻ، واستمر به البلاء زمناً طويلاً؛ قيل ثلاثين سنة، وقيل ثمانية عشر، وقيل سبع سنين وأشهر..، ولم يشكُ أيوب عليه السلام حاله لأحد، حتى جاءه الفرج من الله ﷻ.[٢]

وقد ذكرت عدة روايات في بيان الدافع الذي جعل أيوب عليه السلام يدعو ربَّه ويشكو له حاله بعد هذه المدة الطويلة، ولعلها جميعاً من الإسرائيليات أيضاً فلا داعي لذكرها هنا، والذي يعنينا أنَّه لمَّا أتى أوان رفع البلاء عن أيوب عليه السلام، ألهمه الله ﷻ الدعاء ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ويا له من دعاء عظيم !

إنَّه الأدب النبوي الرفيع مع ربِّ العزة سبحانه، فنحن نرى أنَّ أيوب عليه السلام لم يزد في تضرعه عن وصف حاله ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾، ووصف خالقه ﷻ بأعظم صفات الرحمة دون أن يقترح شيئاً أو يطلب شيئاً [٣]، يقول البيضاوي _ رحمه الله _: " وصف ربَّه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما فيها من الضُّر، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال " [٤]

لقد رفع الله ﷻ البلاء عن نبيه أيوب عليه السلام بعد أن وجده صابراً محتسباً، وعوضه عمَّا سلب منه أعظم العوض، فأمره أن يضرب الأرض برجله فانفجرت له عين ماء اغتسل منها وشرب فعادت إليه صحته وعافيته، وعوضه الله بدل أهله وماله، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير _ ص ٢٧٩-٢٨٠

(٢) انظر : البداية والنهاية : ابن كثير _ ١/٢٥٤-٢٥٩ ، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١١/٣٢٣

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ طنطاوي _ ٩/٢٤١

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ ص ١٠٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٢ – ٤٣]، وقال ﷻ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]

وقد جاء في السنة بيان بعض النعيم الذي أعطاه الله لعبده ونبيه أيوب بعد رفع البلاء عنه، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(بينما أيوب يغتسل عريانا، فخرَّ عليه رِجل جرادٍ من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك)** (١)

وأعظم من ذلك أن الله ﷻ امتدح أيوب عليه السلام فقال: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤]، وجعل له مخرجاً من يمينه الذي حلفه على زوجه البارة الصالحة، ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ...﴾[ص: ٤٤]، قال المفسرون: وكان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه اللّه ليضربنها مائة جلدة، فلمَّا شفاه اللّه، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها اللّه ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة _ والضغث هو ملء الكف من الخشب والعود والشماريخ ونحو ذلك _ فأخبر الله تعالى أنه إذا فعل ذلك، فقد بر في يمينه، فهذه رخصة من الله ﷻ لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه. (٢)

وبهذه الوقفة السريعة مع قصة أيوب عليه السلام نعلم أنَّ الصبر على قضاء الله واحتساب البلاء عند الله ﷻ، ثمَّ التضرع إلى الله ﷻ بأدب وخشوع هما من أعظم أسباب رفع البلاء عن العبد، وتفريج همِّه وغمِّه.

المطلب السادس

تفريج كربة نبي الله يونس عليه السلام

يونس بن متى(•) عليه السلام نبي من أنبياء الله ﷻ، ومن الذين ذكرهم المولى ﷻ في كتابه العزيز، حيث ذكر ربُّنا قصته في موضعين من القرآن الكريم؛ في سورة الأنبياء، وفي سورة الصافات، ولقَّبه الله ﷻ بذي النون، وبصاحب الحوت.

---

(١) صحيح البخاري_كتاب التفسير_باب قول الله تعالى "وأيوب إذ نادى ربَّه "_ ٤/١٥١_ح٣٣٩١

(٢) انظر : أحكام القرآن _ الكيا الهراسي _ ٤/٧٣ ، تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٧١٤

(•) ورد اسم يونس عليه السلام بهذه النسبة في السنة النبوية، فمن ذلك حديث: (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) (البخاري_كتاب التفسير_باب قوله تعالى "ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا... "_٦/٥٧_ح٤٦٣١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن كثير: " قال أهل التفسير: بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل نَينَوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل، فكذَّبوه وتمرَّدوا عليه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلمَّا طال أمرهم ذلك عليه خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث " (١)

لقد خرج يونس عليه السلام من قومه وقد غاضبهم وغاضبوه حين رفضوا الإيمان في أول الأمر، وظن أن هذا الخروج جائز له،﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾[الأنبياء: ٨٧]، وقيل: معنى مغاضباً: مغاضباً لربِّه؛ أي لأجل ربه ولأجل دينه (٢) ، ولقد كان خروجه من غير إذن ربِّه كالفارِّ الآبق من مولاه،﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠] (٣)

خرج يونس عليه السلام من بين قومه قبل أن يأذن الله له، ظناً منه أنَّ الله لن يضيق عليه بسبب هذا الخروج، فركب الفلك ليقطع البحر؛ فهاج البحر على السفينة؛ فتشاور أهلها فيما بينهم، واتفقوا على أن يقترعوا بينهم، ومن تخرج عليه القرعة فسيلقى في البحر، فلمَّا فعلوا ذلك خرجت القرعة على يونس عليه السلام، فألقي في البحر، وأرسل الله حوتاً عظيماً، ابتلع النَّبي يونس عليه السلام في بطنه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ۝ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾[الصافات: ١٣٩ – ١٤٢] قال القاسمي: " ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه من السفر بغير أمر ربِّه " (٤)

وَجَدَ يونس عليه السلام نفسه في ظلمات شديدة في بطن الحوت، وعَلِمَ أنَّه قد تعجل في أمره، ووقع في معصية ربِّه؛ فسارع إلى التوبة والتسبيح طلباً للعفو من الله عز وجل، قال ربُّنا سبحانه:﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] ، لقد بادر يونس عليه السلام بالاعتراف بالذنب، وأخذ يمجِّد الرَّب العظيم ويسبحه ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

لقد كان يونس عليه السلام في غَمٍّ شديدٍ في بطن الحوت؛ ولكنَّه لمَّا سارع إلى مناداة ربِّه في الظلمات استجاب الله له، ففرَّج كَربه ونجاه من غَمِّه، وأمر المولى عز وجل الحوت فقذف يونس على الشاطئ، على أرضٍ عراءٍ، وأنبت الرَّب الرحيم على نبيِّه يونس عليه السلام شجرة من يقطين، لتحمي

---

(١) قصص الأنبياء _ ٣٨٦/١-٣٨٧

(٢) انظر : الدر المصون في علم الكتاب المكنون _ السمين الحلبي _ ١٩٠/٨

(٣) انظر : فتح القدير _ الشوكاني _ ٤١٠/٤

(٤) محاسن التأويل _ ١٣٠/١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جسم يونس الضعيف من أشعة الشمس ومن الذباب ومن كل أذى،﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [الصافات: ١٤٥، ١٤٦] (١)

ولم تنتهِ منحة الله لنبيه يونس عند هذا الحد، فلقد أكرمه الله ﷻ بأن تاب على قومه وهداهم أجمعين، قال تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[الصافات: ١٤٧، ١٤٨]، وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨]

قال ابن كثير: " قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جُبير وقتادة، وغير واحد من السلف والخلف: لما خرج يونس عليه السلام من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم من الإساءة إلى نبيهم؛ فلبسوا المَسوح، وفرَّقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله ﷻ، وصَرخوا وتضرعوا إليه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت (٢) الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغث الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته، عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم سببه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم " (٣)

إنَّ قصة يونس عليه السلام مليئة بالعبر والدروس التي تنفع كل مؤمن، نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن معصية العبد لربه توقعه في الهم والغم والنكد؛ فليس هناك شيء يحزن الإنسان ويورثه الغم أكثر من معصية الله ﷻ.

ثانياً: الإكثار من التسبيح والصلاة والعمل الصالح في وقت السعة والرخاء هي من أعظم أسباب نجاة العبد من كل كرب، قال الزمخشري في تفسير قول الله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الصافات: ١٤٣، ١٤٤]: " عن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا صُرع وجد متكأ، وهذا ترغيب من الله

---

(١) انظر : زاد المسير _ ابن الجوزي _ ٨٨/٧

(٢) الرغاء : صوت الإبل (لسان العرب ١٦٨٤/٣) ، الخوار : صوت الثور وما اشتد من صوت البقر (السابق ١٢٨٥/٢) ، الثغاء : صوت الشاء والمعز (السابق ٤٨٨/١)

(٣) قصص الأنبياء _ ٣٨٧/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷻ في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد " [1]

وقال القرطبي: " قال الحسن: ما كان له صلاة في بطن الحوت؛ ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء؛ فذكره الله به في حال البلاء، قلت: ومن هذا المعنى قوله ﷺ: **(من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل)**[2]؛ فليجتهد العبد، ويحرص على خصلة من صالح عمله، يخلص فيها بينه وبين ربِّه، ويدَّخرها ليوم فاقته وفقره " [3]

ثالثاً: دعاء يونس عليه السلام الوارد في الآيات هو من أعظم أدعية تفريج الكربات، يقول الشنقيطي _ رحمه الله _: " وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغَمُّ، فيبتهل إلى الله داعياً بإخلاص، إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء يونس هذا، وقد جاء في حديث مرفوع عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أن النَّبي ﷺ قال في دعاء يونس المذكور: **(لم يدع به مسلم ربَّه في شيء قط إلا استجاب له)** [4]، والآية الكريمة شاهدة لهذا الحديث شهادة قوية كما ترى، لأنه لما ذكر أنه أنجى يونس شبه بذلك إنجاءه المؤمنين. وقوله ﴿نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ صيغة عامَّة في كل مؤمن كما ترى " [5]

المطلب السابع

مواساة موسى عليه السلام، وتفريج كرباته

موسى عليه السلام نبي الله، ورسوله إلى بني إسرائيل، اصطفاه الله ﷻ برسالاته وبكلامه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه آمراً نبينا محمداً ﷺ بذكر موسى عليه السلام ذكر ثناء ورفعة وشرف: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥١،

---

(١) الكشاف _ ٢٣٠/٥

(٢) الحديث في مسند الشهاب عن ابن عمر ﷺ _ ٢٦٧/١ _ ح ٤٣٤ ، وصححه الألباني (الجامع ٥٨٩٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن _ ١٢٧/١٥

(٤) أخرجه الإمام أحمد ، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ ، ١٧٠/١ ، ح ١٤٦٢ ، قال الأرنؤوط : إسناده حسن

(٥) أضواء البيان _ ٢٤٤/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٢]، وفضائل موسى عليه السلام كثيرة جداً ورد بعضها في القرآن الكريم، وذكرت السنة المشرفة الكثير منها أيضاً.

وموسى عليه السلام هو أكثر الأنبياء ذكراً باسمه في القرآن الكريم (•)، حيث أورد المولى عز وجل قصته في كتابه العزيز مراراً، وكررها كثيراً، مطولة ومبسوطة ومختصرة، وأثنى عليه ثناءً بليغاً.(١)

ولقد تناول القرآن الكريم قصة ذلك النبي الكليم من عدة جوانب؛ فذكر مولده ونجاته من بطش فرعون، وذكر ما حصل له عندما قتل نفساً خطأً، ثمَّ سفره إلى مدين وعيشه هناك، ثمَّ تكليفه بالرسالة وهو في طُور سيناء، ثمَّ ما كان من دعوته لفرعون ومناظرته له، ثمَّ خروجه مع بني إسرائيل من مصر، وما كان من صبره عليهم، وما كان من أمره لقومه بدخول الأرض المقدسة... وغير ذلك من أحداث سطرها القرآن الكريم مبثوثة في سور متعددة.

ولسنا بصدد سَرد أحداث القصة بطولها؛ ولكن نقف وقفات سريعة على بعض ما فيها من مواقف وفوائد مما له علاقة بموضوع المبحث.

بيَّن لنا القرآن الكريم الرِّعاية الربانية العظيمة لموسى عليه السلام منذ مولده، وكيف أعاده الله عز وجل إلى أُمِّه، ورباه ربُّه حتى بلغ أشده، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، ثمَّ بعد ذلك بدأت تحدث لموسى عليه السلام الابتلاءات والمحن، فكان أول ذلك ما كان من أمر الرجلين الذين وجدهما موسى عليه السلام يقتتلان، وقد استغاثه أحدهما، فأراد موسى عليه السلام أن يدفع أحدهما عن الآخر، فضرب القبطي في صدره فقتله دون قصد منه عليه السلام للقتل (٢)، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص: ١٥ – ١٧].

لقد أصاب موسى عليه السلام الخوف الشديد نتيجة ذلك القتل غير المتعمد، فسارع إلى التوبة والاستغفار، قال القرطبي: " ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر؛ وإنَّما عدَّه على نفسه ذنبا وقال: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾من أجل أنه لا ينبغي لنبيٍ أن يقتل حتى يؤمر، وأيضا

(•) ورد اسم موسى عليه السلام في القرآن الكريم أكثر من مائة وثلاثين مرة (انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد عبد الباقي _ ص ٢٣٠)

(١) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ٣/٢

(٢) انظر : معالم التنزيل _ البغوي _ ١٩٧/٦ ، إرشاد العقل السليم _ أبو السعود _ ٦/٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن الأنبياء يشفقون ممَّا لا يشفق منه غيرهم قال النقاش: لم يقتله عن عمد مريداً للقتل، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه " [1]

لقد أصبح موسى عليه السلام خائفاً ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[القصص: ١٨]، خاصةً بعد أن انتشر الخبر ووصل إلى فرعون؛ ولكنَّ الله عز وجل نجَّاه من ذلك البلاء، فأرسل له ذلك الرجل الناصح ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٠، ٢١]، لقد نجا الله موسى عليه السلام من الخوف والغَّم ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠]

وبعد ذلك تعرض موسى عليه السلام لبلاء جديد عندما سافر تلك المسافة الطويلة، ليصل إلى مدين، وعانى معاناة شديدة من تعب وجوع ومشقة، حتى وصل ماء مدين ووجد المرأتين فسقى لهما ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص: ٢٤]، لقد دعا موسى عليه السلام بهذا الدعاء لشدة ما أصابه، فاشتكى لربه، ولم يشتكِ لغيره، قال الألوسي: " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ وهو أكرم خلق الله على الله، ولقد افتقر إلى شق تمرة، ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع، وفي رواية أخرى عنه أنَّ موسى عليه السلام سأل فلقاً من الخبز يشد بها صلبه من الجوع " [2]، وعند ذلك جاءه الفرج السريع من الله عز وجل ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]، طمأن الله موسى عليه السلام على لسان ذلك الرجل الصالح [3]، ورزقه سبحانه من فضله ما يشبع بطنه، وما يحصن به نفسه من زوجة صالحة.

وتتوالى أحداث القصة، حتى قضى موسى عليه السلام دينه في مدين، وخرج بأهله عائداً إلى مصر، وكان في الطريق أعظم تكريم لموسى عليه السلام؛ حين ناداه ربه عز وجل بالوادِ المقدس في البقعة المباركة، وشرَّفه بالنُّبوة، وكلَّفه بالرسالة ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٦١/١٣

(٢) روح المعاني _ ٦٤/٢٠

(٣) اختلف المفسرون في صاحب مدين أبي المرأتين ؛ فقال بعضهم : هو النبي شعيب عليه السلام ، وقال آخرون : ليس النبي ولكنه رجل صالح ، وذكروا له أسماء متعددة (انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٥٦١/١٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٢٩، ٣٠]، وأعطاه الله المعجزات العظيمة، والآيات البينة الدالة على قدرة الله ﷻ؛ لتكون دلائل صدقه وبراهين أمانته في التبليغ عن ربِّه ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۞ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۞ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۞ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[طه: ١١ – ٢٤]

أمر الله موسى عليه السلام أن يتوجه إلى فرعون الطاغية المتكبر؛ ليدعوه إلى الله ﷻ، وشدَّ الله من أزر موسى بأن جعل معه أخاه هارون نبياً، ثمَّ ربط الله على قلبيهما وطمأنهما بأنَّه سوف يكون معهما دائماً ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۞ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٥، ٤٦]

ويذهب موسى وأخوه إلى فرعون، ويدعوانه إلى الله ﷻ، ويتعرضا للتخويف والسخرية؛ ولكنهما صبرا على أمر الله، وقاما بواجب الدعوة بكل صبر، حتى أظهر الله الحق على أيديهما، وآمن لهما السحرة، وعلم الجميع بصدق دعوتهما.

وأراد فرعون أن يقتل موسى، وأن يُنَكِّل ببني إسرائيل؛ ولكنَّ الله ينجي عباده المؤمنين، ويهلك الكفار المجرمين؛ فأمر موسى أن يخرج مع بني إسرائيل، ويتجهوا إلى بيت المقدس، ولحق بهم فرعون وجنوده، فلمَّا وصل موسى عليه السلام إلى البحر خاف بنو إسرائيل، وظنُّوا أنَّهم مُدرَكون، فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه، وتفاقم الأمر واشتد الحال، واقترب فرعون وجنوده، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، فجاء الفرج من الله ﷻ بأن أمر موسى عليه السلام بأن يَضرب البحر [1] ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٦]

---

(١) انظر : تيسير المنان في قصص القرآن _ أحمد فريد _ ص ١٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا نجَّا الله موسى وهارون _ عليهما السلام _ ومن معهما من فرعون وجنده، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[الصافات: ١١٤ – ١١٦]، وهكذا يُنَجِّي الله عباده المتقين.

ولم تنته مهمة موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون، فلقد كانت رسالته عليه السلام إلى بني إسرائيل، لهدايتهم وتعليمهم شرع ربهم ﷻ، ولقد عانى موسى عليه السلام منهم أشدَّ المعاناة، وجربهم أشد ما تكون التجربه، وصبر على أذاهم وجهلهم وغلظتهم أعظم ما يكون الصبر، ويظهر ذلك جلياً في مواقف عدة مع قومه، لعل من أهمها ما كان منهم لمَّا عبدوا العجل، ولمَّا طلبوا منه أن يروا الله جهرة، وما كان منهم لمَّا طلب منهم أن يُنَفِّذوا أمر ربِّهم بذبح البقرة...[١]

ومن أشدِّ ما وجد موسى عليه السلام من قومه ما كان منهم عندما رفضوا الاستجابة لأمر ربِّهم بدخول الأرض المقدسة، حين أمرهم موسى عليه السلام بذلك قائلاً: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، فردُّوا عليه أقبح ردٍ، وأجابوه أسوء إجابة، كما بين لنا القرآن الكريم ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائـدة: ٢٢]، ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، وحينئذ لم يبق لموسى عليه السلام حيلة معهم، وما يملك من أمرهم شيء؛ فالتجأ إلى ربِّه ﷻ، شاكياً إليه، ومستجلباً للنصر منه، ومتحسِّراً على قومه، قائلاً:﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥]، فجاءه الردُّ الإلهي العظيم بالمواساة والتصبير، وبيان عقوبة أولئك العصاة المخالفين ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦] [٢]

وهكذا نرى أنَّ موسى عليه السلام ابتلي بالكثير من الابتلاءات الجسام، ابتلي بفرعون وهامان، وابتلي ببني إسرائيل، وكان في ذلك كلِّه مثلاً يُقتدى به في الصبر والاحتمال، وهذه صفات الأنبياء، وأخلاق الرُّسل عليهم الصلاة والسلام.

الخلاصة:

في نهاية هذا المبحث _ الذي عشنا فيه مع طائفةٍ من أصفياء الله ﷻ _ يخرج الباحث بالآتي:

---

(١) انظر : تحفة النبلاء من قصص الأنبياء _ ابن حجر _ ٣٢٥-٣٢٨

(٢) انظر : فتح القدير _ الشوكاني _ ٤٢/٢ ، الكشاف _ الزمخشري _ ٢٢٢/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- يدرك كلُّ متأمل لقصص الأنبياء بأنَّ هذه القصص العظيمة مليئة بمعاني المواساة والتَّصبير، بحيث يجد فيها كلُّ مبتلى بغيته التي تعينه على الصبر والرِّضا بقضاء ربّه ﷻ، فيطمئن قلبه، وتسعد نفسه؛ فجميع الأنبياء قد تعرضوا للمحن والبلايا، وما ذلك إلا لتزداد أجورهم، ولترتفع درجاتهم عند ربِّهم ﷻ، وليكونوا خير قدوة للمؤمنين؛ خير قدوة للدعاة والمربِّين، وخير قدوة للآباء والمعلمين، بل هم خير قدوة لجميع المسلمين، ولكل من أراد أن يحيا حياة طيبة في دنياه وآخرته.

٢- من خلال التأمل في قصص الأنبياء نعلم بأنَّ سنة الله في ابتلاء عباده لا بد منها، فهذه الدنيا دار ابتلاء، وليست دار جزاء، والآخرة هي دار الجزاء ودار القرار، فالجميع معرض للابتلاء والاختبار.

٣- الدنيا حقيرة هيِّنة، لا تساوي عند الله شيئاً كما جاء في الحديث (**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**)[1]، ولو سَلِمَ أحد مما في هذه الدنيا من شدَّة ونصب لسلم الأنبياء والمرسلون الذين هم خير خلق الله أجمعين.

٤- البلايا والمحن ليست شراً، بل هي خير للعبد المؤمن، بها تمحى خطيئته، وبها تعلو درجته، وبها يمحص العباد، ويميز الله الخبيث من الطيب.

---

(١) رواه الترمذي في سننه _ أبواب الزهد _ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ _ ١٥٠/٤ _ح٢٣٢٠، وقال عنه : صحيح غريب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

نماذج من مواساة القرآن للمؤمنين والصالحين وتفريج كربهم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفريج كربة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: مواساة أم موسى عليه السلام، وتفريج كربتها.

المطلب الثالث: مواساة مريم أم عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: مواساة أصحاب النبي ﷺ وتفريج ما أصابهم من كرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد أن كان الحديث في المبحث الأول من هذا الفصل عن نماذج _ من القرآن الكريم _ من مواساة الأنبياء والمرسلين وتفريج كربهم، سيكون الحديث في هذا المبحث _ بإذن الله ﷻ _ عن نماذج من مواساة بعض الصالحين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وتفريج كربهم، وسيقتصر الباحث على ذكر أربعة نماذج موزعة على المطالب الأربعة لهذا المبحث.

المطلب الأول
تفريج كربة أصحاب الكهف

قصَّ الله ﷻ علينا في كتابه العزيز قصَّة أصحاب الكهف، حيث أورد سبحانه هذه القصة في سورة عظيمة من سور القرآن سميت باسم الكهف، لذكرها الكهف الذي أوى أولئك الفتية إليه، واشتهروا بنسبتهم إليه.

وخلاصة قصة أولئك الفتية أنَّهم كانوا شُبَّاناً آمنوا بربِّهم ﷻ، وامتثلوا أمره، فزادهم الله ﷻ هدىً وثباتاً على الحقِّ، وقوى قلوبهم بالإيمان، وشدَّ عزيمتهم، حتى إنَّهم قاموا بين يدي ملكهم الجبار الذي كان يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، وأعلنوا عقيدتهم الصافية ولم يخشوا من بطشه وظلمه، قال الله ﷻ مخبراً بأمرهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٣ – ١٥]

لقد أنكر الفتية المؤمنون على قومهم عبادة غير الله ﷻ من غير دليل ولا برهان، وأنَّى لهؤلاء القوم دليل على باطلهم وهم يفترون على الله الكذب ؟!

ولمَّا رأى الفتية إصرار قومهم على الكفر والضلال، ما كان أمامهم إلا أن يعتزلوهم ويفروا بدينهم؛ فخرجوا من بلدهم، واتجهوا إلى كهف يتعبدون فيه ربَّهم، ويرجون رحمته الواسعة، ويدعونه أن يهيئ لهم من أمرهم أمر رشد، وأمر رفق يترفَّقون به ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦] (١)

(١) انظر : التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٥/ ٢٢٠ ، التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله التركي _ ص ٢٩٤ – ٢٩٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دخل الفتية الكهف وألسنتهم تلهج بالتضرع والدعاء ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فلمَّا دخلوا استجاب الله ﷻ دعوتهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسبانهم من الكرامة البالغة والعناية الفائقة، حيث ضرب سبحانه النوم على آذانهم مدة طويلة من الزمن ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[الكهف: ١١]، وفي هذا النوم العجيب حفظ قلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من أذية قومهم، وليكونوا آية بينة لمن خلفهم.(١)

ولم تقتصر عناية الله ﷻ بأولئك الفتية على ضرب النوم الطويل عليهم، بل كانت عناية عظيمة وكرامة جزيلة من المولى ﷻ، حيث سخر لهم كل أسباب الحفظ والرعاية، يقول سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهف: ١٧، ١٨]

لقد هيأ الله ﷻ لهم كل أسباب الرعاية والحفظ، فلا الشمس تؤذيهم بحرها، ولا الأرض تأكل أجسادهم، ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منهم للهيبة التي ألقاها الله ﷻ عليهم، وفي ذلك كله كرامة لهم، وإظهار لقدرة الله ﷻ في حفظهم (٢)

إنَّ أولئك الفتية المؤمنين لمَّا تمسَّكوا بدينهم، ولجؤوا إلى ربِّهم واعتصموا به، كان الله ﷻ وليَّهم؛ ففرَّج كربهم، ونجَّاهم من بطش عدوهم، وجعل من خبرهم موعظة وذكرى لمن خلفهم، وخلَّد ذكراهم بأن سطر قصتهم في كتابه العزيز، المحفوظ إلى يوم الدين.

وأعظم خلاصة نخرج بها من هذه القصة العظيمة أنَّ من أوى إلى الله آواه الله، ولطف به، وأبدله من خوفه أمناً، ومن ضيقه فرجاً، ومن عسره يسراً، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق: ٣] ، ومن تحمَّل المتاعب والمشاقَّ لأجل الله ﷻ، وللحفاظ على دين الله كانت له العاقبة الحسنى، والدرجات العليا (٣) ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٤٧١

(٢) انظر : اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ١٢/٤٤٢-٤٤٨

(٣) مختصر من: مصابيح الضياء من قصص الأنبياء _ السعدي _ ص ٧٦ -٧٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

مواساة أمِّ موسى عليه السلام وتفريج كربتها

ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز قصَّة أمِّ موسى عليه السلام، وذلك في موضعين: في بداية سورة القصص، وفي سورة طه، وهذه القصة العظيمة _ كغيرها من قصص القرآن الكريم _ فيها الكثير من العظات والعبر لمن تدبرها ونهل من معينها، وفيها بيان لمواساة الله ﷻ لتلك المرأة المؤمنة الصالحة أم موسى عليه السلام، وكيف فرَّج الله كربها، وردَّ إليها ولدها.

في بداية الآيات التي تحدثت عن القصة بيَّن الله ﷻ الحال التي كان عليها بنو إسرائيل في ذلك الزمن، حيث تسلَّط عليهم فرعون، الملك الكافر الظالم، الذي أذاق بني إسرائيل العذاب والمهانة، يستعبدهم ويستخدمهم في أخسِّ الصنائع والحرف، وفوق ذلك كان يُقَتِّل أبناءهم ويستحيي نساءهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٤]

يقول ابن كثير: " كان الحامل لفرعون على هذا الصنيع القبيح _ من تقتيل أبناء بني إسرائيل _ أنَّ بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم أنَّه سيخرج من ذريتهم غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه... وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل، فتحدث بها القبط فيما بينهم، ووصلت إلى فرعون؛ فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل، حذراً من وجود هذا الغلام، وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: أنَّ فرعون رأى في منامه كأنَّ ناراً أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل؛ فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والسحرة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر فرعون بقتل الغلمان وترك النسوان، حتى إنَّه جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذَّباحون من ساعته...

وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل، بسبب قتل ولدانهم الذكور، فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون؛ فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً، فذكروا أنَّ هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة، وأنَّ موسى عليه السلام ولد في عام القتل " (١)

---

(١) قصص الأنبياء _ ٢/٣-٨ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ١٠/٤٤٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولنا أن نتصور مقدار الخوف والحزن الذي ملأ قلب أم موسى عليه السلام عندما وضعته في العام الذي يقتل فيه الغلمان؛ ولكنَّ الله ﷻ طمأن قلبها، وأذهب خوفها، وذلك بأن أوحى إليها [1] بأن ترضعه فإذا خافت عليه فلتلقه في اليم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، وفي هذا الوحي لأم موسى ما فيه من عظيم المواساة والتسلية، حيث إنَّ المولى ﷻ طمأنها على ولدها، ووعدها بأنَّه إن ذهب عنها فسيرجعه إليها، وبشَّرها بتلك البشارة العظيمة، بشرها بأنه سبحانه سيجعل ولدها من المرسلين، أصحاب المكانة الرفيعة عند رب العالمين.

وقامت أم موسى بتنفيذ أمر ربِّها سبحانه، فعندما خافت على ولدها ألقته _ وهو في التابوت _ في اليمِّ، فذهب مع النيل، فمرَّ على دار فرعون ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۞ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٨، ٩]

وفقدت الأم الحنون ولدها وفلذة كبدها، فأصابها غمٌّ وكربٌ شديد، ولم تستطع الصبر ولم تقوَ على الاحتمال ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]، يقول أبو حيَّان : " صار فؤادها فارغاً من العقل، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون، فدهمها أمر لا يثبت معه العقل، لا سيَّما عقل امرأة خافت على ولدها حتى طرحته في اليم، رجاء نجاته من الذبح؛ وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله، وقال ابن عباس: كان قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى " [2]

ولقد أنجز الله ﷻ وعده لأم موسى، فسلَّم لها ولدها من بطش فرعون وجنده، وأعاده إليها لتضمه إلى صدرها، ولترضعه من لبنها، وقد حصل لهما الأمن والأمان، فذهب حزنها، وقرت عينها، وكان ذلك كلُّه بتدبير الحكيم الخبير، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص: ١١ – ١٣]، قال ابن كثير " رجعت أم موسى بولدها راضية مرضيَّة، قد

---

(١) الوحي هنا بمعنى الإلهام ، أو الرؤيا في المنام ، أو أن يكون بتكليم الملك كما حدث مع مريم عليها السلام ، وليس في ذلك دليل على نبوة أم موسى (انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٥٠/١٣)

(٢) البحر المحيط _ ١٠٢/٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبدلها الله بعد خوفها أمناً، في عز وجاه ورزق، فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً " [1]

إنَّ القارئ لقصة أم موسى عليه السلام يشعر بالمواساة الربانية لتلك المرأة الصالحة التقية، ويعلم علم يقين أنَّ الله عز وجل لا يضيع أجر المحسنين، وأنَّه سبحانه مع عباده الصالحين المتقين، فمن اتقَ الله كان الله معه، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[الطلاق: ٢، ٣]

المطلب الثالث

مواساة مريم أم عيسى عليه السلام

من الأولياء الذين سطَّر ربنا سبحانه خبرهم في كتابه العزيز، وخلَّد ذكرهم إلى يوم الدين، مريم البتول عليها السلام، تلك المرأة الطاهرة العابدة القانتة لله ربِّ العالمين، كان والداها أهل تقوى وصلاح، وكانا من الذين اصطفاهم الله عز وجل على العالمين، لما حملت بها أمها نذرت ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس، ولما وضعتها حصنتها بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٣ – ٣٦]

أنبت الله عز وجل مريم نباتاً حسناً، وكفَّلها لخير رجل في ذلك الزمان، النبي زكريا عليه السلام ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...﴾ [آل عمران: ٣٧]، اتخذ لها زكريا عليه السلام محراباً _ وهو المكان الشريف من المسجد _ لا يدخله أحد عليها سواه، ولما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظير لها في عبادتها لربها، وظهر عليها من الأحوال والكرامات ما غبطها به زكريا عليه السلام [2]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٣٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ١٠/٤٤٦

(٢) انظر : قصص الأنبياء _ ابن كثير _ ٢/٢٨٥-٢٩٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأراد الله ﷻ أن يُريَ عباده آية من آيات قدرته، وهي أن يخلق بشراً سوياً من مريم عليها السلام، دون أن يقربها بشر، والله سبحانه على كل شيء قدير.

اصطفى الله ﷻ مريم عليها السلام ليخلق منها تلك المعجزة الكبرى، اصطفاها الله ﷻ ليهب لها غلاماً زكياً، ونبياً كريماً مؤيداً بالمعجزات، ولكن سيكون في ذلك محنة وابتلاءً لمريم عليها السلام حين تواجه الناس بذلك.

ونزلت الملائكة على مريم لتبشرها بتلك البشارات العظيمة، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[آل عمران: ٤٢، ٤٣] وقال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦]

استكانت مريم لربِّها، وأنابت وسلَّمت لأمره ﷻ، وعلمت أن هذا الأمر فيه كرامة عظيمة من ربها سبحانه، وفيه أيضاً محنة عظيمة لها، فإن النَّاس سيتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقُّل.

وجرت الأمور بتقدير الله ﷻ، وحملت مريم عليها السلام بقدرة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ١٦ – ٢١]

لقد كان الأمر شديداً، فكيف ستواجه مريم الطاهرة البتول قومها وهي بهذا الحمل ؟ وماذا سيقول الناس عنها ؟ وهل سيصدقون قولها ؟

اعتزلت مريم عليها السلام قومها، وانتبذت مكاناً قصياً بعيداً عن قومها خشية أن يظنوا بها الشر، ويعيروها بولادتها من غير زواج [1] ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: ٢٢]، حتى إذا جاء وقت وضعها ازدادت عليها المحن والشدائد، وزاد حزنها وكربها ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[مريم: ٢٣]، قال الألوسي: " وإنما قالت ذلك مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم، استحياءً من الناس، وخوفا من ملامتهم، أو حذراً من وقوع الناس في المعصية بسبب كلامهم في شأنها.

---

(١) انظر : المحرر الوجيز _ ابن عطية _ ١٠/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمني الموت لمثل ذلك لا كراهة فيه لأنه يتعلق بأمر ديني، ومن ظن أن تمني مريم الموت كان لشدة الوجع فقد أساء الظن " [1]

وفي مثل تلك الساعة العصيبة يُنزِّل ربُّنا الرحمن على عباده المتقين الرحمات والكرامات؛ لتكون مصبرة ومسلية للعبد عند اشتداد المحن، ولقد أكرم الله سبحانه مريم عليها السلام في ذلك الوقت العصيب بأن طمأن نفسها على لسان جبريل عليه السلام _ أو على لسان ابنها عيسى عليه السلام _ [2] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ – ٢٦]

في حِدة الألم وغمرة الكرب تقع المفاجأة الكبرى نداء يناديها من تحتها؛ يطمئن قلبها، ويَصِلها بربِّها، ويُرشدها إلى طعامها وشرابها، ويدلُّها على حجتها وبرهانها!

لا تحزني فلم يَنسكِ ربُّكِ ولم يتركك، بل أجرى لك تحت قدميك جدولاً سارياً من ماءٍ عذب، وهذه النخلة التي تستندين إليها هزِّيها فتساقط عليك رطباً جنياً، فهذا طعامٌ وذاك شرابٌ ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ هنيئاً، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ واطمئني قلباً، فأمَّا إذا واجهت أحداً فأعلميه بطريقةٍ غير الكلام، أنك نذرت للرحمن صوماً عن حديث النَّاس وانقطعت إليه للعبادة. ولا تجيبي أحداً عن سؤال ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]

ونحسبها قد دهشت طويلاً، وبهتت طويلاً، قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزه ليساقط عليها رطباً جنياً.. ثم أفاقت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها، وإلى أن حجتها معها [3]

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " لقد اقترنت ولادة السيدة مريم لعيسى عليه السلام بأنواع من الألطاف الإلهية لمريم عليها السلام، فقد ناداها جبريل عليه السلام بأنَّ الله جعل من تحتها نهراً صغيراً لتشرب منه، وأسقط لها رطب النخلة، وطيَّب الله نفسها وأقرَّ عينها، فأزال عن قلبها الكآبة والحزن، وأمرها على لسان جبريل عليه السلام بالإمساك عن كلام البشر حتى لا تتعب نفسها بالحوار

---

(١) روح المعاني _ ١٦/٨٢

(٢) اختلف المفسرون في بيان مَنِ المراد من قوله تعالى ژ □ □ □ ژ مريم: ٢٤ ؛ فقال بعضهم : هو جبريل عليه السلام ، وقال بعضهم : هو عيسى عليه السلام ، وهذا القول الأخير هو ما رجحه الإمام الطبري رحمه الله _ انظر : جامع البيان _ ١٨/١٧٢-١٧٤

(٣) انظر : في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٥/٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنقاش وردّ التّهم، وأحالت الأمر على ابنها الذي أنطقه الله في المهد مدافعاً عنها، ليرتفع عنها خجلها، وتتبين الآية، فيظهر عذرها. وكل هذه آيات خارقة للعادة " [1]

جاءت مريم إلى قومها، وهي تحمل ولدها، واثقة بتأييد ربها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[مريم: ٢٧ – ٣٣]

وكذلك يؤيِّد الله عباده المتقين وأولياءه المخلصين، ويُوفِر عليهم من نعمه وكرمه، ولقد كان ذلك لمريم البتول عليها السلام، فكانت لها المنح الرَّبَّانية، فلقد جعلها الله ﷻ أمَّاً لعيسى عليه السلام من غير زوج، ولقد خلَّد المولى ذكرها في خير كتاب على وجه الأرض، وجعلها سبحانه مثلاً للذين آمنوا ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[التحريم: ١١، ١٢]

المطلب الرابع

مواساة أصحاب النَّبي ﷺ وتفريج ما أصابهم من كربات

إنَّ من أولياء الله الصالحين الذين أنزل الله ﷻ لمواساتهم وتعزيتهم قرآناً يتلى إلى قيام الساعة، أصحاب النبي محمدٍ ﷺ، حيث يجد المُتدبر للقرآن الكريم هذه المواساة في غير موضعٍ من كتاب الله ﷻ، وسيقتصر الباحث هنا على ذكر مَوضعٍ واحدٍ منها، وهو من أبرز هذه المواضع، حيث تظهر فيه المواساة والتعزية القرآنية للصحابة الكرام واضحةً جليةً.

هذا الموضعُ هو آياتٌ من سورة آل عمران، أُنزِلت على النَّبي ﷺ تعقيباً على ما جرى له ﷺ ولصحبه الكرام في غزوة أُحُد، تلك الغزوة التي أصيب فيها المسلمون إصابةً عظيمةً، ولقوا من عدوهم ما لقوا، وأصابهم لأجل ذلك غَمٌ شديدٌ.

---

(١) التفسير المنير _ ٧٨/١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان يوم أُحُد يوم بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيصٍ للمؤمنين، فعندما خالف جماعة من الرُّماة أمر الرسول ﷺ ونزلوا عن مواقعهم من جبل أُحُد، رأت خيلُ قريشٍ ظهور المسلمين خاليةً من الرُّماة، فحملوا عليهم، فقتلوا من بقي من الرُّماة، وأتوا المسلمين من خلفهم، وحملوا عليهم حَملاً شديداً، وأُشيع بين المسلمين بأنَّ محمداً ﷺ قد قتل، فانفضَّت صفوفهم، وخَلُصَ العدو إلى رسول الله ﷺ فرموه بالحجارة، حتى وقع لشقِّه، وكُسرت رباعيته اليمنى، وجُرحت شفته السفلى، ودخلت حلقتان من حلق المغفر(•) في وجنته، وهو ﷺ ثابت ينادي أصحابه، فلم يلتفت إليه أحد، إذ لم يعرفوه، وظنُّوا أنَّه قد قتل، وهو ﷺ في الحديد؛ الدرع والمغفر، ثم إنَّ كعب بن مالك الأنصاري ﷺ عَرَفَ النبي ﷺ فصاح: يا معشر المسلمين، أبشروا فهذا رسول الله ﷺ، فانعطف عليه نفرٌ من المسلمين، ونهضوا إلى الشعب، فهمَّ المشركون أن يكرُّوا على النَّبي ﷺ وأصحابه في الشعب، وقد تزايدت عليهم الغُمُوم ممَّا أصابهم، ومن خوف كَرَّة العدوُّ عليهم (١)

في تلك اللحظات العصيبة نزل قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ – ١٤٢]

قال السيوطي في سبب نزول هذه الآيات: " أخرج الطبري بسنده عن الزهري قال: كَثُرَ في أصحاب محمدٍ ﷺ القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم اليأس؛ فأنزل الله تعالى القرآن فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما أسى به قوماً من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ.﴾ إلى آخر الآيات " (٢)

لقد نزلت هذه الآيات على المسلمين بأعظم المواساة وأجلِّ التسلية عمَّا أصابهم في تلك الغزوة، فكانت هذه الآيات كالدَّواء الشافي لجراحاتهم، وكالماء البارد الذي يروي ظمأهم.

ويمكن للمتأمل في هذه الآيات أن يلتمس ما اشتملت عليه من مواساة من جوانب عدة تضمنتها ألفاظ هذه الآيات، فمن ذلك:

١ – النَّهي عن الوَهَن والحزن ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فالله سبحانه نهى أصحاب النَّبي ﷺ عن الضعف والجبن أمام أعدائهم بسبب ما حلَّ بهم في تلك الغزوة،

(•) المغفر : حلَق يتقنَّع بها المُتسلِّح ، يلبس تحت القلنسوة (القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ص ٥٨٠)

(١) انظر : تهذيب سيرة ابن هشام _ عبد السلام هارون _ ص ٢٤٩ ، الروض الأنف _ عبد الرحمن السهيلي _ ٢٩٣/٢ ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار غي سيرة النبي المختار _ محمد بن عمر الحضرمي _ ٢٨١/١

(٢) الدر المنثور _ ٣٣٠/٢ ، وانظر : العجاب في بيان الأسباب _ ابن حجر _ ٧٥٨/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونهاهم كذلك عن الحزن على ما فاتهم وما أصابهم من قتل وجرح، وعلَّل سبحانه هذا النَّهي بقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، فالضَّعف ليس من صفات المؤمنين، وأنتم أيها المؤمنون تقاتلون لهدف عظيم، لإعلاء كلمة الله ﷻ، ثم أنتم أيها المؤمنون ستكون لكم العاقبة بالنصر والظفر، فالله ﷻ قد وعدكم بذلك فقال سبحانه:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] (١)

يقول السعدي رحمه الله: " يقول تعالى مشجعاً لعباده المؤمنين، ومُقوِّياً لعزائمهم ومنهِّضاً لهممهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾أي: لا تضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجِّعوا قلوبكم وصبِّروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذَكَرَ ﷻ أنَّه لا ينبغي ولا يليق بهم الوَهَن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، فالمؤمن المتيقن بما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك " (٢)

٢- بيان أنَّ ما أصاب المؤمنين من قتل وجرح قد أصاب أعداءهم مثله، وذلك في غزوة بدر الكبرى (٣)، قال سبحانه:﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ قال الفخر الرازي: " واعلم أن هذا من تمام قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فبيَّن تعالى أن الذي يصيبهم من القرح لا يجب أن يُزيل جِدَّهم واجتهادهم في جهاد العدو، وذلك لأنَّه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوَّهم مثله قبل ذلك، فإذا كان الأعداء مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى " (٤)

فإذا كان المسلمون يجدون الألم من القتل والجراح فالكفار كذلك، والمسلم يرجو من الله الثواب والرحمة ما لا يرجوه الكافر، فهو أحق بالصبر على الآلام منه، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] (٥)

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٣٤/٧ ، التفسير الوسيط _ سيد طنطاوي _ ٢٧٢/٢

(٢) تيسير الكريم الرحمن _ ص١٤٩

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢١٧/٤

(٤) مفاتيح الغيب _ ١٢٥٩/١

(٥) انظر : أضواء البيان _ الشنقيطي _ ٣٠٦/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- بيان أنَّ هذه الدنيا يعطيها الله ﷻ للمؤمن والكافر، وللبَر والفاجر؛ لأن هذه الدار الدنيا ليست دار جزاء؛ وإنَّما هي دار بلاءٍ واختبار، وهي منقضيةٌ فانيةٌ، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنَّها خالصةٌ للذين آمنوا، فلذلك يداول الله ﷻ الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ قال تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن كثير: " نُدِيلُ عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة " (١)

٤- بيان ما في الابتلاء بغلبة الأعداء للمسلمين _ في بعض الأحيان _ من فوائد وحكم؛ فبمثل هذه الابتلاءات يُظهر الله ﷻ أهل الإيمان عن غيرهم، ولو استمر النَّصر للمؤمنين في جميع الوقائع، لدخل في الإسلام من لا يُريده، أمَّا إذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبيَّن المؤمن حقيقةً، الذي يرغب في الإسلام، في الضَّراءِ والسَّراءِ، واليسرِ والعسرِ، ممن ليس كذلك.﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، ولو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوِّهم فى كُلِّ موطن، وجعل لهم التَّمْكِينَ والقهرَ لأعدائهم أبداً، لطغتْ نفوسُهم، وشمخت وارتفعت، فلا يُصْلِحُ عِباده إلا السَّراءُ والضَّراءُ، والشدةُ والرخاءُ، والقبضُ والبسطُ، فهو المدبِّرُ لأمر عباده كما يليق (٢)

ومن فوائد هذا النوع من البلاء _ أيضاً _ الفوز بالشهادة في سبيل الله ﷻ، قال تعالى ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، فالشَّهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين، إذ قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، ليُؤتيهم ما يحبون من المنازل العالية، والنعيم المقيم (٣)

ومن فوائد الابتلاء بجعل الغلبة للأعداء أحياناً: تمحيص المؤمنين، أي تطهيرهم وتنقيتهم من الذنوب (٤)، ومحق أعدائهم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

٥- بيان أنَّ هذا البلاء الذي أصاب المسلمين في غزوة أُحد وأمثاله من الابتلاءات هو طريق موصل إلى جنة الرحمن، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

قال ابن عاشور: " بيَّن لهم أنَّ دخول الجنة الذي هو مرغوبهم، لا يحصل إذا لم يبذلوا نفوسهم في نصر الدين " (٥)

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ١٩٩/٣

(٢) انظر : زاد المعاد _ ابن قيم الجوزية _ ٢٢٠/٣

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ١٤٩-١٥٠

(٤) انظر : زاد المسير _ ابن الجوزي _ ٤٦٨/١

(٥) التحرير والتنوير _ ١٠٥/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشار ابن القيم إلى مجمل ما سبق فقال: " ذكر سبحانه أنواعاً من الحكم التي لأجلها أُديل عليهم الكفار، بعد أن ثبَّتهم وقواهم وبشَّرهم بأنَّهم الأعلون بما أعطوا من الإيمان، وسلاهم بأنَّهم وإن مسهم القرح في طاعته وطاعة رسوله، فقد مس أعداءهم القرح في عداوته وعداوة رسوله، ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دولا بين الناس؛ فيصيب كلاً منهم نصيبه منها، كالأرزاق والآجال،ثم أخبرهم أنَّه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم _ وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه ولكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين فيعلم إيمانهم واقعاً _ ثمَّ أخبر أنَّه يحب أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عنده ومنزلة رفيعة، لا تنال إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو عليهم لم تحصل درجة الشهادة، التي هي من أحب الأشياء إليه سبحانه، وأنفعها للعبد، ثمَّ أخبر سبحانه أنَّه يريد تمحيص المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره، وأنَّه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم.

ثم أنكر سبحانه على عباده المؤمنين حسبانهم وظنَّهم دخول الجنة بغير جهادٍ ولا صبرٍ، وأنَّ حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم، فهذا بعض حكمه في نصرة عدوهم عليهم وإدالته في بعض الأحيان " (١)

وفي الآيات كثير من التَّسلية والمواساة؛ يلتمسها كلُّ من تدبَّر وتبصَّر، ولقد كانت تلك المواساة الرَّبَّانية لأصحاب النبي ﷺ خاصةً، وهي للمسلمين من بعدهم عامة، فأيُّ جماعةٍ من المسلمين في أيِّ عصرٍ أو مصرٍ أصابها مثل ما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ في أُحد، كانت هذه الآيات خير ما يتأسَّون به ويتصبَّرون.

وإنَّنَا اليوم نعيش في عصرٍ يكثر فيه التقتيل والاعتداء علينا وعلى إخواننا المسلمين المستضعفين في بلاد عدة في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يجد المسلمون لهم ناصراً ولا مغيثاً غير الله ﷻ، فما أحوجنا لمواساة أنفسنا بهذه الآيات البينات التي تذهب عنَّا اليأس، وتملؤنا بالتفاؤل والبِشر، وتمدنا بالصبر الجميل، وتدفعنا للعمل بكل جِدٍ ونشاطٍ من أجل رفع الظلم والقهر عن جميع المسلمين، ونشر دين الحقَّ بين ربوع العالمين.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان _ ١٩١/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلاصة الفصل الثاني:

بعد أن أتمَّ الباحث الفصل الثاني، والذي كان بعنوان: (نماذج من مواساة القرآن للأنبياء والصالحين وتفريج كربهم) يخلص الباحث بما يلي:

١- الذنوب والمعاصي واتباع خطوات الشيطان أسباب لجلب الأحزان والهُمـوم للإنـسان، والتوبة والإنابة إلى الله ﷻ أعظم ما يعالج به المرء حزنه وهمه.

٢- قد يصيب الإنسان بعض الهموم ابتلاءً من الله ﷻ؛ فالهَمُّ وضيق الصدر مرضٌ كغيـره من الأمراض التي يَبتلي الله ﷻ بها عباده، وعلى المؤمن أن يعالج ذلك بالصبر الجميل، والرَّضا بقضاء الله ﷻ، والاجتهاد بالذكر والدعاء.

٣- على صاحب البلاء أن يتأدب مع الله ﷻ في تضرعه ودعائه، وليقتدِ في ذلك بأنبيـاء الله ﷻ، في أدبهم الجَم مع ربِّهم سبحانه.

٤- الأعمال الصالحة والتعرف على الله ﷻ في وقت الرخاء والسَّعة تنفـع الإنـسان وقـت الشدة، وعند نزول البلاء.

٥- إذا اشتدت المحن جاء الفرج، وإذا ضاقت الأمور انفرجت الحال ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]

٦- إنَّ في قصص الأنبياء والصالحين خير ما يواسي به المؤمن نفسه، فليس هناك من هُـم أفضل عند الله ﷻ من أنبيائه ورسله، ومع ذلك تعرضوا للابـتلاءات، ليزيـد الله لهـم الأجر، ويرفع لهم الـدرجات ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]؛ فالأنبياء قدوةٌ للعالمين؛ فإذا ابتلي المؤمن بالفقر أو الغنى فله فيهم الأسـوة الحسنة، وإذا ابتلي بفقد الأحبة فله فيهم القدوة الحسنة، وإذا ابتلي بالمرض والألـم فلـه فيهم القدوة الحسنة، وإذا ابتلي بأذى الناس وهجرهم له وهو على الحق فله في رسل الله القدوة الحسنة، ومن ابتلى بمشكلات الحياة وتقلبات الدنيا فله فـيهم _ صـلى الله علـيم جميعاً وسلم تسليماً كثيـراً _ القـدوة الحـسنة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

منهج القرآن في مواساة المبتلين من المؤمنين وتفريج كربهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج القرآن في المواساة العامة لكل مبتلى مؤمن.

المبحث الثاني: منهج القرآن في تفريج الكربات.

المبحث الثالث: نماذج من منهجيات القرآن الكريم في المواساة لأصحاب بلاء معين وتفريج كربهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ المتأمِّل في كتاب الله ﷻ، يجد أنَّ هذا الكتاب العزيز كما أنَّه مليءٌ بالمواساة والتسلية للنبي ﷺ، ومليءٌ بذكر نماذج من المواساة الرَّبَّانية للأنبياء والأولياء السابقين، نجد أنَّ هذا الكتاب العزيز عامرٌ أيضاً بالمواساة لكلِّ من أصابه البلاء من المؤمنين عامةً؛ فليست المواساة القرآنية قاصرةً على مواساة النبي ﷺ، بل هي عامةٌ شاملةٌ لكل من يحتاج للمواساة من عباد الله المؤمنين.

إنَّ القرآن الكريم فيه شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ومن هذا الشفاء ومن تلك الرحمة أنَّ هذا الكتاب العزيز يواسي المبتلين، ويفرج كرب المكروبين، ويذهب أحزان المحزونين.

وفي هذا الفصل _ بإذن الله _ سيحاول الباحث الوقوف على هذه المواساة القرآنية للمبتلِين من المؤمنين، ليستنبط من ذلك المنهج القرآني في مواساة المبتلين وتفريج كربهم، ليكون لنا في هذا المنهج القرآني الرباني خير ما نواسي به أنفسنا وإخواننا، وليكون هذا المنهج خير زاد لمن أصابه كرب، أو دهمته مصيبة، أو اجتمعت عليه الهُمُوم والأحزان، فأي دواء أعظم مما وصف لنا العليم الخبير؟!، وأي شفاء نستشفي به أصلح من الشفاء الذي أنزله الرحمن الرحيم؟!

وقد رأى الباحث أن الآيات التي تتضمن هذا النوع من المواساة _ المواساة العامة لكل مبتلى _ يمكن أن تُقسَّم إلى ثلاثة أقسام؛ القسم الأول: آياتٌ فيها مواساةٌ عامةٌ لكلِّ صاحب بلاء، والقسم الثاني: آياتٌ فيها بيان لما يُفَرِّج الكروب ويُزيل الأحزان، والقسم الثالث: آياتٌ خاصةٌ بأصحاب بلاء معين، تواسيهم وتبين لهم ما يُزيل كربهم ويُفرِّج هَمهم، كالمرضى والفقراء واليتامى والمطلقات... الخ؛ لذا جعل الباحث هذا الفصل في ثلاثة مباحث حسب ما يقتضيه تصنيف الآيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

منهج القرآن في المواساة العامَّة لكلِّ مبتلى مؤمن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة الحياة الدنيا.

المطلب الثاني: ربط قلوب المؤمنين بالحياة الآخرة.

المطلب الثالث: بيان سُنَّة الله عز وجل في الابتلاء.

المطلب الرابع: الأمر بالصبر وبيان ثواب الصابرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي يَجِدُ فيها العبد المُبتَلى ما يُهَوِّن عليه مصيبته، ويصبِّره على بلواه ويرضيه بقضاء ربه ﷻ، حيث لا تكاد تخلو صفحةٌ من كتاب الله ﷻ من هذه الآيات المُسلية والمُصبِّرة للمؤمنين؛ ولا يكاد يستمع المَرء إلى بضع آياتٍ من كلام ربِّه ﷻ إلا ويشعر بما فيها من تطييب للخاطر ومسح للأحزان.

ومن أكثر الآيات التي تتضمن معاني المواساة والتسلية والتصبير تلك الآيات التي تبيِّن لنا حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، وتلك الآيات التي تبيِّن لنا سنة الله ﷻ في الابتلاء، وتلك الآيات التي تحث على الصبر وتبيِّن جزاء الصابرين عند ربِّهم؛ لذا قسم الباحث هذا المبحث إلى أربعة مطالب.

المطلب الأول

بيان حقيقة الحياة الدنيا

إنَّ القرآن الكريم مليءٌ بالآيات التي تبيِّن لنا حقيقة الحياة الدنيا [١]، وتوضح لنا دورنا فيها، وتحذِّر كلَّ عاقل من الاغترار بها، ونسيان الهدف الذي أوجده الله فيها لأجله، يقول ابن القيم _ رحمه الله _: " والقرآن مملوءٌ من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها، وانقطاعها وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بِشَرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار " [٢]

إنَّ مجرَّد التأمل في اسم الحياة الدنيا يوحي بحقيقة معناها، فاسمها " الدنيا " بمعنى أنَّها أولى وستعقبها أُخرى، وبمعنى أنَّها فانية وهناك دار باقية، وبمعنى أنَّها في المنزلة الدنية، فكل هذه الأمور موجودة في الحياة الدنيا حقيقة فهي أولى من حيث الزمن وستعقبها أخرى وهي فانية، وهي كذلك دنية المنزلة [٣]

ومن خلال التَّدبر في الآيات التي تحدثت عن حقيقة الحياة الدنيا يمكن لنا أن نخرج منها بالحقائق التالية:

---

(١) وردت كلمة الدنيا في القرآن الكريم أكثر من مائة وعشر مرات (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم _ محمد عبد الباقي _ ص ١٥٠-١٥١)

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين _ ١٠/٢

(٣) من مقال بعنوان: ثلاثون درساً من أمثلة الحياة الدنيا في القرآن _ لعقيل بن سالم الشمري _ موقع المسلم التربوي (www.almoslim.net)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: الحياة الدنيا حياة قصيرة سريعة الفناء: حتى إنَّ الناس في أرض المحشر يقدِّرون مدة لبثهم في الدنيا بساعة واحدة من النَّهار، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ... ﴾[يونس: ٤٥]، قال الشنقيطي _ رحمه الله _: " بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الكفَّار إذا حشروا يوم القيامة استقلوا مدة مُكثهم في دار الدنيا، حتى كأنَّها قدر ساعة عندهم، وبيَّن الله سبحانه هذا المعنى في مواضع أخر من كتابه العزيز، كقوله في آخر سورة الأحقاف: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ... ﴾[الأحقاف: ٣٥] ، وقوله في آخر سورة النازعات: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦]، وقوله في آخر سورة الروم: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: ٥٥] " (١)

فالدُّنيا مهما طالت فهي قصيرة إذا ما قورنت بالحياة السرمدية الأبدية في الآخرة، ومهما عَمَّر الإنسان في هذه الدنيا فمصيره إلى الموت، وترك هذه الدَّار الفانية، والدنيا لا تعدو كونها ممراً للآخرة، يجوزه الناس مسرعين إلى مستقرهم في دار الخلود.

والدنيا سريعة الفَناء، قريبة الانقضاء، تعِدُ بالبقاء، ثم تخلفُ في الوفاء، ينظر إليها الناظر فيراها ساكنة مستقرَّة، وهي في الحقيقة سائرة سيرًا عنيفًا، ومُرتحلة ارتحالاً سريعًا، ولكنَّ الناظرَ إليها قد لا يَحُسُّ بحركتها، فيطمئن إليها؛ ولكنه يحسُّ عند انقضائها، ومثالُها في ذلك كالظِّل؛ فإنَّه متحرِّكٌ ساكنٌ، متحركٌ في الحقيقة، ساكنُ الظاهر، لا تُدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة (٢)؛ وقد ضرب الله ﷻ لها مثلاً في ذلك الانقضاء السريع فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]، وفي موضع آخر قال سبحانه: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]

قال القرطبي: " قالت الحكماء: إنَّما شبَّه الله تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقرُّ في موضعٍ، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى فكذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ ١٥٧/٢

(٢) بتصرف من مقال للدكتور هاني درغام بعنوان حقيقة الدنيا _ موقع شبكة الألوكة _ آفاق الشريعة _ مقالات شرعية _ (www.alukah.net)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: **(قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنَّعه الله بما أتاه)**[1] " [2]

ولابن القيم في ذلك كلام نفيس إذ يقول: " للعبد ثلاثة أحوال؛ حالة لم يكن فيها شيئاً، وهى ما قبل أن يُوجد، وحالة أخرى وهى من ساعة موته إلى مالا نهاية له في البقاء السرمدي، إمَّا في الجنَّة وإما في النَّار في خلود دائم، وحالة ثالثة بين هاتين الحالتين، وهي ما بعد وجوده وما قبل موته، وهي حالة متوسطه، وهى أيام حياته في الدنيا، فلينظر إلى مقدار زمانها ونسبته إلى الحالتين، ليعلم بذلك أنَّه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا، ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يرّكن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه فيها في ضر وضيق، أو في سعه ورفاهية؛ وقد قال رسول الله ﷺ: **(مالي وللدنيا، إنَّما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها)** [3]، وقال: **(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بم يرجع)** [4]، والى هذا أشار المسيح عليه السلام بقوله: الدنيا قنطرة فاعبُروها ولا تَعمُروها، وهذا مثل صحيح؛ فإنَّ الحياة معبرٌ إلى الآخرة، والمَهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللَّحد هو الركن الثاني على آخرها، ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوةٌ واحدةٌ وهو غافل عنها، وكيفما كان فلا بدَّ من العبور، فمن وقف يَبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزِّينة وهو يُستحث العبور، فهو في غاية الجهل والحمق" [5]

ثانياً: الحياة الدنيا متاع زائل وهي دار لهو ولعب وزينة وشهوات: فكل ما فيها ما هو إلا متاع الغرور؛ فليس فيها نعيم دائم، ولا راحة حقيقية، بل كلٌّ ما فيها غرور، ولقد أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة أعظم بيان، وأكدها أعظم توكيد؛ وذلك حتى لا يغتر بالدنيا إنسان ولا يركن إليها بشر، فيقدمونها على دار الخلود والنعيم المقيم في الآخرة.

قال تعالى محذراً عباده من الاغترار بمتاع الدنيا الزائل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب الزكاة _ باب في الكفاف والقناعة _ ١٠٢/٣ _ ح ٢٤٧٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ ٤١٢/١٠

(٣) مسند الإمام أحمد _ ٤٤١/١ _ ح ٤٢٠٨، قال عنه الأرنؤوط: صحيح.

(٤) صحيح مسلم _ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها _ باب فناء الدنيا _ ١٥٦/٨ _ ح٧٣٧٦

(٥) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين _ ص ١٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران: ١٤]، فهذه الدنيا مزينة بالشهوات بجميع أصنافها، ولكن كل هذه الشهوات متاع قليل زائل، والعاقل هو الذي لا يُقَدِّم هذه الشهوات الفانية على الملذات الدائمة، وسيعرف الإنسان حقيقة شهوات الدنيا عند أول منزل من منازل الآخرة، عندما يأتيه ملك الموت لينتزع روحه، فيسلب منه كلَّ متاع الدنيا، وحينها يعلم علم يقين حقيقة تلك الشهوات، ويشعر بخستها وحقارتها

يقول ابن القيم في ذلك: " شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها، وكما أنَّ الأطعمة كلَّما كانت ألذ طعماً وأكثر دسماً، وأكثر حلاوة، كان رجيعها أقذر؛ فكذلك كلُّ شهوةٍ كانت في النفس ألذ وأقوى، فالتأذي بها عند الموت أشدّ " [١]

ولقد بيَّن القرآن أنَّ الدنيا دار لعب ولهو وزينة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[الحديد: ٢٠]، فهذه حقيقة الدنيا، ليست أكثر من ذلك، وهي وشيكة الزوال بعد الخضرة والنضارة، والعاقل لا يضيع وقته في هذا اللعب واللهو؛ وإنما يعمل ويجتهد ليفوز في الآخرة بمغفرة الله ورضوانه

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنعام: ٣٢]، الدنيا لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان؛ وأما الآخرة فهي خير من ذلك، في ذاتها وصفاتها، خير في بقائها ودوامها، خير بما فيها ممَّا تشتهيه الأنفس، وتلذُّ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح. [٢]

وهذه الحقيقة عن الدنيا تؤكد أنها ليست للاستقرار والحياة الدائمة، فهي مجرد لعب ولهو، وزينة خارجية؛ والفناء يلاحقها، والموت يتابعها، ولا يبقى منها شيء إلى الدار الآخرة إلا فني ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] [٣]

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين _ ص ١٩٥

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٢٥٤

(٣) بتصرف من مقال للدكتور صلاح سلطان _ موقع قصة الإسلام (islamstory.com) _ قسم بأقلام العلماء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: الدنيا دار ابتلاء واختبار: فلم يخلقنا الله ﷻ في هذه الدنيا من أجل التمتع فيها، والاطمئنان لها؛ وإنما خلقنا فيها لأجل الاختبار والابتلاء، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك: ٢]، وقال:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، فالدنيا مزرعة للآخرة، فهي دار عمل لا دار جزاء، والآخرة دار جزاء لا دار عمل [١]

لذا كانت هذه الدنيا هي دارُ المصائب والشرور، وليس فيها لذَّةٌ إلا وهي مَشوبة بالكدر، لا يخلو صفوها عن الشوائب، ولا ينفكُّ سرورُها عن المنغِّصات، سلامتُها تُعْقِبُ السقم، وشبابُها يسوق إلى الهَرَم، ونعيمُها لا يُثْمر إلا الحسرة والندم، إنْ أضحكتْ يومًا أبكَتْ أيامًا، وإن سَرَّتْ حينًا أحزَنتْ أحيانًا، صحيحُها إلى سقمٍ، وكبيرُها إلى هَرَم، وحَيُّها إلى موت وفَنَاء، ووجودُها إلى عدم [٢]

كلُّ ابن آدم في هذه الدنيا مختبر، وكلُّ ما في الدنيا ابتلاءٌ وامتحانٌ؛ فالمال فيها امتحان، والزوجة والأولاد امتحان، والغِنى والفقر امتحان، والصحة والمرض امتحان، وفي كلِّ ما يَعترينا في هذه الحياة امتحان وابتلاء، حتى نلْقَى الله ﷻ ﴿...وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

فما دام الأمر كذلك فعلى العاقل أنَّ يُعَمِّر وقته بالعمل النافع الذي يوصله إلى بر الأمان، وأن يكثر من الغرس الصالح فقد أوشك موعد الحصاد ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٣٦٨/٢٢، تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٥٥/٨

(٢) بتصرف من مقال للدكتور هاني درغام بعنوان: حقيقة الدنيا _ موقع شبكة الألوكة _ آفاق الشريعة _ مقالات شرعية _ (www.alukah.net)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقل شمس الدين المنبجي [١]: " عن أبي الفرج ابن الجوزي [٢] قوله: " ولولا أنَّ الدنيا دار ابتلاء، لم تتوالى فيها الأمراض والأكدار، ولم يُضَّق العيش فيها على الأنبياء والأخيار؛ فآدم عليه السلام يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح عليه السلام بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم عليه السلام يُكابد النار وذبح الولد، ويعقوب عليه السلام بكى حتى ذهب بصره، وموسى عليه السلام يقاسي فرعون ويلقي من قومه المحن، وعيسى بن مريم عليه السلام لا مأوى له إلا البراري في العيش الضَّنك، ومحمد ﷺ يُصابر الفقر، وقَتل عمِّه حمزة _ وهو من أحب أقاربه إليه _، ونفور قومه عنه، وغير هؤلاء من الأنبياء والأولياء مما يطول ذكره، وقد قال النبي ﷺ: **(الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر)**[٣]، فإذا بان بأنَّها دار ابتلاءٍ وسجنٍ ومحن، فلا ينبغي إنكار وقوع المصائب فيها " [٤]

إنَّ عِلم الإنسان بهذه الحقائق عن الدنيا، وإيمانه بها، يجعله زاهداً في هذا الحطام الزائل، راغباً بما هو خير وأبقى، صابراً لا يبالى بما فاته من الدنيا، محتسباً كل ما يصيبه فيها عند الله عز وجل.

وإذا أيقن المرء بحقيقة الدنيا كما بيَّن القرآن الكريم، لم يبق في قلبه حزنٌ، ولم يجزع لمصيبةٍ، ولم يُقيِّده هَمٌّ؛ فالدنيا كلها هيِّنة عليه، لا يلهث لتحصيلها، ولا يحزن لفقدها، ولا يبالي بتقلباتها، وهذه هي من ثمار الإيمان التي يجنيها أهله، وهذا ما حصل لسحرة فرعون عندما آمنوا، فرغم أنَّ فرعون توعَّدهم أشدَّ العذاب ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، لم يجزعوا ولم يحزنوا؛ وإنَّما قالوا بلسان العبد المؤمن العالم بحقيقة الدنيا والآخرة: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۞ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْتِهِۦ

---

(١) محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المنبجي، حنبلي متصوف، أصله من منبج سكن الصالحية بدمشق، له كتب ومؤلفات منها منهاج السالكين وعدة البصراء السائرين، وكتاب تسلية أهل المصائب ...، توفي سنة ٧٨٥ هـ ١٣٨٣ م (انظر: الأعلام _ الزركلي _ ٤١/٧)

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ، كان علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنَّف في فنون عديدة، منها " زاد المسير في علم التفسير " أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله " المنتظم " في التاريخ، وله " الموضوعات " ذكر فيها كل حديث موضوع، وله الكثير من المؤلفات، توفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ (انظر: وفيات الأعيان _ ابن خلكان _ ١٤٠/٣)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الزهد والرقائق _ باب رقم ١ _ ٢١٠/٨ _ ح ٧٦٠٦

(٤) تسلية أهل المصائب _ ص ٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ [طه: ٧٢ – ٧٦]

فهذه هي الدُّنيا، وهذه حقيقتها، فلا يحزن عليها إلا من أغترَّ بها، وجهل حقيقتها، فكلٌّ مصاب فيها يهون، وكلُّ بلاء فيها يُحتسب عند الله ﷻ، ويرجى ثوابه في الآخرة.

المطلب الثاني

ربط قلوب المؤمنين بالحياة الآخرة

كما أنَّ القرآن الكريم قد بيَّن لنا حقيقة الدنيا، فإنَّه كذلك قد بيَّن حقيقة الآخرة، وربَط قلوب المؤمنين بها، وحثَّهم حثاً عظيماً على المُسابقة والمُسارعة إلى تحصيل الفوز فيها، قال سبحانه: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢١]، وقال أيضاً:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

لقد رغَّبنا القرآن الكريم _ في كثيرٍ من المواضع _ بالآخرة أعظمَ ترغيب، وشوَّقنا لها أعظمَ تشويق، من خلال بيان حقيقتها، وذكر رفعة منزلتها، وعِظَم الخير والنَّعيم الذي فيها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فالآخرة هي الحياة الحقيقية، التي لا موت فيها ولا فناء، ولا يشوبها الكدر والنكد والتنغيص كما هو الحال في الدنيا (١)

ومن ذلك أنَّه سبحانه وصف تحصيل الفوز في الآخرة بالفوز العظيم، وذلك في كثيرٍ من الآيات؛ منها: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ٧٢]، ومنها: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد: ١٢]

ومن الملاحظ أنَّ الله ﷻ إذا ذَكَرَ الدنيا وبيَّن خِسَّتها، أردف ذلك ببيان الآخرة ورفعتها؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ...قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم

(١) انظر: زاد المسير _ ابن الجوزي _ ٢٨٤/٦ ، روح المعاني _ الألوسي _ ١٢/٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[التوبة: ٣٨]، ومن أعظم الموازنات بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۞ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٣٣ – ٣٥]، فهذه الآية تبيِّن مدى حقارة الدنيا وخِستها وهوانها على الله ﷻ، فهذه الدنيا في أبهى صورها وحذافير متاعها هيِّنة على الله ﷻ، يبذلها سبحانه للكفَّار الفجَّار، ولولا رحمة الله بعباده لأعطى الكفَّار أقصى ما في الدنيا من متاع وشهوات، فالدنيا لا تساوي عنده سبحانه شيئاً، وقد قال رسول الله ﷺ **(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ)** (١) (٢)

لقد بيَّن لنا القرآن الكريم أنَّ الحياة الآخرة هي دار الحساب والجزاء، فيها المُستقر والبقاء، وفيها السَّعادة والهناء، لمن آمن وأطاع ربَّه، وقد سطَّر الله ﷻ مقولة ذلك الرَّجل المؤمن _ مؤمن آل فرعون _ الذي قام ناصحاً وواعظاً لقومه، مبيناً لهم حقيقة الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٣٨ – ٤٠]

إنَّ نعيم الآخرة الباقي لا يقاس بنعيم الدنيا الفاني، لأنَّ الدنيا لا تساوي شيئاً في الآخرة، وقد جاء في الحديث الشريف عن سهل بن سعد ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(موضع سوطِ أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)** (٣)

وبهذا البيان الساطع، لا يبقَ لأحدٍ عذرٌ إن ضيَّع حياته السرمديه بدنيا زائلة فانية؛ لذا نجد أن المولى ﷻ قد توعد أولئك المجرمين الكافرين الذين فضَّلوا الدنيا على الآخرة، فقال سبحانه: ﴿... وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾[إبراهيم: ٢، ٣]، وقال ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات: ٣٧ – ٣٩]، وقال أيضاً: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[الشورى: ٢٠]،

---

(١) سبق تخريجه ص ١٢١

(٢) انظر: روح المعاني _ الألوسي _ ٨٠/٢٥ ، في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٧٤/٦

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه _ كتاب الجهاد _ باب فضل رباط يوم في سبيل الله _ ٣٥/٤ _ ح ١٨٩٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي آية أخرى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦]

فما أسعد من أراد الآخرة، وما أشقى من رغب عنها وأراد الدنيا ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]

إنَّ العبد المؤمن عندما يتلو آياتٍ القرآن التي تُحدِّثه عن الآخرة، وترغِّبه فيها، وتشوِّقه إليها، يشعر بشوق عظيم للقاء ربِّه، وتهون عليه مصاعب الحياة الدنيا مهما بلغت من الشدة، ويمتلئ قلبه بالأمل والسرور، ويتأسى بتلك الآياتِ أعظمَ مواساةٍ، ويصبح مُطمئن النَّفس، مُنشرح الصدر، يوقن أنَّ هذه الدنيا زائلة بأكدارها وهُمومها، وأن غَمسة في جنَّة الرحمن تنسيه كل البؤس والآلام، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يُؤتى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ فى النَّار صَبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتى بأشدِّ الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ صبغةً فى الجنة،فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤسٌ قط،ولا رأيت شدةً قط)** [١]

المطلب الثالث

بيان سُنَّة الله عز وجل في الابتلاء [٢]

إنَّ ممَّا يواسي الإنسانَ ويسلِّيه عند وقوع البلاء، وعند التعرض للمِحن والشدائد، وعند تكالب الهُمُوم والأحزان، معرفة سُنة الله ﷻ في الابتلاء والتمحيص، وأنَّ الله سبحانه جعل هذه السُنَّة العظيمة جاريةً على جميع عباده، لا يُستثنى منها أحد، حتى الأنبياء _ عليهم السلام _ تعرضوا للابتلاءات والاختبارات بشتى أنواعها، بالسَّراء والضَّراء [٣]، فالابتلاء سُنَّةٌ ماضيةٌ

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب صفة القيامة والجنة والنار _ باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة _ ٨/١٣٥ _ ح ٧٢٦٦

(٢) كلمة الابتلاء مأخوذة من مادة (بلا)، يقال: بَلَوْتُ الرجلَ بَلواً وبَلاءً وابْتَلَيْته اخْتَبَرْته ..، وابْتَلاه الله امْتَحَنَه واختَبره، والاسم البَلْوَى والبَلِيَّةُ والبَلاءُ، والجمع البَلايا، (انظر: لسان العرب _ ابن منظور _ ١/٣٥٥)، والابتلاء هو الاختبار قد يكون بالخير وقد يكون بالشر _ (انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٥/١٠٦)

(٣) سبق الحديث عن نماذج ابتلاءات الأنبياء والصالحين في الفصل الثاني من هذه الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على الجميع، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وما من مؤمن بالله ورسوله إلا كان له نصيبٌ من الابتلاء والتمحيص، قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣]

لقد قدَّر الله ﷻ الابتلاءات والمِحن على الأفراد والمجتمعات، قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وهذه الابتلاءات تتنوع وتختلف؛ فقد تكون بالسَّراء وقد تكون بالضَّراء، قال ﷻ:﴿...وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] فالله سبحانه يختبر عباده بالمصائب تارةً، وبالنِّعم تارةً أخرى، يبتليهم بالشِّدَّة والرَّخاء، والصِّحة والسَّقم، والغِنى والفَقر، والحلال والحرام؛ فينظُر سبحانه من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط (١)

والعبد المؤمن يعلم ويؤمن أنَّ هذا الابتلاء والاختبار من الله ﷻ لعباده إنَّما هو لحِكَمٍ عظيمةٍ أرادها العليم الحكيم سبحانه، يَظهر لنا بعضها، وبعضها لا يعلمها إلا اللطيف الخبير، نقل التنوخي(٢) عن الفضل بن سهل (٣) قوله: " إِنَّ فِي الْعِلَلِ لَنِعَماً لَا يَنْبَغِي للعاقل أَن يجهلها: تمحيصٌ للذَّنب، وَتَعَرُّضٌ لثواب الصَّبْر، وإيقاظٌ من الْغَفْلَة، وتذكيرٌ بِالنعْمَةِ فِي حَال الصِّحَّة، واستدعاءٌ للمثوبة، وحَضٌ على الصَّدَقَة " (٤)

وفيما يلي بعض الحكم العظيمة لسُنَّة الله ﷻ في ابتلاء عباده:

١ – الابتلاء فيه تحقيق العبودية لله ربِّ العالمين :

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٠٣/٩

(٢) هو القاضي العلامة أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم التنوخي البصري، الأديب الشاعر صاحب التصانيف، ولد في البصرة سنة ٣٢٧ هـ،ونشأ فيها ، ثم سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٣٨٤ هـ، من كتبه: " الفرج بعد الشدة " و " جامع التواريخ " (انظر: سير أعلام النبلاء _ الذهبي _ ٢٥٢/١٦)

(٣) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، ولد في سرخس بخرسان سنة ١٥٤هـ، وهو وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه، وأسلم على يده وكان مجوسيا، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين، توفي سنة ٢٠٢ هـ (انظر: وفيات الأعيان _ ابن خلكان _ ٤١/٤)

(٤) الفرج بعد الشدَّة _ ١٦٩/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الله ﷻ يُربِّي عباده على السرَّاء والضرَّاء، والنِّعمة والبَلاء، فيستخرج منهم عبوديَّته في جميع الأحوال، وإنَّ العبد على الحقيقة هو مَن قام بالعبوديَّة على اختلاف الأحوال، أمَّا عبدُ السرَّاء والعافية الذي ﴿...يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ...﴾ [الحج: ١١]، فليس هو من عباد الله الذين اختارَهم لعبوديَّته، لذا فإنَّ من حكم الابتلاء تحقيق العبودية لله ﷻ.

٢- الابتلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكُّل:

وهذه من أعظم حِكم الابتلاء وفوائده، وذلك أنَّ الابتلاء يُطلع العبد على حقيقة نفْسه؛ فيعلم أنَّه عبدٌ ضعيفٌ، لا حول له ولا قوة إلا بربِّه، فيتوكَّل عليه حقَّ التوكُّل، ويلجأ إليه حقَّ اللجوء، حينها يَسقط الجاه والخُيلاء، والعُجب والغرور والغَفلة، ويفهم العبد أنَّه مسكين يلوذُ بمولاه، وضعيف ما له إلا اللُّجوء إلى القوي العزيز، يقول ابن القيم _ رحمه الله _: " فلولا أنَّه سبحانه يُداوي عباده بأدوية المِحن والابتلاء، لطَغَوا، وبَغَوْا، وعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرِغُ به من الأدواء المُهلكة، حتى إذا هذَّبه ونقَّاه وصفَّاه، أهَّلَه لأشرفِ مراتب الدنيا، وهي عبوديتُه، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيتُه وقُربه " (١)

فما أجمل تلك اللحظات التي يَفِرُّ فيها العبدُ إلى ربِّه ومولاه، ويعلم أنَّ ربَّه وحْدَه هو مُفَرِّج الكَرب، ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]، قال ابن كثير _ رحمه الله _: " تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنَّهم مِلكٌ لله، يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنَّه سبحانه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة؛ فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنَّهم عبيده، وأنَّهم إليه راجعون في الدار الآخرة " (٢)

٣- الابتلاء كفَّارة للذنوب ورفعة للدرجات:

فمن ثمرات الابتلاء أنَّه تكفير للذُّنوب والخطايا، وقد جاءت السُّنَّة النَّبوية صريحة بذلك؛ فمن ذلك قول النبي ﷺ: **(لا يزال البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة؛ في نفسه وولده وماله، حتى يَلْقَى الله**

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد _ ١٩٥/٤

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ١٢٩/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما عليه خطيئـــة) [1]، ونزول البلاء على العبد المؤمن في الدُّنيا خيرٌ له من أن يُدَّخَر له العقاب في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: **(إذا أرادَ الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أرادَ الله بعبده الشرَّ أمْسَكَ عنه بذنبه، حتى يُوافِى به يوم القيامة)** [2]

والمؤمن يبحث دائماً عمَّا يُكفِّر ذنوبه، ويَزيد أجره، ويَرفع درجتـــه عنـــد ربَّـــه ﷻ، وهـــذه الفضائل كلُّها من ثمرات التعرض للابتلاء والصبر عليه، وقد جاء في الحـــديث الـــذي ترويـــه عائشة أمُّ المؤمنين _ رضي الله عنها _ عن رسول الله ﷺ قال: **(ما مِن شيءٍ يُصيب المـــؤمن حتى الشوكة تُصيبه إلا كَتَبَ الله له بها حسنة أو حُطَّت عنه بها خَطيئة)** [3]، وفـــي حـــديث آخر بيَّن ﷺ أنَّ كل ما يصيب المسلم من ابتلاءات الدُّنيا فهو كفّارة له، فعن أبى هريرة ﷺ عـــن رسول الله ﷺ قال: **(مَا يُصِيبُ المؤمنَ مِن وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الهَمِّ يُهَمُّـــهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئاته)** [4]، ولذلك نهى الرسول ﷺ عن سب المرض والحُمَّى، فعن جـــابر بـــن عبد الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال: **(ما لكِ يا أمَّ السائب تزفزفين)، قالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال ﷺ: (لا تَسبِّى الحُمَّى فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد)** [5]

ولقد أكدَّ القرآن الكريم على أن ما يلقاه المسلم في سبيل الله ﷻ من شدة ومتاعـــب فلـــه بـــه الأجر والمثوبة، قال تعالى: ﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]

ولا تَزال الابتلاءات بالمؤمن حتى يَخرج من الدنيا وما عليه خطيئة، وقد تكون للعبد المؤمن منزلةٌ عاليةٌ ساميةٌ عند ربِّه ﷻ لم يُوصله إليها عمله؛ فيُبتلى حتى تَحصُل له تلك الدرجة العالية، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ إذ قال: **(إنَّ العَبد إذَا سَبقَت له مِنَ اللَّه مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِه، ابْتَلاَهُ**

---

(١) سنن الترمذي _ أبواب الزهد _ باب ما جاء في الصبر على الـــبلاء _ ٢٠٤/٤ _ ح ٢٣٩٩، وقـــال عنـــه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سنن الترمذي _ أبواب الزهد _ باب ما جاء في الصبر على البلاء _ ٢٠٤/٤_ح ٢٣٩٦، والحديث حـــسنه الألباني (انظر: مشكاة المصابيح _ ٣٥٣/١)

(٣) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حـــزن أو نحـــو ذلك _ ١٣/٨ _ ح ٦٧٣٢

(٤) المرجع السابق _ الكتاب نفسه والباب نفسه_ ١٦/٨ _ ح ٦٧٣٣

(٥) المرجع السابق _ الكتاب نفسه والباب نفسه _ ١٦/٨ _ ح ٦٧٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللَّهُ في جَسَدِه أَو في مَالِه أَو في وَلَدِه، ثُمَّ صَبَّرَهُ على ذَلِكَ حتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَتِي سَبَقَت لَـهُ من اللَّه تعَالى) [1]

٤- الابتلاءات تُنَبِّه العبد من غَفلته وتُعِيدُه إلى بارئه:

إنَّ مِن حِكَم الابتلاءات والمِحن أنَّها تُذَكِّر العبد بذنوبه وبتقصيره، فتُرْجِعـه إلـى ربِّـه ﷻ؛ متضرعاً متذللاً تائباً، ولو ظلَّ العبد في عِيشةٍ هنيَّةٍ خاليةٍ من المحن والابتلاءات، لوصـل إلـى مرحلة الغرور والكِبر، وظنَّ أنَّه مستغنٍ عن ربِّه ﷻ، وقـد قـال الله ﷻ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، فالله سبحانه يُذِيق عباده شيئاً من العذاب والابتلاءات ليدفعهم إلى التوبة والإنابة، وليتركوا ما هم عليـه مـن المعاصـي والذنوب، وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده [2]

فالابتلاءات تُصحِّحُ مسار العبد في تعامله مع ربِّه ﷻ، فما أن ينزل الابتلاء بالمرء حتى يبدأ يُفكِّر ويُحاسب نفسه؛ فَيَتخلَّص من ذنوبه، ويكثر من طاعاته، وينظر في طريقه إلى الله ﷻ؛ فإن رأى فيه عِوَجاً قوَّمه وعدَّله.

ومن حكم الابتلاء أنَّه يجعل العبد يشعر بنِعَم ربِّه عليه؛ فإنَّ العبد لا يكاد يشعر بالنِّعمـة إلا عند نزول البلاء، حينها يعلم ما كان فيه من النَّعيم، فيسارع لشكر المُنعِم ﷻ، ومن فوائده أيـضاً أنَّه يكشف للمؤمن حقيقة الدنيا الفانية فيزهد فيها، ولا يركن إليها، يقول ابن القيم: " ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها، لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، وليرغبوا فـي النَّعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحـان، فمـنعهم ليعطـيهم، وابتلاهم ليعافيهم " [3]

إنَّ المؤمن إذا علم وآمن أنَّ الابتلاء من ربِّه ﷻ رَضِيَ وسلَّم، ولم يجزع، ولم يحـزن؛ لأنَّه يعلم حينئذ أنَّ هذا الابتلاء هو كالدَّواء النافع يسوقه إلى المريضِ طبيبٌ رَحيمٌ به، ناصحٌ له، عليمٌ بمصلَحته، فحقٌّ على المريض العاقِل أن يصبر علَى تجرُّع مـصابه وعَلقمِـه، ولا يقابلـه بالسخط والشكوَى؛ لئلا يتحوَّل نفعُه ضَررًا؛ ﴿ ..فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩] [4]

---

(١) سنن أبي داود _ كتاب الجنائز _ باب الأمراض المُكَفِّرة للذنوب _ ٣/١٥٠ _ ح ٣٠٩٢، قال عنه الألباني: صحيح (انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود _ ح ٣٠٩٠)

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٠/١٠٩ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان _ ٢/١٧٥

(٤) انظر: تسلية أهل المصائب _ شمس الدين المنبجي _ ص ١٦٦-١٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

الأمر بالصَّبر وبيان ثوابه

إنَّ من أعظم أساليب القرآن الكريم في مواساة المبتلين حديثه عن الصَّبر والصَّابرين؛ فإنَّ القرآن العظيم مليء بالآيات التي تُبرز منزلة هذا الخُلُق العظيم، وتحث المؤمنين على التَّخلق به في كلِّ حين، وتبيِّن عِظَمَ جزاء الصَّابرين عند ربَّهم ﷻ.

ولا يُمكن أن يُلخَّصَ الحديث عن الصَّبر ومنزلة الصَّابرين في عُجالةٍ من صفحاتٍ معدودةٍ، فالحديث عن الصَّبر وأهله تَعجز عن احتوائه الأسفار الكثيرة، ولكن يُشير الباحث في هذا المطلب إلى بعض فضائل الصَّبر وأهله في كتاب الله ﷻ، في سياق الحديث عن منهج القرآن الكريم في مواساة المبتلين.

نقل ابن القيم عن الإمام أحمد _ رحمه الله تعالى _ قوله: " ورد الصَّبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر " (١)

ولقد تناول القرآن الكريم الحديثَ عن الصَّبر من جوانبَ عدةٍ؛ فبعض الآيات تأمر به، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وبعض الآيات تضمَّنت الثَّناء على أهله، منها قوله تعالى ﴿... وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]، وغير ذلك؛ وبعض الآيات تضمنت محبَّة الله ﷻ ومعيَّته لأهل الصبر، قال تعالى: ﴿..وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦] ، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وهذه معيَّة خاصة للصَّابرين تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ليست المعيَّة العامة وهي معيَّة العلم والإحاطة (٢)

والعبد مُحتاجٌ إلى الصبر دائماً؛ بل مُضطرٌ إليه في كل حالةٍ من أحواله، فلهذا كان الأمر به، والحث عليه، وجعل الله ﷻ معيَّته ومحبَّته لأهله، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ للصابرين، ولو

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين _ ١٥٢/٢

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٧٧/٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يكن للصابرين فَضيلةٌ إلا أنَّهم فازوا بهذه المعيَّة وهذه المحبَّة من الله ﷻ لكفى بها فضلاً وشرفاً (١)

ومن جوانب حديث القرآن عن الصبر أيضاً: أنَّ بعض آياته اشتملت على الإخبار بأنَّ الصَّبر خيرٌ لأصحابه، قال ﷻ: ﴿...وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[النحل: ١٢٦]، وقال: ﴿... وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ... ﴾[النساء: ٢٥]، وبعض الآيات ذكرت جزاء الله ﷻ للصَّابرين بأحسن أعمالهم، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٦]، ووعدهم الجزاء على صبرهم بغير حساب، قال سبحانه: ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠]، فضاعف سبحانه أجر الصَّبر، وجعل جزاءه فوق كلِّ جزاء، بلا نهاية ولا حدّ، فدلَّ ذلك على أنَّ الصبر أفضل المقامات (٢)

ومن حديث القرآن عن الصَّبر أيضاً: إطلاق البشرى لأهل الصَّبر، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]، ففي هذه الآيات بيَّن سبحانه ما للصابرين المسترجعين من الجزاء والكرامة عند ربهم ﷻ، حيث جمع لهم سبحانه ثلاث كرامات لم تُجمع لغيرهم؛ فأولاها أنَّ عليهم صلوات من ربهم _ وصلاة الله على عبده: عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة _ وثانيها أنَّ لهم الرحمة منه سبحانه، وقد أكدها لهم سبحانه بذكرها بعد ذكر الصلوات، وقيل: أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة، وثالثها أنّه سبحانه شهد لهم بالهداية، وقد روى البخاري عن عمر ﷺ أنه قال: (**نعم العدلان ونعم العلاوة**) (٣): أراد بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الاهتداء (٤)

وما أعظم فَضلُ الله على الصابرين، إذ هداهم إلى تلك الكلمات العظيمة، كلمات الاسترجاع ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، فهذه الكلمات هي أبلغ علاج للمصاب، وأنفعه له في عاجله وآجله؛ لأنَّها تتضمن أصلين عظيمين، إذا عرفهما العبد وآمن بهما تسلى عن مصيبته مهما عظمت؛ أوَّلهما: أنَّ العبد وأهله وماله ملك لله ﷻ، وثانيهما: أنَّ مصير العبد ومرجعه إلى الله

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٧٤

(٢) انظر: روح المعاني _ الألوسي _ ٢٤٨/٢٣

(٣) صحيح البخاري _ كتاب الجنائز _ باب الصبر عند الصدمة الأولى وقول عمر ﷺ: نعم العدلان ... الخ

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٧٧/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مولاه الحقّ، ولابدَّ للعبد أن يترك الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربَّه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته، فكيف يفرح بموجود ويأسى على مفقود ؟ فَفِكرُ العبد المصاب في مبدئه ومعاده من خلال كلمات الاسترجاع لهو أعظم علاجٍ وأنفع دواءٍ؛ ولذلك يقال عند تعزية المصاب: **(إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيءٍ عنده بأجل مسمى)** (١) (٢)

وقد جعل الله ﷻ كلمات الاسترجاع ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ملجأً وملاذاً لذوي المصائب، وعصمةً لهم من الشيطان؛ لئلا يتسلَّط عليهم فيوسوس لهم بالأفكار الرديئة، وفي هذه الكلمات أيضاً إلمام بمعاني الخير والبركة؛ فإن قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقول: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إيمان بالبعث بعد الموت،وهو إيمان أيضاً بأنَّه سبحانه له الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، وإن الأمر كلَّه لله فلا ملجأ ولا مهرب منه إلا إليه. (٣)

ومن ابتلي بمصيبة فقال هذه الكلمات كانت له أجراً وفرجاً، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**). قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّىَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (٤)

ولقد أخبر القرآن الكريم بأنَّ أهل الصَّبر هم أهل العزائم قال ﷻ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وهم أهل الثبات عند الفتن والشدائد، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، وهم الفائزون، أصحاب الحظِّ العظيم، قال ﷻ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] ، والصَّابرون هم الذين ينتفعون بالآيات والعِبَر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الجنائز – باب قول النبي ﷺ: يعذب الميِّت ببعض بكاء أهله عليه _ ٧٩/٢ _ ح ١٢٨٤

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد _ ابن القيم _ ١٨٩/٤

(٣) انظر: تسلية أهل المصائب _ المنبجي _ ص ١١

(٤) صحيح مسلم _ كتاب الجنائز _ باب ما يقال عند المصيبة _ ٣٧/٣ _ ح ٢١٦٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال: في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩]

ولقد بيَّن القرآن الكريم أنَّ الفَوز بالمحبوب، والنَّجاة من المكروه المَرهوب، ودخول الجنَّة، إنَّما يُنال بالصَّبر، قال ﷻ:﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٢ – ٢٤]، قال أبو طالب المكي [١] : " اعلم أنَّ الصَّبر سبب دُخول الجنَّة، وسبب النجاة من النَّار؛ لأنه جاء في الخبر: (**حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشهوات**) [٢]، فيحتاج المؤمن إلى الصَّبر على المكاره ليدخل الجنَّة، ويحتاج إلى الصبر عن الشهوات لينجو من النَّار " [٣]

ولقد بيَّن القرآن الكريم أيضاً أنَّ الصَّبر يورث صاحبه درجة الإمامة في الدين، قال ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] ، قال ابن القيِّم: " سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ " [٤]

ومن بيان القرآن لعِظم فضيلة الصبر نجد أنَّه قد قرن بين الصَّبر وبين مقامات الإيمان وأركان الإسلام ومُثله العليا؛ فمثلاً قُرِنَ الصبر بالصلاة ﴿...اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[هود: ١١] ، وجعله قرين التقوى ﴿..إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]، وقَرين الشكر ﴿...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[لقمان: ٣١]، وقرين الحقّ ﴿...وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[العصر: ٣]، وقَرين المَرحمة ﴿...وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[البلد: ١٧]، وقَرين اليقين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

---

(١) محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي، الزاهد الواعظ، صاحب قوت القلوب، كان مجتهداً في العبادة، وله مصنفات في التوحيد، لم يكن من أهل مكة، وإنَّما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيراً، قدم البصرة ثمَّ بغداد ووعظ الناس فيها، ومات فيها ودفن بمقبرة المالكية سنة ٣٨٦ هـ (انظر: لسان الميزان _ ابن حجر العسقلاني _ ٣٧٣/٧)

(٢) صحيح مسلم _ كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار – باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – ١٤٢/٨ ح ٧٣٠٨

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد _ ٣٣٦/١

(٤) مدارج السالكين _ ١٥٤/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقرين التوكل ﴿...نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] ، وقرين التسبيح والاستغفار ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥]، وقرين الجهاد ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] (١)

والحديث عن منزلة الصَّبر والصَّابرين في القرآن الكريم حديث يَطول، ومن تدبَّر في ذلك عَلِمَ أنَّ الصَّبر كلَّه خير، ولا يأتي إلا بالخير، ومن رزقه الله ﷻ الصَّبر فقد رزق خيراً عظيماً، وصدق رسول الله ﷺ القائل: **(ومَن يَتَصَبَّر يُصَبِّرهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيرًا وأوسَعَ مِن الصَّبْر)** (٢)

وصدق من شبَّه مَنزلة الصَّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن علي ﷺ قال: " كَلِمَاتٌ لو رحَلْتُم المَطِيَّ فِيهِنَّ لأَضَنَيْتُمُوهُنَّ قَبلَ أَنْ تُدركوا مِثْلَهُنَّ: لا يَرْجُ عَبْدٌ إِلاَّ رَبَّه، وَلا يَخَف إِلاَّ ذَنْبَه... وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْزِلَة الصَّبْر مِن الإِيمَان كَمَنزِلَة الرَّأسِ مِنَ الْجَسَد، فَإِذَا ذَهَب الرَّأس ذَهَبَ الْجَسَد، وَإِذَا ذَهَب الصَّبر ذَهَب الإِيمَان " (٣)

وبهذا نعلم أنَّ من أعظم أساليب القرآن الكريم في مواساة المبتلين حديثه عن فضل الصَّبر ومنزلة الصَّابرين عند ربِّهم ﷻ، ومن تدبَّر في كتاب الله ﷻ، وتفكَّر في آياته التي تحدثت عن منزلة الصَّبر، ومنزلة أهله، وجد في ذلك مواساة وتسلية عظيمة له على مصيبته وبلواه، واحتسب أجره عند ربِّه، وانشرح صدره، وزال هَمُّه، وذهب حُزنه بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر: المرجع السابق _ ٢/١٥٣-١٥٥

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الزكاة _ باب الاستعفاف عن المسألة _ ٢/١٢٣ _ ح ١٤٦٩

(٣) مصنف ابن أبي شيبة _ كتاب الزهد _ باب كلام علي بن أبي طالب ﷺ _ ١٩/١٥٣ _ ح ٣٥٦٣٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

منهج القرآن في تفريج الكربات

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمره بالتوبة واجتناب الذنوب.

المطلب الثاني: أمره بالتقوى والعمل الصالح.

المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ وإحسان الظن به سبحانه.

المطلب الرابع: تربية نفوس المؤمنين على القناعة والرضا.

المطلب الخامس: التذكير بِنِعم الله ﷻ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من طَبيعة هذه الحياة الدُّنيا أن يَتَعَرَّض فيها الإنسان للهُمُوم والأحزان، وتصيبه الكُربات والمصائب، والقرآن الكريم كما أنَّه مليءٌ بالآيات التي يَجد فيها المؤمن المبتلى ما يُهَوِّن عليه مُصيبته، ويُواسيه ويُسلِّيه في مِحنته، فإنَّ هذا الكتاب العزيز مليء أيضاً بالآيات التي تُرشد العبد إلى ما يُفَرِّج كُرُبَاتِه، ويزيل هَمَّه، ويُذهب حُزنه.

وفي هذا المبحث يُحاول الباحث أن يستنبط ما في كتاب ربِّنا العزيز من إرشادات وتوجيهات للمؤمنين لتفريج كرباتهم، وإزالة أحزانهم، والله المستعان.

المطلب الأوَّل
الأمر بالتَّوبة واجتناب الذُّنوب

لقد بيَّنت النُّصوص الشرعية من قرآنٍ وسُنَّةٍ أنَّ ما يُصيب الإنسان من مصائب وأحزانٍ وكرباتٍ، إمَّا أن يكون ابتلاءً واختباراً من الله ﷻ لعبده [1]، وإمَّا أن يكون بِسبب ذُنوبه ومَعاصيه، والمؤمن في الحالتين يَصبر ويُسلِّم لله ﷻ، ويَحتسب الأجر والثواب عند ربِّه سبحانه.

ومن الآيات الصَّريحة في بيان أنَّ ما يُصيب الإنسان في هذه الدُّنيا إنَّما هو بسبب ذُنوبه قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[الشورى: ٣٠]، قال الطبري مفسراً لهذه الآية: " وما يصيبكم أيها النَّاس من مُصيبة في الدُّنيا _ في أنفسكم وأهليكم وأموالكم _ فإنَّما يُصيبكم ذلك عقوبةً من الله لكم بما اقترفتم من الآثام فيما بينكم وبين ربِّكم، ويعفو لكم ربكم عن كثيرٍ من إجرامكم وذنوبكم، فلا يعاقبكم بها... عن قتادة قال: ذُكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقول: (**لا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْش عُودٍ، ولا عَثْرَةُ قَدَم، ولا اخْتِلاجُ عِرْقٍ إلا بذَنْب، ومَا يَعْفُو عَنْهُ أكْثَرُ**) [2].. وعن ابن عباس ﷺ قال: يُعَجَّل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يُؤاخذون بها في الآخرة " [3]

ومن الآيات القرآنية التي تؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣]، فهذه الآية _ حسب تفسير جمهور المفسرين _

---

(١) سبق بيان ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل

(٢) رواه البيهقي في شعب الأيمان _ فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض من الكفارات _ ٢٥٣/١٢ _ ح ٩٣٥٧ ، والحديث ضعَّفه الألباني (انظر: السلسلة الضعيفة _ ٢٧٩/٤ _ ح١٧٩٦)

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٥٣٨/٢١، وانظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٠٨/١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عامةٌ تشمل المؤمن والكافر، كلٌ منهم مُجَازى بالسوء الذي يَعمله؛ فأمَّا مُجازاة الكافر فتكون في الآخرة في النَّار، لأن كفره أوبقه وأهلكه، وأمَّا المؤمن فَيُجَازى بنكبات الدنيا ومصائبها [١]

وهذا المعنى هو الذي بيَّنه النَّبي ﷺ لأصحابه عندما نزلت الآية السابقة، ففي الحديث أنَّ أبا بكر ﷺ قال: يا رسول الله كيف الصَّلاح بعد هذه الآية؟ ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾ فكلُّ سُوء عملنا جُزينا به، فقال رسول الله ﷺ: (**غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تَمرض؟ ألست تَنصب؟ ألست تَحزن؟ ألست تُصيبك اللأواء؟**) قال: بلى، قال: (**فهو ما تُجزَون به**) [٢]

إنَّ الذُّنوب عواقبها مَذمُومةٌ مطلقاً، وهي تَجلب الأوجاع والكربات والمصائب في الدُّنيا لِمُرتكبها، وممَّا يُؤكد هذا المعنى من سُنَّة النَّبي ﷺ حديث أبي هريرة ﷺ قال: لمَّا نزلت ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله : (**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ** [٣] **يُنْكَبُهَا أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**) [٤]، وفي الحديث الآخر: (**ما يُصيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه**) [٥]

ومن الآيات التي تبيِّن أنَّ الإعراض عن هدى الله ﷻ والانغماس في معصية الله سببٌ لضيق الحياة الدُّنيا قبل الآخرة قوله تعالى: ﴿.. **فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا** ... ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، فمن اتبع هدى الله فلا يَضلُّ، ولا يُصيبه الشقاء، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأمَّا من أعرض عن أمر ربِّه ولم يتَّبع ما أنزله على رسوله ﷺ، وابتغى الهدى عند غيره، فإنَّ له معيشةً ضيِّقةً، ضيقٌ وضنكٌ في الدنيا؛ فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره؛ بل صَدره ضيقٌ حَرجٌ لضلاله، وقلبه في حيرةٍ وشكٍ وقلقٍ دائم، فالمعرض عن الله حياته ضيق وضنك، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، تَجده

---

(١) انظر: المحرر المجيز في تفسير الكتاب العزيز _ ابن عطية _ ١١٦/٢ ، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٩٧/٥

(٢) مسند الإمام أحمد _ ١١/١ _ ح ٦٨، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) قوله:(النكبة ينكبها) هي مثل العثرة يعثرها برجله، وربما جرحت اصبعه، وأصل النكب الكَبُّ والقلب (انظر: شرح صحيح مسلم _ النووي _ ١٣٠/١٦)

(٤) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك _ ١٦/٨ _ ح ٦٧٣٤

(٥)صحيح البخاري _ كتاب الطِّب _ باب ما جاء في كفَّارة المرض _ ١١٤/٧ _ ح ٥٦٤٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حريصاً على الدُّنيا، متهالكاً في طلب الزيادة منها، خائفاً من انتقاصها، غالباً عليه الشح بها حيث لا غرض له سواها، وهذا كلُّه من ضنك العيش الذي جعله الله ﷻ عقوبةً للمعرضين عن ذكره [١]

يقول الشيخ طنطاوي _ رحمه الله _: " إنَّ للمُعرض عن ذِكرِ ربِّه معيشةً ضيقةً مليئةً بالهَمِّ والغَمِّ والأحزان وسوء العاقبة، حتى ولو ملك المال الوفير، والحطام الكثير...؛ فإنَّ المعيشةَ الطيبةَ لا تكون إلا مع طاعة الله ﷻ، وامتثال أمره، واجتناب نهيه " [٢]

إنَّ معصية الله ﷻ، والوقوع في الذنوب والمعاصي، هو مرض للقلب، وضيق للصدر، وجلب للأحزان والكربات.

قال ابن القيِّم: " والذنوبُ للقلب، بمنزلة السُّموم، إن لم تُهلكْه أضعفتْه ولا بُدَّ، وإذا ضعُفت قوة القلب، لم يقدرْ على مقاومة الأمراض، قال طبيبُ القلوب عبدُ الله ابن المُبارَك[٣]:

رَأَيْتُ الذنُوبَ تُمِيتُ الْقُلوبَ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُها

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلوبِ... وَخَيرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا [٤]

وقال بعض المتقدمين من أئمة الطب: مَن أراد عافية الجسم، فليقلِّلْ مِن الطعام والشراب، ومَن أراد عافية القلب، فليترُكْ الآثام، وقال ثابت بن قُرَّة [٥]: راحةُ الجسم في قِلَّة الطعام، وراحةُ الرَّوح فى قِلَّة الآثام، وراحةُ اللِّسان فى قِلَّة الكلام " [٦]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٧٧/٩، روح المعاني _ الألوسي _ ٢٧٧/١٦

(٢) التفسير الوسيط _ ١٦٤/٩

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي .الإمام الحافظ شيخ الإسلام، عالم زمانه، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة. وكان أوَّل شيخ لقيه: الربيع بن أنس، ثم ارتحل سنة ١٤١هـ وأخذ عمَّن لقيه من التابعين. وأكثر من الترحال والتطواف، وقضى حياته في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة. وكان قد جمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، وغير ذلك من خصال الخير. وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه، خلّف عدة مصنفات، منها: الزهد والرقائق، والجهاد، البر والصلة. (انظر: وفيات الأعيان _ابن خلكان _ ٣٢/٣)

(٤) ديوان عبد الله بن المبارك _ تحقيق سعد كريم الفقي _ ص ٣٠

(٥) أبو الحسن ثابت بن قُرَّة بن هارون، الحاسب الحكيم الحراني؛ كان في مبدإ أمره صيرفياً بحران، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها، وبرع في الطب، وكان الغالب عليه الفلسفة، وكان يتوقد ذكاءً، وصار منجم المعتضد، فكان يجلس مع الخليفة، ووزيره، ونال من الرئاسة والاموال فنوناً، له تآليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفا، مات سنة ثمان وثمانين ومئتين (انظر: وفيات الأعيان _ ابن خلكان _ ٣١٣/١)

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد _ ٢٠٢/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ العبد المؤمن إذا عَلِمَ أنَّ الذُنوب والمعاصي هي سببٌ لتكدُّر الحياة، وسببٌ لجلب الأحزان والكربات؛ فإنَّه يُبادر إلى التَّوبة والإنابة إلى الله ﷻ، ويترك الذُّنوب والآثام، حتى يُفرِّج الله كرباته ويُذهب أحزانه، ولا يوجد دواءٌ للخلاص من الكربات والأحزان أنفع من اللُّجوء إلى الله ﷻ والإنابة إليه، والتَّوبة النَّصوح من معصيته؛ ولهذا نجد الآيات التي تحث على التوبة كثيرة في كتاب الله ﷻ، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، وفي مطلع سورة هود قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾[هود: ٣]، فبالتَّوبة والاستغفار والرجوع إلى الله ﷻ ينال العبد الفوز والنجاة في الأولى والآخرة.

ذكر ابن القيم فوائد ترك الذُّنوب والمعاصي فقال: " من فوائد ترك الذُّنوب والمعاصي إقامةُ المروءة، وصونُ العِرض، وراحةُ البدن، وقوةُ القلب، وطيبُ النفس، ونعيمُ القلب، وانشراحُ الصدر، وقلَّةُ الهَم والغَم والحُزن، وعِزُ النفس عن احتمال الذُّل، وصونُ نورِ القلبِ أن تطفئه ظُلمةُ المعصيةِ، وتيسرُ الرِّزق، وتَسهيلُ الطاعاتِ، وتيسيرُ العلم، والثناءُ الحسن في الناس، وكثرةُ الدعاء له، وسرعةُ إجابة دعائه، وزوالُ الوحشة التي بينه وبين الله، وقربُ الملائكة منه، وبعدُ شياطين الإنس والجن عنه، وتنافسُ الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدمُ خوفه من الموت ، وصِغرُ الدُّنيا في قلبه، وكبرُ الآخرة عنده، وحرصهُ على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوقُ حلاوة الطاعة، ووجدُ حلاوة الإيمان، ودعاءُ حملةِ العرشِ ومن حوله من الملائكةِ له، وتَحصيلُ محبةِ الله له... فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا [1]

المطلب الثاني

الأمر بالتقوى والعمل الصالح

كما أنَّ التَّوبة واجتناب العبد للذُّنوب، من أهم أسباب تفريج الكربات التي أرشد إليها القرآن الكريم؛ فإنَّ هناك سبباً آخر مُكَمِّلاً لذلك السَّبب ولا يَنفك عنه، إنَّه التقرب إلى الله ﷻ بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وقول الله ﷻ ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، أصلٌ في هذا الباب؛

---

(١) الفوائد _ ص ١٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي هذه الآية العظيمة وعدٌ من الله ﷻ لمن جَمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيِّبة في الدُّنيا، وبِحُسن الجزاء في الآخرة.

وقد تعدَّدت أقوال المفسرين في المُراد بهذه الحياةِ الطيبةِ، وبِمَ تكون، وقد لخَّص الشوكاني ذلك فقال: " قيل الحياة الطيبة تكون بالرِّزق الحلال، روي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير _ رضي الله عنهما _، وقيل تكون بالقناعة، قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه، وقيل: بالتوفيق إلى الطَّاعة، قاله الضَّحاك،...، وقيل الحياة الطيبة هي السعادة، روي ذلك عن ابن عباس، وقيل هي المعرفة بالله، حُكِيَ ذلك عن جعفر الصادق...، وقيل هي الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق " (١)

ورجَّحَ ابن القيم أنَّ المُراد بالحياة الطَّيِّبة أنَّها حياة القلب ونَعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه؛ فإنَّه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه، إلا نعيم الجنَّة، كما كان بعض العارفين يقول: إنَّه لتمر بي أوقاتُ أقول فيها: إن كان أهل الجنَّة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيِّب (٢)

إنَّ ثَمرة العمل الصالح المقرون بالإيمان ليست فقط في الآخرة؛ بل قد يُعَجَّل للعبد شيءٌ من أجره في الدُّنيا، ثمَّ يوفِّيه الله ﷻ أجره يوم القيامة تمام التَّوفية، قال تعالى: ﴿...وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فما يَحصُل في الدُّنيا من الجزاء على الأعمال الصالحة ليس جزاء توفيَة، وإنَّما هو نَوعٌ آخر من الجزاء، تفضلاً من الله ﷻ على عباده المؤمنين، وهذا المعنى قد أكدته آياتٌ كثيرةٌ من كتاب الله ﷻ، منها قوله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] (٣)

وقد جاءت السُّنة النَّبوية المشرَّفة تُؤكد هذا المعنى فعن أنس بن مالك ﷺ: عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (**إنَّ الكافر إذا عَمِلَ حسنةً أُطعم بها طعمةً من الدنيا، وأمَّا المؤمن فإنَّ الله يَدَّخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدُّنيا على طاعته**) (٤)، وكلمة الرِّزق واسعة المعنى لا تقتصر على الرِّزق من المال والمتاع؛ بل كل خيرٍ ينتفع به العبد ويسعد به فهو من رزق الله ﷻ.

---

(١) فتح القدير _ ٢٧٦/٣

(٢) انظر: مدارج السالكين _ ٢٥٩/٣

(٣) انظر: إعلام الموقعين _ ابن القيم _ ١٨٣/٢

(٤) صحيح مسلم _ كتاب صفة القيامة والجنة والنار _ باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا _ ١٣٥/٨ _ ح ٧٢٦٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أبلغ الأدلَّة من السُّنة على أنَّ العمل الصالح ينفع صاحبه المؤمن في الدُّنيا، ويكون سبباً لتفريج الكربات عنه، حديث الثلاثة نفر الذين آواهم المطر إلى غار في جبل، فسقطت صخرة وأغلقت باب الغار عليهم، (... **فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحةً لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم...**) [1]، فَذَكَرَ كلُّ واحدٍ منهم عملاً صالحاً فعله ابتغاءَ وجه الله ﷻ؛ فالأول كان رجلاً قد بلغ في برِّه بوالديه غايته، والثاني ذُكِّر بالله فتذكر وامتنع وعفَّ نفسه عن الحرام، والثالث حفظ الأمانة، وأداها إلى صاحبها مع ما أثمرت وأنتجت، وبهذه الأعمال الصالحة الخالصة التي دعا بها الثلاثة ربَّهم فرَّج عنهم كُربَتهم، وأزال غُمتهم؛ وهكذا العمل الصالح ينفع في تفريج الكربات، وينجي صاحبه وقت الأزمات [2]، وصدق رسول الله ﷺ القائل: (**تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشِّدَّة**) [3]

وبهذا فإنَّ ممَّا يُعَجِّله الله ﷻ في الدُّنيا لعبده المؤمن جزاءً على عمله الصالح: أن يفرِّج الله ﷻ كرباته، ويذهب عنه الأحزان والهُموم، ويرزقه السَّعادة والسُّرور، والقناعة والرَّضا بقضاء الله وقدره، وتوقع الأجر في الآخرة، وطِيب النَّفس وابتهاجها، وسرور القلب وفرحه ولذته، وانشراح الصدر وسعته... إلخ [4]

ومن الآيات التي تبيِّن أثر التقوى في تفريج الكربات قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ..**﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وفي الآية التي تليها: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا**﴾ [الطلاق: ٤]، فكلُّ من اتقى الله ﷻ، ولزِم طاعته في جميع أحواله، فإنَّ الله يثيبه في الدُّنيا والآخرة، ومن جُملة ثوابه أن يجعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل كرب فرجاً، ويُخلِّصه من كل شِدَّةٍ ومشقةٍ، و يُيَسِّر له الأمور، ويُسهِّل عليه كل عَسير.[5]

ومن الآيات الدَّالة على أنَّ للعمل الصالح أثراً في تفريج الكربات، وجلب السعادة والطمأنينة والخير للإنسان قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ**

---

(١) الحديث بطوله أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الرقاق _ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال _ ٨/٨٩ _ ح ٧١٢٥

(٢) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم _ موسى شاهين لاشين _ ١٠/٢٩٣

(٣) رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ﷺ _ كتاب معرفة الصحابة _ باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما _ ٣/٥٤١ _ ح ٦٣٦٤، وصححه الألباني (انظر: ظلال الجنة _ ١/١٢٧)

(٤) انظر: أنوار التنزيل _ البيضاوي _ ص ٤١٨، القواعد الحسان في تفسير القرآن _ السعدي _ ص ١٢٣

(٥) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل _ النسفي _ ٤/ ٣٨٦، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥/٣٧٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، حيث يخبر ربُّنا سبحانه في هذه الآية أنَّه يغرس في قلوب عباده المؤمنين المحبة والمودة، لمن آمن وعمل الصالحات، وهذا أمرٌ لا بدَّ منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال: يا جبريل إنِّي أُحبُّ فلاناً فأحبَّه، قال: فيُحبُّه جبريل، قال: ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله يحب فلاناً فأحبوه، قال: فيُحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض...**) [(١)]، فمن جَمَع الإيمان والعمل الصالح نال محبَّة الله ومحبة عباد الله، وفي ذلك راحة وطمأنينة وسعادة للعبد المؤمن، تزول معها الأحزان، وتنحصر الكربات والغُموم.[(٢)]

وبهذا نعلم أنَّ الإيمان والتقوى والعمل الصالح كما أنَّها سبب الفوز في الآخرة، فهي كذلك سبب السَّعادة في الدُّنيا، يقول ابن القيم في هذا المعنى: " وقد دلَّ العقلُ والنقلُ والفطرةُ وتجاربُ الأمم _ على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها _ على أنَّ التَّقرُّب إلى ربِّ العالمين، وطلبَ مرضاته، والبِرَّ والإحسانَ إلى خلقه، لهي من أعظم الأسباب الجالبة لكلِّ خيرٍ؛ فما استُجلبت نِعَمُ الله ﷻ، وما استُدفِعَت نِقَمُه بمثل طاعته والتَّقَرُّب إليه، والإحسان إلى خلقه، وقد رتَّب الله سبحانه حصول الخيرات في الدَّنيا والآخرة، وحصول السُّرور في الدُّنيا والآخرة في كتابه العزيز على الأعمال الصالحة ترتيب الجزاء على الشرط، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع " [(٣)]

فالعمل الصَّالح سفينة النجاة في بحر الدُّنيا المتلاطم الأمواج، المختلط بالفتن والأهواء، وبه تتنزل الرحمات، وبه تنال البركات، وبه يحصل الحفظ والرِّعاية، والأمن والوقاية، وهو شفيعٌ لصاحبه في الدنيا والآخرة.

إنَّ الأعمال الصالحة كلَّها لها أثرٌ طَيِّبٌ على حياةِ المؤمن في الدُّنيا قبل الآخرة، ولا يستثنى من ذلك عمل صالح، لعموم النُّصوص الشَّرعية في ذلك؛ ولكن هناك أعمالٌ لها زيادة فضل في هذا الباب، حيث ورد تعيينها على وجه الخصوص في باب تفريج الكربات وإزالة الهموم والأحزان، ومن أهم هذه الأعمال: الصَّلاة، والدعاء، وذكر الله ﷻ، وذكر الموت، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله.

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب_ باب إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى عباده _ ٤٠/٨ _ ح ٦٨٧٣

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير _ ٣٠٤/٩، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٦١/١١

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي _ ص ٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالصَّلاة: قد أمرنا ربُّنا أن نَستعين بها مع الصَّبر فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وكانَ النَّبي ﷺ **إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى** (١)

وفي فضائل الصلاة في هذا الباب يقول ابن القيم: " وأمَّا الصَّلاةُ.. فشأنها في تفريح القلب وتقويته، وشرحِه وابتهاجه ولذَّته أكبرُ شأن، وفيها من اتصالِ القلب والرُّوح بالله ﷻ، والتنعُّم بذِكره، والابتهاجِ بمناجاته، والوقوفِ بين يديه...والصلاة من أكبر الأدوية والمفرِّحات، ومن أكبر العَوْن على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودَفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومَطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسد، ومُنوِّرةٌ للقلب، ومُبيِّضَةٌ للوجه، ومُنشِّطةٌ للجوارح والنفس، وجالِبةٌ للرزق، ودافعةٌ للظلم، وناصِرةٌ للمظلوم، وقامِعةٌ لأخلاط الشهوات، وحافِظةٌ للنِّعمة، ودافِعةٌ للنِّقمة، ومُنزِلةٌ للرحمة، وكاشِفة للغُمَّة " (٢)

وأمَّا الدُّعاء والذِّكر والاستغفار: فالحديث عن فضلها في تفريج الكربات لا يتسع به المجال هنا؛ وفي كتاب ربِّنا ﷻ إشارة لذلك، ففي شأن الدُّعاء قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦]، وفي شأن الذِّكر قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وفي شأن الاستغفار قال المولى ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود: ٣]

إنَّ علاج الأمراض كلِّها بالدُّعاء والالتجاء إلى الله ﷻ أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وإنَّ تأثير ذلك أعظم من تأثير الأدوية البدنية؛ ولكن إنما ينجح بأمرين أحدهما من جهة العليل، وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي، وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل (٣)

وقد ورد في السُّنة الكثير من الأدعية الخاصة بتفريج الكربات، وإذهاب الهُموم، منها أدعية للوقاية من ذلك، كالدُّعاء الذي رواه أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه كان كثيراً ما يقول: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**) (٤)، فهذا الدعاء مفيد لدفع الهَمِّ قبل وقوعه.

---

(١)سنن أبي داود _ كتاب الصَّلاة _ باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل _ ٥٠٧/١ _ ح ١٣٢١، وحسَّنه الألباني (انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ٣٦١/١)

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد _ ٢٠٩/٤

(٣) انظر: فتح الباري _ ابن حجر _ ١١٥/١٠

(٤) صحيح البخاري _ كتاب الجهاد _ باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر _٣٥/٤ _ ح ٢٨٩٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا وقع الهَمُّ وألمَّ بالمرء، فباب الدُّعاء مفتوح غير مغلق، والكريم ﷻ إن سُئل أعطى وأجاب، فهو سبحانه القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومن أعظم الأدعية في إذهاب الهمِّ والغمِّ وتفريج الكربات، الدعاء العظيم المشهور، الذي حثّ النبي ﷺ كلَّ من سَمِعه أن يتعلَّمه ويحفظه: فقال ﷺ: **(مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً، قَالَ: فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا)** [١]

فهذا الدُّعاء العظيم ينبغي على المسلم أن يتعلمه، وأن يحرص على قوله _ متدبراً لمعانيه عاملاً بمدلوله _ عندما يُصاب بالحزن أو الهمِّ أو الغمِّ، وهذا الدعاء قد تضمن أربعة أصول عظيمة، لا سبيل للعبد إلى نيل السعادة وزوال الهَمِّ والغَمِّ والحزن إلاَّ بالإتيان بها وتحقيقها؛ أمَّا الأصل الأول: فهو تحقيقُ العبادة لله وتَمام الانكسار بين يديه، واعتراف العبد بأنَّه مخلوق لله ﷻ، مَملوكٌ له هو وآباؤه وأمهاتُه، فالكلُّ مماليك لله، وهو خالقُهم وربُّهم وسيِّدُهم ومدبِّر شؤونهم، وأمَّا الأصل الثاني: فهو أن يؤمن العبدُ بقضاء الله وقَدَره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن، وأنَّه سبحانه لا مُعَقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لقضائه، والأصلُ الثالث: أن يؤمنَ العبدُ بأسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ويتوسَّلَ إلى الله بها، وهذا أحبُّ الوسائل إلى الله سبحانه، والأصلُ الرابع: هو العنايةُ بالقرآن الكريم، المشتمل على الهداية والشفاء، والكفاية والعافية، والعبدُ كلَّما كان عظيمَ العناية بالقرآن نال من السعادة والطمأنينة وراحةِ الصَّدر وزوال الهمِّ والغَمِّ والحزن بحسب ذلك [٢]

ومن الأدعية الواردة في السُّنَّة النَّبويَّة لتفريج الكربات والأحزان ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: **(لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)** [٣]

---

(١) مسند الإمام أحمد _ ٣٩١/١ _ ح ٣٧١٢، وصححه الألباني (انظر: السلسلة الصحيحة: ١٩٧/١)

(٢) انظر: فقه الأدعية والأذكار _ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر _ ١٨٦/٣

(٣) صحيح البخاري _ كتاب الدعوات _ باب الدعاء عند الكرب _ ٧٥/٨ _ ح ٦٣٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأدعية في هذا الباب كثيرة، وسيذكر الباحث بعضها في المبحث التالي _ إن شاء الله _، فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلبٍ حاضرٍ، ونيَّةٍ صادقةٍ، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعاه ورجاه، وانقلب هَمُّه فرحاً وسروراً.

" والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء؛ يُدافعه ويُعالجه ويَمنع نزوله ويرفعه أو يُخفِّفُه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن " (١)

وأمَّا ذكر الله ﷻ فإنَّه أيضاً من أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته، وزوال الهموم الغموم عن الإنسان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] (٢)

فما أعظم التداوي من الكربات بذكر الله ﷻ، من تسبيح وتهليل وتحميد وحوقلة وصلاة على النبي ﷺ، وفي فضائل هذه الأذكار ما يطول سرده من أحاديث نبوية شريفة، لعل من أشهرها ما رواه أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ حيث قَالَ: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي، فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)** (٣)

وأمَّا الجهاد: فإنَّ له تأثيراً عجيباً في دفع الهم والغم، استفاد العلماء ذلك من قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]، فلا شيء أذهبُ لهمِّ القلب وغمِّه وحُزنه من الجهاد.. والله المستعان.(٤)

قال ابن القيم: " فلو لم يكن في النضال إلا أنه يدفع الهم والغم عن القلب لكان ذلك كافياً في فضله وقد جرب ذلك أهله، وقد روى الطبراني من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(ما على أحدكم إذا لجَّ به همه أن يتقلد قوسه فينفي**

---

(١) الجواب الكافي _ ابن القيم _ ص ٤

(٢) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ٥

(٣) سنن الترمذي _ كتاب القيامة والرقائق والورع _ باب صفة الحوض _ ٢٤٥/٤ _ ح ٢٤٥٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني (انظر: مشكاة المصابيح _ ٢٠٣/١)

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد _ ابن القيم _ ٢١٠/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به همه) [١] وهذا نظير قوله: **(عليكم بالجهاد، فإنَّه بابٌ من أبواب الجنة، يُذهب الله به الهَمَّ والغَمَّ)**[٢] " [٣]

<u>وأمَّا ذكر الموت:</u> فأنه مُفيد لتفريج الكربات، حيث يُذكِّر الإنسان بمصيره ومرجعه إلى ربه ﷻ، روى ابن أبي الدنيا [٤] بسنده عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، أن أباه، كان يقول: إذا كنت من الدنيا فيما يسوؤك فاذكر الموت، فإنَّه يُسهِّل عليك [٥]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(استكثروا من ذكر هادم اللذات، فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسَّعه الله، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه)** [٦]

ومن الأعمال الصالحة التي لها أثر كبير في تفريج الكربات: بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى عباد الله وطلب العلم الشرعي والصدقة في السر والعلن وتفريج كربات المسلمين... إلخ.

وما أعظم أثر الإحسان إلى الآخرين في تفريج الكربات والأحزان ! يقول الدكتور عائض القرني: " فإذا طاف بك طائفٌ من هَمٍّ، أو ألمَّ بك غَمٌّ، فامنح غيرك معروفاً، وأسدِ لهم جميلاً، تجد الفرج والرَّاحة؛ أعط محروماً، انصر مظلوماً، أنقذ مكروباً، أطعم جائعاً، عُد مريضاً، أعن منكوباً، تَجد السعادة تغمرك من بين يديك ومن خلفك... يا من تُهددهم كوابيس الشقاء والفزع والخوف هلمُّوا إلى بستان المعروف، وتشاغلوا بالخير، عطاءً وضيافةً ومواساةً وإعانةً وخدمةً، وستجدون السعادة طعماً ولوناً وذوقاً " [٧]

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير _ ٢٧٥/٢ _ ح ١١٥٨، قال الهيثمي: فيه محمد بن الزبير الزبيدي وهو ضعيف جدا

(٢) مسند الإمام أحمد _ ٣١٩/٥ _ ح ٢٢٧٧١، وحسنه شعيب الأرنؤوط .

(٣) الفروسية _ ص ١٢٤

(٤) عبد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان بن قيس، الأموي، أبو بكر بن أبي الدنيا، البغدادي. الحافظ، المحدث، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، كان مؤدب أولاد الخلفاء. وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، وثقه أبو حاتم وغيره. صنّف الكثير حتى بلغت مصنفاته ١٦٤ مصنفاً منها: العظمة؛ الصمت؛ اليقين؛ ذم الدنيا؛ الشكر؛ الفرج بعد الشدة وغيرها. مولده ووفاته ببغداد، توفي سنة٢٨١ هـ (انظر: تهذيب التهذيب _ ابن حجر العسقلاني _ ١١/٦)

(٥) انظر:الفرج بعد الشدة _ ص ٧٦

(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط _ ٢٥٦/٨ _ ح ٨٥٦٠، والحديث حسَّنه الألباني (انظر: صحيح الترغيب والترهيب _ ١٦٣/٣)

(٧) ثلاثون سبباً للسعادة _ ص ٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ العبد كلما أكثر من العمل الصالح متعبداً لله ﷻ، كلَّما ازداد قرباً من ربِّه ﷻ، وكلَّما ازداد قرباً من ربِّه ﷻ امتلأ قلبه طمأنينة وسروراً، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنْتُه بِالْحَرْب، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِر بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِش بِهَا، وَرِجْلَه الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّه، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّه)** (١)

والخلاصة: أنَّ العمل الصالح _ بجميع أشكاله وأنواعه _ هو أعظم ما ينفع في تفريج الكربات والخلاص من الأحزان، ولو أنَّ المرء بَذل شيئاً من جُهده وماله في العمل الصالح ونفع الآخرين، لكان خيراً له من بذل هذا الجهد وذاك المال في عيادات الأطباء وأصناف الأدوية والعقاقير.

المطلب الثالث

التَّوكُّل على الله ﷻ وإحسان الظَّن به سبحانه

إنَّ التَّوكُّل على الله ﷻ من الأوامر الرَّبانيَّة التي جاء بها القرآن الكريم، وحثَّ عليها، وهو أيضاً من أعظم الوسائل التي أرشدنا إليها الكتاب العزيز لتفريج الكربات والتخلص من الهُموم والأحزان، ولقد ورد الأمر به في غير موضعٍ من كتاب ربِّنا سبحانه، من ذلك قوله تعالى: ﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقوله: ﴿..وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (•) [آل عمران: ١٢٢] ؛ بل إنَّ الله ﷻ جعل التوكُّل عليه شرطاً للإيمان فقال سبحانه: ﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وورد أيضاً الأمر بالتوكُّل موجهاً للنبيِّ ﷺ خاصةً في غير موضعٍ من كتاب الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى مخاطباً نبيَّه ﷺ: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨] ، وامتدح الله ﷻ عباده المؤمنين الذين اتصفوا بصفة التوكُّل عليه سبحانه فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الرقاق _ باب التواضع _ ٨/١٠٥ _ ح ٦٥٠٢

(•) هذا التذييل للآية ذُيلت به سبع آيات من كتاب الله ﷻ في سبعة مواضع؛ موضعين في سورة آل عمران، وموضع في المائدة، وموضع في التوبة، وموضع في إبراهيم، وموضع في المجادلة، وموضع في التغابن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] وغير ذلك من الآيات.

فالتوكُّل على الله ﷻ مطلبٌ شرعيٌ، وعبادةٌ عظيمةٌ، وأصلٌ من أصول الإيمان، قال ابن القيم: " التوكُّل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة " (١)، والتوكُّل على الله ﷻ له آثارٌ طيِّبةٌ على العبد في دنياه وآخرته، فقد قال رسول الله ﷺ في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة من غير حساب: **(هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون)** (٢)، وقال ﷺ مبيناً لثمرة التوكُّل على العبد في دنياه: **(لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)** (٣)

وللتوكُّل على الله ﷻ أطيب الأثر في تَفريج الكُرب وإزالة الأحزان والهموم، فإنَّه متى اعتمد القلب على الله ﷻ، وتوكَّل عليه، ووثق به سبحانه، وطَمِع في فضله، حَصَل للقلب من القوة والانشراح والسُّرور ما لا يمكن التعبير عنه، واندفعت عنه بذلك الهُموم والغُموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام، فالمُتوكِّل على الله قويُ القلبِ لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث، يعلم ويؤمن بأنَّ الله قد تكفَّل لمن توكل عليه بالكفاية التامَّة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول هَمُّه وقلقه، ويتبدل عُسره يُسراً، وتَرحه فرحاً، وخَوفه أمناً (٤)

ويكفي المتوكِّلين على الله ﷻ ما وعدهم به سبحانه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ... ﴾ [الطلاق: ٣] ، فمن يفوِّض أمره إلى مولاه ويتوكَّل عليه فإنَّ الله سبحانه هو كافيه في جميع أموره، ومن يعتمد على الله ويثق به يكفيه ما يَهمُّه من أمر دينه ودنياه، ويجعل له مخرجاً من كل شدة؛ فالله سبحانه ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ يفعل ما يشاء، ويبلغ أمره ما يريده، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه شيء، ولا يحول دون أمره حائل، فهو سبحانه على كلِّ شيء قدير.(٥)

إنَّ العبد إذا عَلِمَ أنَّ الله ﷻ على كلِّ شيءٍ قدير، وأنَّه المتفرِّد بالاختيار والتدبير، وأنَّ تدبيره لعبده خيرٌ من تدبير العبد لنفسه، وأنَّه سبحانه أعلم بمصلحة العبد من العبد، وأقدر على

---

(١) مدارج السالكين _ ١١٣/٢.

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الرقاق _ باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً بغير حساب _ ١١٢/٨ _ ح٦٥٤١

(٣) مسند الإمام أحمد _ ٣٠/١ _ ح ٢٠٥، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة فمن رجال مسلم.

(٤) انظر الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص٢٦-٢٧

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٦٢/١٨ ، بحر العلوم _ السمرقندي _ ٤٣٩/٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جلبها وتحصيلها منه.. إذا عَلِمَ العبد ذلك فإنَّه سيلقي بنفسه بين يدي ربه ﷻ، ويُسلِّم الأمر كلَّه إليه، فيستريح حينئذٍ من الهُموم والكُربات والأنكاد والحسرات، ويُحَمِّلُ كلَّ حَوائجه ومصالحه لمن لا يُبالي بحملها، ولا يُثقله القيام بها، فيتولاها الله ﷻ دونه، ويريه المولى ﷻ لطفه ورحمته وإحسانه فيها، من غير تعبٍ من العبد ولا نصبٍ، لأنَّ العبد قد صَرَفَ اهتمامه كلَّه إلى ربِّه، فَصَرَفَ الله عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرَّغ قلبه منها، فما أطيب عيش ذلك العبد، وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه. (١)

وأمَّا من أبى إلا أن يُدَبِّر أموره بنفسه واختياره، واهتم بذلك ونسي أمر ربَّه، خلاه الله لما اختاره، وولاه ما تولى؛ فحضره الهَمُّ والغَمُّ والحُزن والنَكد والخوف والتعب، وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها؛ بل قد حِيل بينه وبين مَسرَّته وفرحه وقرة عينه، فهو يكدح في الدنيا كَدح الوحش ولا يظفر منها بأمل، ولا يتزود منها لمعاد، فما اشقى من اتكل على نفسه، وترك التَّوكُّل على ربِّه (٢)

والعبد المؤمن إذا تَوَكَّلَ على الله ﷻ، فعليه أن يثق به سبحانه، ويثق بما وعد به عباده، وبما أخبر به في كتابه، ويكفي من ذلك قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٥، ٦]، فهاتان الآيتان تغرسان الأمل في نفوس المؤمنين، مهما ضاقت عليهم الدنيا، وتكالبت عليهم المصائب، فلقد كرَّرَ الله ﷻ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ للتأكيد والمبالغة، قال ابن جزي (٣): " ولذلك كرَّرَ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مبالغة، وقال ﷺ: **(لن يغلب عسرٌ يسرين)** (٤) وقد رُوِيَ ذلك عن عمر وابن مسعود، وتأويله أنَّ العُسر المَذكور في هذه السورة واحدٌ، لأنَّ الألف واللام، للعهد كقولك: جاءني رجلٌ فأكرمت الرجل، واليُسر اثنان لتنكيره، وقيل: إنَّ اليُسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة " (٥)

---

(١) انظر: الفوائد _ ابن القيم _ ص ١١٤

(٢) انظر: المرجع السابق _ ٢٠٩

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، والتسهيل لعلوم التنزيل، ووسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم)، قال المقريزي: فُقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف، توفي سنة ٧٥٧ هـ (انظر: الأعلام _ الزركلي _ ٣٧/٧).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه _ كتاب التفسير _ باب تفسير سورة ألم نشرح _ ٥٢٨/٢ _ ح٣٩١٠، وضعفه الألباني (انظر: السلسلة الضعيفة _ ٣٢٧/٩ _ ح٤٣٤٢).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل _ ٤٩٣/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمؤمن يُحسن الظنَّ بربِّه ﷻ ولا ييأس من روح الله، وهو يعلم أنَّ الفرج يأتي بعد الكَرب كما قال النبيُّ ﷺ في وصيته لابن عباس ﷺ **(واعلم أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)** (١)

ولقد علَّمنا النبيُّ ﷺ أدعيةً ندعو بها عند الكَرب، وعند التأمُّل في هذه الأدعية نجد أنَّه يَغلُب في ألفاظها التوكُّل على الله ﷻ، وتَفويض الأمر إليه سبحانه؛ فمن هذه الأدعية ما رواه أنس ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنَّه كان إذا كَرَبه أمرٌ قال: **(يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتك أستغيث)** (٢)، ففي هذا الدعاء مناجاة لله ﷻ باسمه الأعظم، وفيه استغاثة برحمته سبحانه، وهذا من التوكُّل عليه، وتفويض الأمر إليه سبحانه.

قال ابن القيم: " في تأثير قوله: **(يا حيُّ يا قَيُّومُ، برحمتِك أستغيثُ)** في دفع هذا الدَّاء مناسبة بديعة؛ فإنَّ صِفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صِفات الكمال، مستلزمةٌ لها، وصفة القَيُّومية متضمنةٌ لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحيِّ القَيُّوم، والحياة التامَّة تُضاد جميعَ الأسقام والآلام، ولهذا لَمَّا كَمُلَتْ حياة أهل الجَنَّة لم يلحقهم هَمٌ ولا غَمٌ ولا حَزَنٌ ولا شيء من الآفات... فالتوسُّل بصفة الحياة والقَيُّومية له تأثيرٌ في إزالة ما يُضادُّ الحياة، ويضرُّ بالأفعال " (٣)

ومن أدعية تفريج الكَرب أيضاً ما روته أَسْمَاءَ بِنْت عُمَيس (٤) رضي الله عنها، قَالَت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَلا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)** (٥)

وتأكيد لفظ الجلالة في هذا الدُّعاء إشارةٌ إلى عِظَم المقام وأهمية الأمر، والمعنى أنَّ إلَهي الذي أعبدُه وأخصُّه بجميع أنواع العبادة من خوف ورجاء وذلٍّ وخضوع وخشوع وانكسار

---

(١) رواه أحمد في مسنده _ ٣٠٧/١ _ ح ١٨٠٤ ، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٢) سنن الترمذي _ كتاب الدعوات _ باب رقم ٩١ _ ٤٩٧/٥ _ ح ٣٥٢٤، وحسنه الألباني (انظر: صحيح سنن الترمذي _ ٤٤٧/٣).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد _ ٢٠٤/٤

(٤) أسماء بنت عُميس الخثعمية، كانت من المهاجرات، لها هجرتان: هجرة الحبشة وهجرة بالمدينة، هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب ﷺ، فولدت له بأرض الحبشة عبد الله، وعوناً، ومحمداً، ثم قتل عنها جعفر، فخلف عليها أبو بكر الصديق ﷺ، فولدت له محمداً عام حجة الوداع بالشجرة، ثم توفي عنها فتزوجها علي بن أبي طالب ﷺ،كانت أختها ميمونة زوج النبي ﷺ.

(٥) سنن أبي داود في سننه _ كتاب الصلاة _ باب في الاستغفار _ ٥٦١/١ ح ١٥٢٧، وصححه الألباني (انظر: صحيح أبي داود _ ٤١٧/١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغير ذلك، هو ربِّي الذي ربَّانِي بنعمته، وأوجدنِي من العدَم، وتفضَّل علي بصنوف العطايا والمنَن، لا أتَّخذ معه شريكاً في العبادة كائناً مَن كان، وهذا توحيدٌ لله ﷻ والتجاءٌ إليه سبحانه، وفي الحديث دليلٌ على أنَّ التوحيدَ هو المفزَع في الكرب، وأعظمُ أسباب زوال الهُموم وذهاب الغُمُوم. (١)

ومن الأدعية النافعة في هذا الباب أيضا ما علمناه رسول الله ﷺ بقوله: (.. **دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ**) (٢)، وهذه الكلمات كلُّها استعانة بالله ﷻ وتوكَّل عليه وحده.

ومن أهم أدعية تفريج الكربات دعاء نبيُّ الله يونس عليه السلام الذي دعا به وهو في بطن الحوت فنجاه الله ﷻ، ووعد المولى سبحانه أن ينجي من دعا به من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۡٔجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ**) (٣)

قال ابن القيم: " وأما دعوةُ ذي النون عليه السلام فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للربِّ تعالى، واعترافِ العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدويةِ الكَربِ والهَمِّ والغَمِّ، وأبلغِ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج؛ فإنَّ التوحيدَ والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله ﷻ، وسلبَ كُلِّ نقصٍ وعيب عنه سبحانه، والاعترافُ بالظلم يتضمَّن إيمانَ العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويُوجب انكسارَ العبد ورجوعَه إلى الله ﷻ، والاعترافَ بعبوديته، وافتقاره إلى ربِّه، فههنا أربعةُ أُمور قد وقع التوسلُ بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف " (٤)

إنَّ من أكثر الأسباب التي تَجلِب الهُمُوم على قلبِ الإنسان هو خَوفه من المُستقبل، وقَلقه الدَّائم على رِزقه فيما بقي من حياته؛ فهو دائماً يخشى الفاقة، ويتوهَّم الفقر، ويُشغِل قلبه بالتفكير في أمورٍ مُستَقبَلةٍ مَجهولةٍ، فيُصيبه الهَمُّ والغَمُّ.. والعِلاج النافع لذلك هو أن يعلم العبد أنَّ هذه

---

(١) انظر: فقه الأدعية والأذكار _ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر _ ١٨٢/٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه _ كتاب الأدب _ باب ما يقول إذا أصبح _ ٤٨٤/٤ _ ح ٥٠٩٢ ، وحسنه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود _ ٢٥١/٣)

(٣)مسند الإمام أحمد _ ١٧٠/١ _ ح ١٤٦٢، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) زاد المعاد _ ٢٠٨/٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمور المستقبلة إنَّما هي من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله وحده، وأنَّها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء، فيَصرف العبد فكره عن قلقه من أجلها، ويتَّكِل على ربِّه في إصلاحها، ويطمئنّ إليه في ذلك، فإذا فعل العبد ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه

ومن أنفع ما يكون في إزالة الهَمِّ والخَوف مما هو مُستَقبَلٌ، استعمال الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به: (**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر**) [1]، فإذا لهج العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلبٍ حاضر، ونيَّةٍ صادقةٍ، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقَّق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب هَمُّه فرحاً وسروراً [2]

إنَّ المؤمن متى اعتمد قلبه على الله ﷻ، وتوكَّل عليه، ووثق به سبحانه، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهُمُوم والغُمُوم، وزالت عنه الأسقام، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه.

المطلب الرابع

تربية نفوس المؤمنين على القناعة والرِّضا

إنَّ من أكثر الأسباب التي توقع الإنسان في الغَمِّ والكَرب، نَظَرُه إلى ما عند النَّاس من مَتاع الدُّنيا، فيرى أنَّ غيره أكثر حظّاً، وأوفر مالاً، وأجمع متاعاً منه، وحينها يزدري الإنسان نعمة الله ﷻ عليه، ويشعر بأنَّه فقيرٌ مَحرومٌ، غيره عنده الكثير وهو لا يملك إلا القليل، فيُصيبه الحُزن، ويكتنفه الكَرب، ويشعُر بِضيق الصدر... وهذا حال كثيرٍ من الناس

ولقد جاء القرآن الكريم بالدَّواء الشافي لذلك الدَّاء، حيث جاءت الآيات تبيِّن أنَّ تَوزيع الأرزاق بين النَّاس إنَّما هو بِيَدِ الله ﷻ، العليمِ الخبيرِ، الذي يعلم ما يَصلُح لعباده؛ فتفاوت الناس في الرِّزق إنَّما هو لِحِكمَةٍ عظيمةٍ أرادها المولى ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ... ﴾[النحل: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿ ... أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[الزخرف:

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب الذكر والدعاء والتوبة _ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل _ ٨/٨١ _ ح ٧٠٧٨

(٢) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٢]، فهذه الآية الأخيرة تبيِّن أنَّ من حِكمَةِ الله ﷻ في جَعل النَّاس متفاوتين في الأرزاق _ فمنهم الغَني ومنهم الفَقير _ أن يَستخدم بعضهم بعضاً، ويعمل بعضهم لبعضٍ، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض؛ هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام العالم، لأنَّ الأرزاق لو تساوت لتعطَّلت المعايش، فمن حِكَمَةِ الله ﷻ أن جَعل هذا فقيراً مع كونه قويَّاً قادراً على العمل، وجعل هذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنَّ الله تعالى يُهيئ له مالاً، يستأجر به ذلك الفقير القوي، فينتفع القوي بمال الضَّعيف، وينتفع الضَّعيف بعمل القوي، فتنتظم المعيشة لكل منهما. (١)

ومن الآيات التي تبيِّن حكمة الله ﷻ في جَعل الناس متفاوتين في الأرزاق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠]، فالله سبحانه يُوَسِّع على من يشاء امتحاناً له أيشكر؟ أم يكفر؟، ويُضيِّق على من يشاء ابتلاءً له أيصبر؟ أم يضجر ويسخط ؟ فالله سبحانه خبيرٌ بعباده بصيرٌ بهم وبما يُصلِحُهم؛ لذا فهو سبحانه يُوَسِّع ويُضيِّق عليهم بحسب علمه وحِكمته، إذ من عباده من لا يُصلِحه إلا السَّعة، ومنهم من لا يُصلِحه إلا الضِّيق، فالفقر والغنى اختبارٌ وابتلاءٌ للعبد، وليس الغِنى دليلاً على مرضاة الله وليس الفقر دليلاً على سخط الله على العبد؛ ولكن قد يكون الغِنى في حق بعض النَّاس استدراجاً، وقد يكون الفقر للبعض عقوبةً (٢)

ولذلك ردَّ الله ﷻ على كفَّار قريش الذين استدلوا على نجاتهم في الآخرة بغناهم في الدنيا، فكما أغناهم الله ﷻ في الدنيا فسيُغنيهم في الآخرة _ على حد زعمهم _ قال ﷻ عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٥، ٣٦]، فالآية الأخيرة بيَّنت أنَّ بسط الرِّزق وقبضه في الدُّنيا معلَّقٌ بمشيئة الله، فقد يُوَسِّع الله على الكافر وعلى العاصي، ويُضَيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليلٌ على الفوز أو الخسارة في الآخرة.(٣)

وما دام أنَّ توزيع الأرزاق بيد الله ﷻ، وليس بيد العباد منه شيء، وما دام أن هذا التوزيع إنَّما هو للابتلاء والاختبار، وليس حسب الأفضلية بين العباد، فلا بدَّ للمؤمن أن يرضى بما قسم الله له، ويَقنع به، ولا يَمُدَّ عينيه إلى ما عند غيره، وقد جاءت الآيات صريحةً بالنهي

---

(١) انظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية _ سليمان الجمل _ ٨٦/٤، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ الشنقيطي _ ١١٢/٧

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم _ابن كثير _ ٤٧٨/٨، جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٤٣٥/١٧، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ الجزائري _ ١٩١/٣.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل _ ابن جزي _ ١٦٨/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن مَدِّ النَّظر إلى ما عند الغير من متاع الدُّنيا الزائل، فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[طه: ١٣١]، ومعنى الآية: لا تَمُدَّ عينيك مُعجباً، ولا تُكرِّر النظر مُستحسناً إلى أحوال الدنيا، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء الجميلة، فإن ذلك كلَّه زهرة الحياة الدنيا، تبتهج به نفوس المغترين، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين، ثم تذهب سريعاً، وتمضي جميعاً، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما كانوا عليه إذا قدموا يوم القيامة، فلا ينبغي للمؤمن أن يُعجبه هذا المتاع الزائل الفاني؛ بل عليه أن يقنع برزق ربِّه من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح في الدنيا، ثم يَطمع برزق ربِّه الآجل في الآخرة من النَّعيم المُقيم والعَيش السَّليم في جوار الرَّب الرَّحيم، فهذا الرزق خير وأبقى من متاع الدنيا الزائل (١)

وفي ذات المعنى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الحجر: ٨٧، ٨٨]، فلقد أعطى الله ﷻ نبيَّه ﷺ والمؤمنين خير العطاء، وأعظم ما يتنافس عليه المتنافسون، حيث أعطاهم فاتحة الكتاب والقرآن العظيم، الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة، لذا عليهم أن يستغنوا بذلك عما اغتر به المُغترُّون من متاع الدنيا القليل الفاني (٢)

وبهذا فإنَّ المؤمن الحق لا يلتفت إلى متاع الدُّنيا، ولا ينظر إلى ما في يد الآخرين؛ بل يقنع بما آتاه الله من الإيمان والرزق الحلال، ولا يتمنَّى ما قسمه الله لغيره، وذلك امتثالاً لقول المولى ﷻ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]، فالمؤمن إذا رأى عند أخيه ما يُعجبه من خير الدِّين والدُّنيا، فإنَّه لا يتمنَّى أن ينتقل هذا الخير إليه؛ ولكنَّه يدعو لأخيه بالبركة، ويسأل الله ﷻ أن يرزقه من فضله مثل ما عند أخيه، نقل القرطبي عن ابن عباس ﷺ قوله في هذه الآية: " نهى الله سبحانه أن يتمنى الرجل مال فلان وأهله، وأمر عباده المؤمنين أن يسألوه من فضله " (٣)

والمؤمن بدلاً من أن يُضيِّع عُمُره، ويُضعف قلبه، ويحزن نفسه بسبب التَّطلُّعَ إلى ما عند النَّاس، فإنَّه يَتَعَوَّض عن ذلك بما هو نافع له، فهو لا يَحزن على ما فات ولا يقلق على

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١١/٢٦٣، تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ٥١٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ٤٣٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن _ ٥/١٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستقبل؛ بل يجمع فكره لعمل الحاضر، فيكون ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح وقته الحاضر، فإنَّ جمع القلب على ذلك يُوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهَمِّ والحُزن، وهذا ما أرشد إليه النبيُّ ﷺ بقوله: (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا؛ وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**) [١] فجمع ﷺ في هذا الحديث بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضَّار، وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة من قضاء الله وقدره، وجعل الأمور قسمين: قسماً يمكن للعبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا يبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده، وقسماً لا يمكن فيه ذلك، فهذا يَطمئنُّ له العبد ويرضى ويُسلِّم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسُّرور وزوال الهَمِّ والغِّم [٢].

والمؤمن يكفيه من متاع الدنيا القليل، وما دام أنَّ عنده ما يكفيه، فهو يشعر بأنَّ الدُّنيا كلها قد حِيزت له، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: (**من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنَّما حِيزت له الدنيا**) [٣]

وهكذا إذا قَنَعَ الإنسان بما آتاه الله ﷻ، اطمأنَّ قلبه، وانشرح صدره، وذهب كَربه وحزنه؛ فما أعظم دواء القناعة لعلاج كربات النفس الطَّمَّاعة المُتَطَلِّعةِ لما عند الغير، ومن رُزِق القناعة فقد أفلح، كما جاء في الحديث عن عبد اللَّه بن عمرو بن العَاص ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**) [٤]

والمؤمن القنوع فائزٌ بمحبة الله ﷻ ومحبة الناس، ممتلئٌ قلبه بالرِّضا بقضاء الله، نفسه عزيزةٌ راغبةٌ عن حطام الدُّنيا، ينعم بالحياةِ الطيبةِ وبالمعيشةِ الهانئةِ.

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب القدر _ باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله _ ٥٦/٨ _ ح٦٩٤٥.

(٢) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ١٩

(٣) سنن الترمذي _ كتاب الزهد _ باب في التوكل على الله _ ١٦٧/٤ _ ح٢٣٤٦، وحسنه الألباني (انظر: السلسلة الصحيحة _ ٤٠٨/٥)

(٤) سبق تخريجه ص ١٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

التَّذكير بنِعَم الله ﷻ

إنَّ كتاب الله ﷻ مليءٌ بالآيات التي تُذَكِّرُنا بنِعَمِ الله ﷻ علينا، تلك النِّعَمِ العظيمةِ الكثيرةِ، التي لا يستطيع البشر مجتمعين إحصاءها، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ... ﴾[إبراهيم: ٣٤]، ولقد نبَّهنا الكتاب العزيز لنعمٍ عظيمةٍ من نِعم المولى ﷻ يغفل عن ذكرها _ فضلاً عن شكرها _ كثيرٌ من الناس.

ولو تأملنا في سورة النَّحل _ مثلاً _، تلك السورة التي تُسمَّى بسورة النعم [1]، لوقفنا على كثيرٍ من نعم المولى ﷻ، ذَكَّرنا ربُّنا سبحانه بها، حيث بدأت السورة بذكر نِعمة إنزال الوحي لهداية البشريَّة، ويا لها من نعمةٍ عظيمةٍ! يتعرَّف من خلالها العبد على ربِّه، ويسعد بها في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل: ٢]

ثم تَشرَع السُّورة في ذِكر بعض نِعَم الله ﷻ على عباده، فتذكر نِعمة خلق السموات والأرض، ونعمة خلق الإنسان من نطفة، ونعمة خلق الأنعام، ونعمة إنزال الماء، ونعمة إرساء الجبال، وشق الأنهار، وتمديد الطرق، وتزيين السماء بالنجوم، واهتداء الخلق بها، في نظمٍ عجيبٍ، وآياتٍ باهرةٍ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٣ – ٨]، وتستمر الآيات بسَرد نِعَم الله العظيمة على عباده إلى أن يُختم ذلك المقطع من السورة بقوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النحل: ١٨]

وبعد ذلك بآيات _ ليست كثيرة _ تمضي السورة _ مرةً أخرى _ في تعداد أصنافٍ أخرى من نِعَم الباري ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۞ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٦٥/١٠ ، الدر المنثور _ السيوطي _ ١٥٥/٥، زاد المسير في علم التفسير _ ابن الجوزي _ ٤٢٦/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحـل: ٦٥ – ٦٩] وبعد ذلك بقليل تستمر الآيات في ذكر أصناف مختلفة من الـنِّعم ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]

ثم تُعَرِّج الآيات على التَّذكير بنعمـة العلـم والتَّعلـيم ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، وبعد ذلك تُذَكِّر بِنعمة المَسكن والبيوت: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡۙ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨٠، ٨١]

هذه النعم كلُّها ذكرها المولى ﷻ في سورةٍ واحدةٍ من كتابه العزيز، وليست هي الـسورة الوحيدة المُشتملة على ذلك؛ بل القرآن الكريم حافلٌ بتلك الآيات المُذَكِّرة بِنِعَمِ المُنعم جل جلالـه، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]

إنَّ الله ﷻ قد أسبغ على عباده نعماً ظاهرة وباطنة ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ عَلَيۡكُمۡ .. ﴾ [لقمان: ٢٠]، وإنَّ كلَّ نِعمة يَتَنَعَّم بها العباد فإنَّما هي من الله ﷻ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ كُنتُمۡ .. ﴾[النحل: ٥٣]

فما أعظم نعم الله على عباده، وليس هناك قولٌ في بيان ذلك أبلـغ مـن قـول المـولى سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ... ﴾[إبراهيم: ٣٤]، فالعباد كلهم لا يُطيقُون عدَّ نِعَم الله ﷻ عليهم، ولا إحصائها، فأنَّى لهم القيام بشكرها [1]

إنَّ العبد وإن أتعب نفسه في القيام بالطَّاعاتِ، والعبادات، وبالغ في شُكْرِ نعـم الله؛ فإنَّـه يكون مقصِّراً؛ لأنَّ الاشتغال بشكر النِّعم مشترطٌ بعلمه بتلك النِّعم على سبيل التفـصيل، والعلـم

(١) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٢٦٩/٢، معالم التنزيل _ البغوي _ ٣٥٤/٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِنعمة الله ﷻ على سبيل التفصيل غير حاصل للعبد؛ لأنَّ نعم الله كثيرة، وأقسامها عظيمة، وعقول الخلق قاصرة عن الإحاطة بمبادئها، فضلاً عن غايتها [١]

إنَّ معظم الناس غافلون عن نِعَم الله السَّابغة عليهم، ولا يكادون يشعرون بكثيرٍ من هذه النِّعم إلا حين فقدها، كالصحيح _ مثلاً _ لا يشعر بنعمة الصِّحة والعافية إلا حين يجهده المرض [٢]، فما أسرع شعور الناس بالبلاء والمصيبة!، وما أبطأ شعورهم بالنِّعمة!!

ولو تدبَّر العبد في نِعَم الله ﷻ عليه، لشعر بها، وعرف قيمتها، ولبادر إلى شكرها، وحينها يُبارك الله ﷻ له ويزيده من فضله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ يَسُومُونَكُمْ .. ﴾ [إبراهيم: ٧]، ولا شكَّ أنَّ العبد حينما يستشعر نِعَم الله ﷻ سيطمئنُّ قلبه، وينشرح صدره، ويشعر بالسعادة والسرور.

إنَّ المرء إذا أصابه الكَرب أو حلَّت به مُصيبةٌ، من فقرٍ أو مرضٍ أو فقدِ عزيزٍ أو غير ذلك، ثُمَّ قارن هذا المرء بين هذا الذي أصابه وبين نعم الله عليه _ التي لا تُعدّ ولا تُحصى _ شعر بِعِظم فضل الله ﷻ عليه، ورأى أنَّ ما ابتلى به ما هو إلا شيءٌ قليلٌ لا يُذكر أمام نِعَم الله العظيمة، ولا شكَّ أنَّ المؤمن عندما يتلو آيات الله التي تذكر بِنِعمه ﷻ على عباده، ويتدبر في معناها؛ فإنَّه سيشعر بسعادةٍ حقيقيةٍ، ويطمئن إلى ربِّه؛ فإنَّ الذي أنعم علينا بكل هذه النِّعم لا يُقدر لنا إلا الخير، وحينها يتسلى المؤمن عن مصابه أعظم التسلية، بل ويتلذذ بالرِّضا عن ربِّه ﷻ، ويرجو الأجر والثواب على صَبره ورضاه.

إنَّ نِعَم الله علينا ليس لها حدٌّ ولا حصر، ولا يمكن للعبد الإحاطة بها؛ فهناك نِعَمٌ ظاهرةٌ ونِعَمٌ باطنةٌ، وهناك نِعَمٌ في الدِّين ونِعَمٌ في الدُّنيا، وهناك نِعَمٌ عامَّةٌ ونِعَمٌ خاصةٌ...وكلما طال تأمُّل العبد في نِعم الله الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدُّنيوية، رأى أنَّ ربَّه قد أعطاه خيراً كثيراً، ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شكَّ أنَّ هذا يدفع الهُمُوم والغُموم، ويوجب الفرح والسرور [٣].

وبهذا يمكن للمتأمل في كتاب الله ﷻ أن يستنتج أنَّ حديث القرآن عن نِعَم الله على عباده، وتذكيره بها يمكن أن يعتبر من منهجيات القرآن الكريم في تفريج كربات المكروبين، ودفع الأحزان والهُمُوم عن المَحزُونين، فإنَّ العبد متى شعر بنِعَمَ الله العظيمة عليه، فإنَّه سيشعر بالسَّعادة والطمأنينة والرِّضا، وسيندفع هَمُّه وغَمُّه، ويُبادر إلى التَّنَعُّم والتَّمَتُّع بِنِعَمِ الله ﷻ، ويجتهد في شكر المولى سبحانه على ما أسداه عليه من نِعَمٍ لا تحصى.

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٣٧/١٢

(٢) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٤٥٩/٤

(٣) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ٢٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد جاءت السُّنَّة المُشرَّفة تحث _ أيضاً _ على استشعار العبد لنِعمة الله ﷻ عليه، وتُرشد المؤمنين إلى أساليب فعَّالة تجعل العبد شاعراً بنعم الله عليه، بعيداً عن الكفران والجحود، فمن ذلك ما أرشد إليه النبي ﷺ بقوله: (**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**) [(١)]، فقوله: **(فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ)** يبيِّن أنَّ نظر المرء إلى من هو أسفل منه في أمور الدنيا، يُهوِّن عليه ما يشعر به من النَّقص _ الذي تسلل إلى قلبه عند النظر إلى من فوقه _، ويجعله يَفرح بما أنعم الله عليه، ويشكر ربَّه على نعمته [(٢)]

وفي رواية أخرى للحديث: (**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**) [(٣)]

فهذا توجيهٌ نبويٌ حكيمٌ، يجعل العبد سعيداً شاعراً بِنعم المولى ﷻ، لأنَّ العبد إذا نصب بين عينيه هذا التوجيه الجليل، رأى نفسه يفوق كثيراً من الخلق؛ في العافية وتوابعها، وفي الرِّزق وتوابعه، مهما بلغت به الحال، فيَزُول قلقه وهَمُّه وغَمُّه، ويزداد سروره واغتباطه بِنِعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

قال أبو الفرج ابن الجوزي تعليقاً على هذا الحديث: " هذا من أحسن الأدب، وبه يَطِيب العيش، فإنَّ النَّفس تُحب ألا يفوتها أحدٌ في شيءٍ، فإذا نظرت إلى من قد فاقها انكسرت، وربما تسخَّطت ما هي فيه، فإذا نظرت إلى من دونها عرفت قدر النِّعمة فشكرت، وما أحسن ما قال بعض العرب:

إذا شِئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها " [(٤)]

ويقول أبو حامد الغزالي: " والشيطان يظل أبداً يصرف وجه العبد لينظر إلى من فوقه في الدُّنيا فيقول: لِمَ تَفتر عن الطلب وذوو المال يتنعمون؟ ويصرف نظره في الدِّين إلى من دونه فيقول: ولِمَ تُضيِّق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك، وهو لا يخافه، والناس كلهم مشغولون بالنِعَم فلِمَ تتميز عنهم بالشقاء؟ فعلى المكلف مجاهدة اللعين ورده " [(٥)]

ومما يجدُر ذكره أنَّ هذا التوجيه النَّبوي الحكيم يستخدمه الأطباء النفسيون اليوم في علاج مرضى الاكتئاب، في ما يسمى بـ (العلاج الجماعي)، حيث يجمعون مجموعة من

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب الزهد والرقائق _ باب رقم ١ _ ٢١٣/٨ _ ح ٧٦١٧

(٢) انظر: عمدة القاري _ العيني _ ٧٩/٢٣

(٣) صحيح مسلم _ كتاب الزهد والرقائق _ باب رقم ١ _ ٢١٣/٨ _ ح٧٦١٩

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين _ ١٠٠٠/١، والبيت منسوب لابن حزم الظاهري من وصايا أبيه له (انظر: تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة " _ إحسان عباس _ ص ٢٤٨)

(٥) إحياء علوم الدين _ ٢٤٣/٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرضى في مكانٍ واحدٍ ليتحدث بعضهم مع بعض عن مرضهم وما يعانون منه؛ فيشعر الواحد منهم بأنَّه أهون من غيره، وأنَّه لم يصل إلى المرحلة التي وصل إليها صاحبه؛ فتطيب نفسه، ويشعر بأنَّه أفضل من غيره [١]

ولقد أرشدنا النبي ﷺ إلى النظر إلى الجانب الإيجابي المُشرق من الأمور، حتى نشعر بنعمة الله ﷻ، ونؤدي واجب الشكر على ذلك، فمن تلك التوجيهات النَّبوية الحكيمة قوله ﷺ: **(لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)** [٢]، ففي هذا الحديث الإرشاد إلى معاملة الزَّوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنَّه ينبغي أن توطِّن نفسك على أنَّه لا بدَّ أن يكون فيه عيبٌ أو نقصٌ أو أمرٌ تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصَّة والعامَّة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ، وملاحظة المحاسن، تدوم الصُّحبة والاتصال، وتتم الراحة، ومن فوائد الحديث أيضاً: زوال الهَمِّ والقلق وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وحصول الراحة بين الزَّوجين.. ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النَّبي ﷺ؛ بل عكس القضية فلحظ المساوئ، وعَمِيَ عن المحاسن، فلا بُدَّ أن يقلق، ولابُدَّ أن يتكدَّر ما بينه وبين من يتصل به، ويُخلّ بكثير من الحقوق التي على كل منهما المحافظة عليها [٣]

وخلاصة الحديث في هذا المطلب أنَّ من استشعر نعم الله ﷻ عليه، شعر بالراحة والسعادة، وهانت عليه مصائبه، وانفرجت عنه كرباته.

---

(١) انظر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة _ د عبد الله الخاطر _ ص٥٧

(٢) صحيح مسلم _ كتاب الرضاع _ باب الوصية بالنساء _ ١٧٨/٤ _ ح٣٧٢١

(٣) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

نماذج من منهجيات القرآن في مواساة وتفريج كرب أصحاب بلاء معين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج القرآن في مواساة الفقراء وتفريج كرباتهم.

المطلب الثاني: منهج القرآن في مواساة المرضى وتفريج كرباتهم.

المطلب الثالث: منهج القرآن في مواساة اليتامى وتفريج كرباتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان الحديث في المبحث الأول _ من هذا الفصل _ عمَّا اشتمل عليه الكتاب العزيز من مواساة عامَّة، تُواسي كل مبتلى مؤمن، وكان الحديث في المبحث الثاني عن منهج القرآن في تفريج الكربات _ بصورة عامَّة _، وسيكون الحديث في هذا المبحث _ بإذن الله ﷻ _ عن نماذج من المواساة القرآنية الخاصة بأصحاب بلاء معين، وذلك للوقوف على منهج القرآن الكريم في مواساتهم وتفريج كربهم.

ولقد اختار الباحث ثلاثة أصناف من الناس، قد ابتلاهم الله ﷻ ببلاء معين، وهم:

- الفقراء والمساكين.
- المرضى والزمنى.
- اليتامى.

واختيار الباحث لهذه النماذج إنَّما هو على سبيل المثال لا الحصر؛ وإلا فالقرآن الكريم فيه من المواساة والتفريج _ الخاص بأصحاب ابتلاءات معينه _ الشيء الكثير.

مع ملاحظة أنَّ هؤلاء المبتلين تشملهم المواساة العامَّة التي سبق الحديث عنها، وكذلك تنفعهم المفرِّجات العامَّة التي أرشد إليها الكتاب العزيز، وزيادة على ذلك فقد خصَّهم القرآن الكريم بمواساة خاصَّة، ومُفرجات خاصة مناسبة للبلاء الذي هم فيه، وذلك من عظيم رعاية القرآن الكريم لأصحاب الابتلاءات والمحن.

المطلب الأول

منهج القرآن في مواساة الفقراء وتفريج كرباتهم

إنَّ تنوُّع النَّاس بين فقيرٍ وغنيٍ أمرٌ طبيعيٌ في كلِّ المجتمعات، وهو من سُنَّة الله ﷻ في عباده؛ فالله سبحانه فاضل بين الناس في هذه الدُّنيا في الرِّزق والمعاش ﴿..نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا... ﴾[الزخرف: ٣٢]، وشاء سبحانه أن يكون الناس منهم الفقير ومنهم الغني، لحِكَمٍ عظيمةٍ أرادها المولى ﷻ.

ولا شكَّ أنَّ من ابتلاه الله ﷻ بالفقر وقلة ذات اليد يعتبر ضعيفاً، مُحتاجاً لمن يُواسيه ويُساعده، ولا ريب أنَّ الفقر قد يكون سبباً لجلب الهَمِّ والكَرب للإنسان المُبتلى به، فالفقراء هم من أصحاب الابتلاءات، لذا فقد اعتنى القرآن الكريم بهم عنايةً عظيمةً، وهذا أمر يَلحظُه كلُّ متأمل لكتاب الله ﷻ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تضمَّن الكتاب العزيز مواساةً عظيمةً لمن ابتلي بالفقر، واشتمل كذلك على تشريعات وتوجيهات من شأنها أن تفرِّج كُربهم، وتُنجِيهم من محنتهم، ويمكن للمتأمل في كتاب الله ﷻ أن يلحظ ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: الوصية بالإحسان إليهم: حيث أوصى القرآن الكريم المؤمنين بالإحسان للفقراء والمساكين بصورة عامَّة، وذلك في غير موضع من كتاب الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ .. ﴾ [النساء: ٣٦]، فيتوجب على المؤمنين الإحسان إليهم في كلِّ ما من شأنه رعاية حالهم، من رعاية مالية ونفسية وغير ذلك.

ثانياً: الرِّعاية المالية لهم: ولا شكَّ أنَّ أهم ما يحتاجه الفقراء والمساكين هو ما يسد عوزهم وفاقتهم، من كفالة مالية تُعينهم على العيش الكريم، وتُغنيهم عن مد اليد لغيرهم، ولقد احتوى القرآن الكريم على تشريعاتٍ عظيمةٍ من شأنها أن توفِّر ذلك للفقراء، ومن هذه التشريعات:

١- إيجاب المال لهم من مصارف خاصة: فمن عظيم اهتمام القرآن بالفقراء والمساكين أن جعل لهم نصيباً واجباً، وسهماً مفروضاً في مصارف عدة، وهم يُعطون سهمهم من هذه المصارف حقاً لهم لا منَّة ولا تفضُّلاً من المعطي [(١)]، وهذه المصارف متعددة ومتنوعة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الزكاة: ولقد كان الأمر بها منذ بداية نزول القرآن، حيث ورد ذكر الزكاة في عدد من السور المكية، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤]، قال ابن كثير: " الأكثرون على أنَّ المُراد بالزكاة هنا زكاة الأموال، مع أنَّ هذه الآية مكية، وإنَّما فُرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أنَّ التي فُرضت بالمدينة إنَّما هي ذات النُّصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أنَّ أصل الزَّكاة كان واجباً بمكة، قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ﴿ ..كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١] " [(٢)]

وهذا الأمر إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على عِظَم الرِّعاية الإلهية للمحتاجين؛ فإنه منذ زمن بزوغ فجر الإسلام ونزول آيات القرآن، كان حقهم مَرعياً... ومع أنَّ المسلمين كانوا آنذاك أفراداً

---

(١) انظر: منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع _ د.عماد زهير حافظ _ ص٢٣٨

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ١٠٨/١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معدودين مُحارَبين في دعوتهم؛ إلا أنَّ هذا الجانب الإنساني الاجتماعي كان موضع عنايةٍ بالغةٍ، واهتمامٍ مستمرٍ من القرآن الكريم [١]

ثُمَّ لمَّا شُرعت الزكاة ذات الأنصبة والمصارف المحددة، كان الفقراء والمساكين هم المقدمون في قائمة المستحقين للزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وتصدُّر الفقراء والمساكين لأهل الاستحقاق للزكاة يدل على الاعتناء بأمرهم وأولويتهم في الاستحقاق قبل غيرهم [٢]

ب – الفيء والغنائم [٣]: حيث جعل الإسلام فيهما نصيباً معلوماً للفقراء والمساكين، قال ﷻ في شأن الفيء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وفيما يتعلق بالأنفال قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، وفي جعل للمساكين سهماً من الأنفال بيان لعظم اهتمام القرآن بهم، فإنَّ هذه الأنفال إنَّما نالها المجاهدون المقاتلون بمشقةٍ وجهادٍ، ليس كالفيء الذي ناله المسلمون بدون قتال، ورغم ذلك جعل الشرع للفقراء والمساكين سهماً من هذه الغنائم.

ج – الهدي[٤] **والأضاحي**: فورد الأمر بإطعام الفقراء من الهدي في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]، والبدن هي الإبل والبقر التي تُهدى إلى الحرم جعلها الله ﷻ من شعائر دينه، وجعل لعباده فيها خيراً عظيماً وأجراً كبيراً، ولقد أمر المولى ﷻ بذكر اسمه الشريف عند نحرها حال كونها قائمة على ثلاثة معقولة اليد اليسرى فإذا تمَّ نَحرها

---

(١) انظر: منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع _ د. عماد زهير حافظ _ ص٢٣٠

(٢) انظر: تفسير المنار _ محمد رشيد رضا _ ٥٠٦/١

(٣) الفيء هو المال الذي يؤخذ من الحربيين من غير قتال، كالجزية والخراج، والغنائم هي ما من أموال أهل الحرب عنوة بطريق القهر والغلبة (انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد _ ابن رشد الحفيد _ ٣٩٠/١، الفقه الإسلامي وأدلته _ د وهبة الزحيلي _ ٤٨/٨-٥٠)

(٤) الهدي هو ما يهدى إلى البيت من بهيمة الأنعام، سواء أكان تطوعا أم هدي تمتع، أم قران أم جزاء صيد (انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية _ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت _ ٢٠٢/١٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسقطت على جنوبها فوق الأرض ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ والقانع هو الفقير الذي يسأل والمُعتر هو الفقير الذي يتعرض ولا يسأل [1]

وورد الأمر بإطعام الفقراء المحتاجين من الأضاحي في قوله سبحانه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، والمراد بالبائس في الآية: الذي أصابه البُؤس، وهو ضيق المال، وهو الفقير، وهذا قول جمع من المفسرين، وإنَّما ذكر البائس مع أنَّ الفقير مغنٍ عنه لترقيق أفئدة الناس على الفقير، بتذكيرهم أنَّه في بُؤسٍ، لأن وصف فقير _ لشيوع تداوله على الألسن _ صار كاللقب، غير مُشعر بمعنى الحاجة [2]

د _ الكفَّارات: فلقد جعل المولى ﷻ للفقراء والمساكين سهماً مفروضاً في كثير من الكفَّارات التي أوجبها الشَّرع الحنيف، ككفارة من لا يستطيع الصيام في رمضان لمرض لا يُرجى برؤه، أو لكبر سن، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ...﴾[البقرة: ١٨٤]، وككفارة الحنث في اليمين، قال سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾[المائدة: ٨٩]

وكذلك كفارة الظهار، وكفارة الصيد في حال الإحرام، وكفارة الجماع في نهار رمضان، والآيات والأحاديث المبينة في ذلك معروفة مشهورة.

٢ –الدعوة إلى صدقات التطوع: وهذا فيه مزيد عنايةٍ بالفقراء؛ لأنَّ الزكاة لها قدرٌ محدود، ورُبَّما وقتٌ محدود، فقد لا تكفي لسد حاجة الفقير؛ أمَّا صدقة التطوع فالمجال فيها مفتوحٌ، فلا تُقدَّر بنصابٍ معينٍ، ولا وقتٍ محددٍ، وبذلك يشعر الفقراء من خلال حصولهم على هذه الصدقات بأنَّهم في مجتمعٍ يرعاهم، ويأخذ بأيديهم في كل وقتٍ وحين، ولا ينساهم أبداً

والقرآن الكريم مليءٌ بالآيات التي تحثُّ على صدقة التطوع وتُرغِّب فيها، ولا يتَّسع المجال لحصرها هنا؛ ولكن نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥]، فمن الملاحظ في الآية أنَّ الله ﷻ عبر عن الصدقات بكلمة (خير) ولهذا التعبير إيحاءان: الأول:

---

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٤٧٦/٣

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٤٧/١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الإنفاق خيرٌ للمعطي وخيرٌ للآخذ.. والإيحاء الثاني: أنَّه على المنفق أن يتحرى أفضل ما عنده فينفق منه؛ وخير ما لديه فيشارك الآخرين فيه.(١)

ثالثاً: الرِّعاية النفسية: لمَّا كان الفقير ضعيفاً فقد يتعرض لبعض الأذى أو الإهانة أو التطاول من بعض ضعاف النفوس، ولذلك لم يكتفِ القرآن الكريم بالرِّعاية المالية للفقراء والمساكين؛ بل اهتم أيضاً بالجانب النفسي لهم، حفاظاً على كرامتهم ورعاية لمشاعرهم، ومن أهم التوجيهات التي جاء بها القرآن الكريم لأجل ذلك:

١- **الأمر بالتواضع لهم وحسن مخاطبتهم:** وهذا أقل ما يقدمه المجتمع لؤلئك المبتلين، ولا يجوز لأحد أن يتعالى عليهم لأجل فقرهم، حتى المنفق عليهم ليس له ذلك، فهو إنَّما يعطيهم حقهم الذي فرضه الله لهم.

ومن أروع الآيات التي تبين أهمية التواضع للفقراء وحسن مخاطبتهم قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[الإسراء: ٢٨]، فأوجبت هذه الآية الكريمة على من لم يُعطي السائل _ لعدم وجود ما ينفق _ الرِّفق في الاعتذار إليه، بالقول اللين الحسن، ووعده وعداً حسناً بإعطائه عند حصول الرِّزق (٢)

يقول سيد قطب في ذلك: " فإذا لم يجد إنسان ما يُؤدِّي به حقَّ ذوي القربى والمساكين وابن السبيل، واستحيا أن يواجههم، فليعدهم إلى ميسرةٍ، وليقل لهم قولاً ليناً، فلا يضيق بهم صدره، ولا يسكت ويدعهم، فيحسوا بالضيق في سكوته، ففي القول الميسور عِوَضٌ وأملٌ وتجمُّلٌ "(٣)

ومِثل هذه الآية قول المولى ﷻ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، فالله ﷻ ينهى عن زجر السائل، وبدلاً من نهره يبذل له اليسير، أو يرد بالقول الجميل (٤)

٢- **المساواة بينهم وبين الآخرين:** فالإسلام مبنيٌ على المساواة بين الناس، ولا مجال للطبقيَّة فيه، والناس إنَّما يتفاوتون بالتقوى، ولذلك نهى القرآن الكريم عن التفريق بين الفقراء والأغنياء في أي وجه من وجوه المعاملة، ولو كان هذا التفريق لمصلحة الدين والدعوة، لذلك نُهِيَ النبي ﷺ عن تصرف قد يشعر الفقراء بشيء من عدم المساواة فيخدش شعورهم، قال تعالى مخاطباً

---

(١) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٢٢٢/١

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٧٦/٨، التحرير والتنوير ابن _ عاشور _ ٨٣/١٥

(٣) في ظلال القرآن _ ٢٢٢٣/٤

(٤) انظر: فتح القدير _ الشوكاني _ ٤٥٩/٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبيَّـــه ﷺ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعـــام: ٥٢]، وقد جاء في الحديث بيان سبب نزول هذه الآية، فعن سَعْد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَـــالَ الْمُـــشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ، لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِـــلاَلٌ وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْـــسَهُ، فَـــأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (١)

فنُهِيَ النبيُّ ﷺ عن طرد هؤلاء المؤمنين الفقراء، حتى لو كان طردهم رغبةً في إســـلام كبار القوم، فالخير في هؤلاء الفقراء الملازمين لدعاء ربِّهم، فهم الصَّفوة من الخلق وإن كـــانوا فقراء، وهم الأعزاء وإن كانوا في نظر الناس أذلاء. (٢)

ولذلك أيضاً عاتب الله ﷻ نبيَّه عندما أعرض عن ابن أم مكتوم ﷺ، وأنزل الله في ذلـــك قرآناً ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۞ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۞ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۞ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۞ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس: ١ – ١٠] (٣)

وفي هذه التوجيهات الرَّبانية مواساةٌ عظيمةٌ للفقراء؛ بل رفعةٌ لهم بين أفـــراد المجتمـــع؛ لتبقى كرامتهم مصُونةً، ويبقى قدرهم محفوظاً.

٣- **مراعاة الآداب عند الإنفاق عليهم:** فلقد وجه القرآن الكريم المنفقين إلى آدابٍ ساميةٍ علـــيهم أن يتخلقوا بها عند الإنفاق على الفقراء والمساكين، ومن هذه الآداب:

أ- **عدم المنِّ والأذى:** فلقد حذَّر القرآن المنفقين من ذلك تحذيراً شديداً، وبيَّن أنَّ فِعل ذلك يُبطـــل ثواب الإنفاق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ... ﴾[البقرة: ٢٦٤]، والمَنُّ هو أن يَمُنَّ المنفق علي الفقير بعطائه، فيقول: قد

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب فضائل الصحابة _ باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ _ ١٢٧/٧ _ ح٦٣٩٤

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ٢٥٧

(٣) ذكر الواحدي في سبب نزول هذه الآيات أنَّ عبد الله بن أم مكتوم أتى النبي ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعـــة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشتغل مقبـــل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه وأقبل علـــى القـــوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات (انظر: أسباب النزول _ ص٢٩٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعطيتك كذا وكذا، فيعدد نعمه عليه، فيكدرها عليه، وأمَّا الأذى فهو أن يعيره فيقول: كم تسأل وأنت فقير أبداً، وقد بُليت بك، وأراحني الله منك.. وأمثال ذلك. (١)

ولقد بيَّن القرآن الكريم أنَّ ردَّ السائل بالكلمة الطيبة خيرٌ من الصدقة التي يتبعها أذىً للفقير، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

ب- إخفاء الصدقات: وذلك للحفاظ على كرامةِ الفقراء وشعورهم، ولحفظ ماء وجوههم، لذا بيَّن القرآن الكريم أنَّ صدقة السر أفضل من صدقة العلن، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وأكدت السُنَّة على عِظَمِ صدقة السِّر، حيث بيَّن النبي ﷺ أنَّ من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله **(رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)** (٢)

جـ- الإنفاق من أطيب المال: حتى يَشعُر الفقير بقيمته، وبأنَّه موضع اهتمامٍ لدى الجميع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فنهى الله ﷻ المنفقين عن قصد المال الرَّديء وإنفاقه على الفقراء، فإنَّ الواحد من هؤلاء المنفقين لو عُرض عليه ذلك المال الرديء لا يأخذه إلا وهو مغمضٌ فيه مترخصٌ (٣)

وبهذه التوجيهات القرآنية العظيمة تكتمل المواساة للفقير والمسكين، ويكون القرآن الكريم قد أوجد لهم ما يفرِّج كرباتهم، ويعينهم على مصابهم، ولو طُبِّقت هذه التوجيهات القرآنية في مجتمعات المسلمين اليوم، لما بقي لفقير حاجة، ولما ظل لمسكين عوز، ولعاش الجميع في سلام وأمان في ظل تشريعات القرآن العظيم.

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٨٤/١

(٢)صحيح البخاري _ كتاب الزكاة _ باب الصدقة باليمين _ ١١١/٢ _ح ١٤٢٣

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل _ النسفي _ ٢٠٠/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

منهج القرآن في مواساة المرضى وتفريج كرباتهم

لا شكَّ أنَّ المرضى والزَّمنى [1] هم من الذين ابتلاهم الله ﷻ؛ بل إنَّ الابتلاء بالمرض وفقد نِعمة الصِّحة هو من أشدِّ أنواع الابتلاء، قال سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فمن معاني النقص في الأنفس: الأمراض التي تُنقص قوى الإنسان، وبنيته الجسمية والعقلية [2]

وكما هو معلوم ومشاهد فإنَّ المرض _ سواء كان عارضاً أم مزمناً _ يُضعف الإنسان، وآثاره لا تظهر على العضو المصاب فقط؛ بل تتعدَّاه إلى جميع أعضاء الجسد، كما جاء في قول النبي ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)** [3]، وكلَّما كان المرض أشدُّ، كان أثره على المصاب أعظم، خاصةً إذا كان المرض فيه تعطيل لبعض الحواس، كالعمى والصمم..، والمرض قد يكون سبباً لجلب الحزن والكرب على قلب صاحبه، فيحتاج المريض إلى ما يواسيه ويذهب كُربته.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على ما فيه مواساة عظيمة لؤلئك المبتلين؛ بل اشتمل القرآن أيضاً على ما يُفرِّج كُرباتهم ويُذهب غَمَّهم، وفي النقاط التالية يحاول الباحث تلمس ما في الكتاب العزيز من مواساة وتفريج لكربات أولئك المبتلين:

١ – طمأنة نفوسهم ووعدهم بالثواب العظيم على صبرهم: فمن ابتلي بشيء من المرض أو الإعاقة فليس له أن يجزع، وليس له أن يتسخَّط؛ بل عليه أن يصبر ويرضى بقضاء الله ﷻ، فلقد وعد الرَّب العظيم الكريم بحسن الجزاء للصَّابرين، ويكفي في هذا المقام قول المولى ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم

---

(١) الزمنى جمع زمن وهو من كان به زمانة، والزمانة هي المرض الدائم الذي يقعد صاحبه ويمنعه من الكسب، كالعمى والشلل والصمم وغيرها من الأمراض التي تلازم الإنسان (انظر: لسان العرب _ ابن منظور _ ١٨٦٧/٣، التوقيف على مهمات التعاريف _ المناوي _ المناوي _ ص ٣٨٨).

(٢) نقل القرطبي هذا التفسير عن الشافعي رحمه الله (انظر: الجامع لأحكام القرآن _ ١٧٤/٢).

(٣) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم _ ٢٠/٨ _ ح٦٧٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]، والآيات في بيان ثواب الصابرين كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا [١]

وفي السُّنة النَّبوية الكثير ممَّا فيه تسلية للمبتلين بالأمراض والإعاقات، من ذلك ما ورد في ثواب من صبر على فقد بصره، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ)** [٢]

وحديث المرأة السوداء التي كانت تُصرع، فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب منه الدعاء، فبشرها بالجنة إن صبرت حديث معروف مشهور.[٣]

٢- **تحريم احتقارهم أو السُّخرية منهم:** فلمَّا كان المريض ضعيفاً فلربما تعرَّض للأذى أو السُّخرية من بعض ضعاف النفوس _ خاصة إذا كان المرض ممَّا ينفر منه الناس _ لذا جاء القرآن الكريم بتحريم السُّخرية من الآخرين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]، فالآية تُحرِّم السُّخرية من أحد من المؤمنين، ولا شكَّ أنَّ الحرمة تزداد إذا كانت السُّخرية من مريضٍ ضعيفٍ، يزداد أذاه بهذه السُّخرية.

٣- **الأمر بالرِّفق ولين الجانب:** فلم يكتفِ القرآن الكريم بتحريم السُّخرية من المرضى؛ بل أمر بما هو أعظم من ذلك، حيث أمر بالتواضع وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿.. وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]، والمراد بخفض الجناح: الرِّفق والتواضع، شبهه المولى ﷻ بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع حفض جناحه يريد الدُّنو، وكذلك يصنع إذا لاعب أنثاه، أو أراد حضن فراخه، فهو راكنٌ إلى المسالمة والرفق [٤]

---

(١) سبق الحديث في هذه الدراسة عن بيان منزلة الصابرين عند ربهم ﷻ في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) صحيح البخاري _ كتاب المرضى _ باب فضل من ذهب بصره _ ١١٦/٧ _ ح ٥٦٥٣.

(٣) الحديث يرويه عطاء بن أَبِي رَبَاحٍ قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إنِّي أصرع، وإنِّي أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، فقالت: إنِّي أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها (صحيح البخاري _ كتاب المرضى _ باب فضل من يصرع _ ١١٦/٧ _ ح ٥٦٥٢)

(٤) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٨٣/١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان الرِّفق واجباً في حق المؤمنين عامَّة، فإنَّه في شأن المرضى والزمنى أوجب، إذ هم أحوج ما يكونون إلى هذا الرفق واللين في المعاملة من غيرهم، مراعاة لنفسياتهم وشعورهم بالنقص الذي هم فيه [1]

ولقد جاءت السُّنة النَّبوية لتؤكد على أهمية الرِّفق _ خاصةً مع المرضى والضعفاء _ وليس أدل على ذلك من وصية النبيِّ ﷺ لمن أراد أن يؤم الناس في الصلاة، حيث أوصاه النبي ﷺ بالتخفيف قائلاً: (**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**) [2]، فإذا كان رسول الله ﷺ قد أوصى بالرفق بالمرضى وهم في الصلاة _ وهي أعظم العبادات لله ﷻ _، فالرِّفق في غيرها أولى.

٤ – لم يسقط عنهم الواجبات والتَّكاليف؛ وإنَّما خففها عليهم: وفي ذلك مراعاةُ عظيمةُ لنفسية المرضى والزمنى، إذ لو أسقط القرآن الكريم عنهم التكاليف بالكلِّية لأحسوا بأنَّهم عاجزين، وبأنهم عالةٌ على غيرهم، ليس لهم دور في المجتمع.. ولكنَّ هذا الدين الحنيف أبقى على هؤلاء المرضى الواجبات التي يُطيقونها، كالزكاة _ إن كانوا ممن عندهم مال فيه زكاة _، والصَّدقات، والصَّلاة، والصَّوم، وصلة الأرحام... إلخ؛ ولكن خُفف عليهم بما يتناسب مع ضعفهم ومرضهم، بحيث لا يزيد مرضهم ولا يتأخر شفاؤهم، ولا يقعون في الشدة والعنت نتيجة القيام بتلك التكاليف.

فمثلاً الوضوء والصلاة: لم يسقطا عنهم بالكلية؛ وإنما شرعت لهم الرخص التي تناسبهم ﴿...وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ..﴾ [المائدة: ٦]، وحديث عمران بن حصين ﷺ أصل في ذلك حيث قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: (**صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب**) [3]

وفي شأن الصيام قال ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فلم يسقط عنهم الصيام وإنما شرع لهم القضاء إن كانوا يرجون البرء، وإن كان مرضهم مما لا يرجى برؤه

---

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع _ د عماد زهير حافظ _ ص ٣٧٨

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الأذان _ باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء _ ١٤٢/١ _ ح٧٠٣

(٣) صحيح البخاري _ كتاب تقصير الصلاة _ باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب _ ٤٨/٢ _ ح١١١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرع لهم الفدية بديلاً عن الصيام ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وكتب الفقه مليئةٌ بالأمثلة على ذلك.

وهكذا يشعر المريض بقيمته ومكانته، ويشعر كذلك بعظيم العناية الربانية به، إذ شرع له ربه التخفيف والتيسير ورفع الحرج.

وفي جانب العبادات التي لا يطيقها المريض بحال من الأحوال رفع عنه الحرج بالكلية، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]، فالمراد بالضُّعفاء في الآية هم قوم عُرف عُذرهم، كأرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون؛ فبين سبحانه أنَّه ليس على هؤلاء حرج، أي في عدم المشاركة في القتال مع جيوش المسلمين (١)

٥- **الكفالة المالية لهم:** وذلك لأنَّ الغالب على المرضى والزمنى أنَّه يصيبهم الفقر بسبب عجزهم عن السعي والتكسب، وبذلك يزيد كربهم شدة، فجاءت تشريعات القرآن الكريم بالتفريج والتيسير، حيث أوجبت لهم كفالة مالية من مصادر خاصة لكفايتهم وصيانة كرامتهم، وكل ما شرعه الإسلام لإعالة الفقراء يدخل فيه المرضى _ إن كانوا فقراء _ دخولاً أولياً، فالفقير المريض أولى بالرعاية المالية من الفقير السليم، يقول ابن العربي (٢): " ولا خلاف أنَّ الزَّمِن مقدم على الصحيح " (٣) أي في إعطاء الصدقات.

٦- **ضمان الرِّعاية الصحية:** فلقد شرع القرآن الكريم التداوي؛ بل وأرشد إلى بعض الأدوية النافعة، ولا شكَّ أن في ذلك تفريج لكربته، وإخراج له من محنته.

ومن الآيات التي يستدل بها في هذا المقام قول المولى ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله سبحانه عن العسل: ﴿.. يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ..﴾ [النحل: ٦٩]، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في مقدمة شرحه لكتاب الطب من صحيح البخاري ما يشير إلى أنَّ القرآن الكريم دلَّ على أصول العلاج

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٢٦/٨

(٢) الإمام العلامة الأديب، ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الاشبيلي، كان ذا بلاغة ولسن وإنشاء، ، صحب ابن حزم، وأكثر عنه، وهو والد القاضي أبي بكر، مات بمصر في أول سنة ثلاث ٤٩٣هـ.

(٣) أحكام القرآن _ ٩٧١/٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأسباب الشفاء فقال _ رحمه الله _: " ومدار ذلك على ثلاثة أشياء: حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة، وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن... " (١)

والسُّنة النبويَّة المُشرفة مليئةٌ بما يبيِّن مشروعية التداوي، بل ومليئةٌ أيضاً بالإرشاد إلى العديد من الأدوية والعلاجات النافعة؛ من الرُّقى، والأطعمة والأشربة، والحجامة، وغير ذلك من الأدوية الواردة في الطب النبوي.

٧- **حث المؤمنين على عيادتهم:** فالمؤمنون إخوة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، يتفقدون بعضهم، ويواسون بعضهم **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)** (٢)

ولقد حثَّ النبيُّ ﷺ على عيادة المرضى حثاً عظيماً، فقال ﷺ: **(أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ)** (٣)؛ بل جعل ﷺ عيادة المريض حقاً للمسلم على إخوانه المسلمين فقال ﷺ: **(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ؛ رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)** (٤)

ومن أجمل الأحاديث الواردة في ذلك قوله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ...)** (٥)

وبهذه التوجيهات القرآنية الحكيمة تكتمل المواساة لمن ابتلوا بالمرض أو الإعاقة؛ بل إنَّهم ليجدوا في كتاب ربِّهم ﷻ ما ينفرج به كربهم، وتنشرح به صدورهم، ويعينهم على العيش بسعادة وطمأنينة في حياتهم.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري _ ابن حجر _ ١٣٤/١٠

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٨

(٣) صحيح البخاري _ كتاب المرضى _ باب وجوب عيادة المريض _ ١١٥/٧ _ ح ٥٦٤٩

(٤) صحيح البخاري _ كتاب الجنائز _ باب الأمر باتباع الجنائز _ ٧١/٢ _ ح ١٢٤٠

(٥) صحيح مسلم _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب فضل عيادة المريض _ ١٣/٨ _ح ٦٧٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

منهج القرآن في مواساة اليتامى [1]

لا شكَّ أنَّ اليتامى هم من أهل الابتلاء، وذلك لصِغر سِنهم، ولفقد من كان معيلاً لهم ومدافعاً عنهم، وهو الأب، ولذلك فقد حَظِيَ اليتامى باهتمامٍ وافرٍ من كتاب الله ﷻ، فالقرآن الكريم احتوى على كثير من الآيات التي توصي باليتامى، وتحثُّ على العِناية بهم، وتحذِّر من أيِّ اعتداء عليهم أو على أموالهم.

ولا يتَّسع المجال هنا لبسط الحديث عمَّا في القرآن الكريم من آياتٍ تتعلق باليتامى؛ ولكن يحاول الباحث هنا الإشارة إلى بعض ما اشتمل عليه الكتاب العزيز من مواساةٍ لليتامى وتفريجٍ لكربهم، حيث يُجمل الباحث ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الأمر بالإحسان إليهم والنَّهي عن الإساءة لهم:

وما أكثر ذلك في كتاب الله ﷻ، مكيِّه ومدنيِّه، ومن اللطيف في ذلك أنَّ القرآن الكريم ذكر يُتم النبيِّ ﷺ فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضحى: ٦]، ولا يخفى أنَّ في ذلك مواساةً لكل اليتامى، ورفعاً لمعنوياتهم، فهذا خاتم النبيِّين وسيد المرسلين ﷺ كان يتيماً، ولا يُعدُّ ذلك نقصاً أو عيباً فيه، وإنَّما يَبتلي المولى ﷻ بعض عباده باليتم لحكمٍ ومصالح عظيمةٍ قد تخفى على كثيرٍ من الناس.

ولما ذكر المولى ﷻ يُتم نبيِّه ﷺ، جعل الأمر الأول بالإحسان إلى اليتامى موجهاً إليه ﷺ فقال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩]، فكمَّا كنت أيُّها النبيُّ يتيما، فآواك الله ﷻ، فلا تقهر اليتيم ولا تنهره ولا تهنه؛ ولكن أحسن إليه، وتلطَّف به، قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم [2]

ولقد كانت سيرة النبيِّ ﷺ ترجمة لأوامر القرآن العظيم، فلقد كان ﷺ خير من رعى اليتيم وأحسن إليه؛ بل قد حثَّ ﷺ على ذلك في كثيرٍ من أحاديثه الشريفة، من ذلك قوله ﷺ: **(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى)** [3]، وما أعظم ذلك من ترغيب

---

(١) اليتامى: جمع يتيم، وهو الذي فقد أبوه، ولمَّا يبلغ بعد، فالعبرة بفقد الأب، لا الأم؛ لأنَّ النفقة عليه لا عليها (انظر: التعريفات _ الجرجاني _ ص٣٣١، القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ص ١٥١٣)

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم _ابن كثير _ ٣٨٥/١٤

(٣) رواه البخاري _ كتاب الأدب _ باب فضل من يعول يتيماً _ ٩/٨ _ ح٦٠٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمن كفل يتيماً، قال النووي: " كافل اليتيم هو القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية " (١)

وفي حديث آخر أكد ﷺ على حق اليتيم تأكيداً عظيماً فقال: (**اللهم إنِّي أُحَرِّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**) (٢)

ومن أعظم الآيات التي اشتملت على الأمر بالإحسان إلى اليتامى قول المولى ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ أَمۡوَٰلِهِمۡ .. ﴾ [النساء: ٣٦]

حيث جمع المولى ﷻ الأمر بالإحسان إلى اليتامى مع الأمر بعبادته سبحانه، وقد رتَّب المولى سبحانه المستحقين للإحسان ترتيباً حكيماً، وفي ذلك اعتناء بالأوكد فالأوكد، فبدأ بالوالدين، إذ لا يخفى تقدمهما على كل أحدٍ في الإحسان إليهما، ثم ثنَّى بذي القربى، لأنَّ صلة الأرحام مؤكدة.. ثم أتبع ذلك باليتامى، لأنَّهم لا قُدرة لهم على الاكتساب، وتأخرت درجة المساكين لأن المسكين يمكنه أن يتعهد نفسه، ويصلح معيشته مهما أمكن بخلاف اليتيم فإنه لصغره وضعفه يحتاج إلى من ينفعه (٣)

وأمَّا في جانب التحذير من الإساءة إلى اليتامى، فقد جاءت الآيات التي تُندِّد بمن كان مشتهراً بذلك الفعل الشنيع من المشركين، قال ﷻ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، فيخبر سبحانه عمَّا كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث، وأكل ماله إسرافاً وبداراً (٤)

وقال سبحانه: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الماعون: ١ – ٣]، ولا شكَّ أنَّ في هذه الآيات تحذير للمؤمنين من ارتكاب تلك المحاذير التي كان يتصف بها المشركون والمكذبون.

ثانياً: المحافظة على أموالهم: من عناية القرآن الكريم بشأن اليتامى، أنَّه حفظ لهم أموالهم، لتبقى لهم كاملةً وافرةً ينتفعون بها عند بلوغهم، وفي ذلك تفريج لما أصابهم من بلاء، ويمكن تلخيص وجوه حفظ القرآن الكريم لأموال اليتامى فيما يلي:

١- **رعايتها وهي في يد الولي:** وذلك من خلال الأمر بحفظها والنَّهي عن قربها أو أكل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم _ ٨٣٣/٥

(٢) رواه أحمد في مسنده _ ٤٣٩/٢ _ ح ٩٦٦٤، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي من أجل محمد بن عجلان ، وباقي رجاله ثقات

(٣) انظر: روح المعاني _ الألوسي _ ٣٠٨/١

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٥٢/٢٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيء منها: قال ﷻ:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[الإسراء: ٣٤]، ولا ريب أنَّ النهي عن مجرد قربها أبلغ من النهي عن أكلها؛ لأنَّ النَّهي عن قربها يشمل النَّهي عن المقدمات والوسائل الموصلة إلى أكل مال اليتيم، أو التعرض له بوجه من الوجوه [١]

ومن الآيات التي تأمر الوليَّ بحفظ مال اليتيم قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢]، حيث حذَّرت هذه الآية من نوع من تحايل أهل الجاهلية في أكل أموال اليتامى، وهو أنَّهم كانوا يضيفونها إلى أموالهم، فيخلطونها مع بعضها البعض، وكأنَّ الجميع صار مالاً لهم، ويتسلَّطون عليه من بعد ذلك بالأكل والانتفاع [٢]، وقد ذم المولى ﷻ هذا الفعل الشنيع بوصفه بأنه ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي: إثماً عظيماً [٣]

ولقد أكدت السُّنَّة النَّبويَّة خطورة التعدي على مال اليتم من غير حق، حيث بين النبيُّ ﷺ أنَّ ذلك من السَّبع المهلكات، فقال ﷺ: **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ... وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ...)** [٤]

وزيادة في التأكيد على الحفاظ على مال اليتيم، ورد الوعيد الشديد لمن أكل شيئاً من هذا المال ظلماً قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء: ١٠]، فهذا الوعيد من أعظم ما ورد في التحذير من الذُّنوب، وهو يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحه، وأنَّ ذلك موجب لدخول النار.[٥]

٢- **رعايتها عند دفعها إليهم:** فلم يكتفِ القرآن الكريم بحفظ مال اليتيم حال كونه في يد الولى؛ بل اهتم أيضاً بحفظه عند تسليمه لليتيم عند بلوغه سن الرُّشد، ويظهر هذا الاهتمام فيما يلي:

أ- الأمر بإيتائه كاملاً غير منقوص: قال تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾[النساء: ٢]، فالآية تأمر بإيتاء اليتيم ماله كاملاً غير منقوص، وذلك عند بلوغه سن الرُّشد، وتنهى الآية عن تبديل مال اليتامى الطيب بمال شبيه به ولكنه خبيث [٦]

---

(١) انظر: فتح القدير _ الشوكاني _ ١٧٧/٢، البحر المحيط _ أبو حيان _ ٢٥٢/٤

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن_الطبري_٧/ ٥٢٨، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _١٠/٥

(٣) انظر: معالم التنزيل _ البغوي _ ١٦٠/٢

(٤) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب بيان الكبائر وأكبرها _ ٦٤/١ _ح ٢٧٢

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن _ السعدي _ ص ١٦٥

(٦) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٤٣٥/١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- النهي عن دفع أموالهم لهم حتى يتحقق شرطا الدفع: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾[النساء: ٦]، وفي ذلك حفظ عظيم لمال اليتيم، فلا يسلم إليه إلا عند إيناس الرشد وظهور القدرة على التصرف في المال، أمَّا إن بلغ وبدا منه _ عند الاختبار _ التبذير أو العجز عن التصرف، فلا يدفع إليه المال حفاظاً عليه من الضياع [١]

وفي ذكر كلمة ﴿ءَانَسۡتُم﴾ إشارة لطيفة يفهم منها وجوب دفع المال لليتيم دون تراخ ولا مطل بمجرد حصول أول العلم برشدهم.[٢]

ج- الإشهاد عند الدفع: قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء: ٦]، وفي هذا الإشهاد رعاية لجانب اليتيم؛ وذلك أن الولي لا يتمكن من ادعاء دفع المال إلى اليتيم إلا عند حضور الشاهد، فصار ذلك مانعاً له من الظلم والبخس والنقصان [٣]

ثالثاً: الأمر بالإنفاق على المحتاجين منهم:

إذا لم يكن لليتيم مالٌ فهذا يزيد الأمر عليه شدَّة، لذلك اهتم القرآن الكريم بالإنفاق على اليتامى إن كانوا فقراء، تخفيفاً لكربهم، وتيسيراً لأمرهم، وقد ورد الأمر بالإنفاق عليهم في كثير من الآيات، وورد ذلك بأساليب متنوعة، من تلك الآيات التي بيَّنت أنَّ الأنفاق على اليتيم _ خاصة في وقت المجاعة _ من المُنجِّيات التي تُنجي المرء وتعينه على اقتحام العقبة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد: ١١ – ١٦]

ولقد مدح الله ﷻ المؤمنين الذين يحرصون على إطعام اليتامى ولو على حساب أنفسهم قال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]

وجعل سبحانه الإنفاق على اليتامى من علامات البرِّ التي يسعى المؤمن لتحصيلها، فقال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ١٤٥/٢

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٤٢/٤

(٣) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٤٩١/٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذه التشريعات والتوجيهات القرآنية، يلتمس المتأمل لكتاب الله ﷻ مدى عناية القرآن الكريم باليتيم، ومدى عظم ما في هذا الكتاب العزيز من الرِّعاية لهم، والحرص على تفريج كربهم، وحفظ حقوقهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخـــاتـــمـــة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، محمـــدٍ ﷺ وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنني أحمد الله ﷻ الذي بنعمته تتم الصالحات _ أن أعانني ووفقني ويسَّر لي إتمام هـــذا البحث، الذي كان بعنوان: " **المنهج القرآني في المواساة وتفريج الكربات _ دراسة موضوعية** "، حيث حاولت في هذا البحث أن أستخلص ما في كتاب الله ﷻ من وجوه المواســـاة، وجوانـــب تفريج الكربات، التي اشتمل عليها الكتاب العزيز، وبدأت بما في القرآن الكريم من مواساة للنَّبـــيِّ ﷺ، عمَّا كان يلقى من عناد قومه وتكذيبهم، وما احتمله من مشاقِّ الدعوة إلى الله ﷻ.

ثمَّ تناولت بعض ما ذكره الكتاب العزيز من مواساة لبعض الأنبياء وبعـــض الأوليـــاء، وتفريج الله ﷻ لكرباتهم؛ مستخلصاً من ذلك منهجيات القرآن الكريم في ذلك.

ثمَّ اجتهدت في استخلاص ما في الكتاب العزيز من أمور وتوجيهات ربَّانية من شأنها أن تواسي المبتلين من المؤمنين وتُفرِّج كرباتهم.

ومن خلال هذه الدراسة خرج الباحث بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

١- القرآن الكريم تضمن في آياته الكثير من أنواع المواساة العامة والخاصة.

٢- كثيرُ من آيات القرآن الكريم اشتملت على مواساة النبي ﷺ خاصة، وهذا يدلُّ علـــى عظـــم مكانته ﷺ عند ربِّه ﷻ، ويدلُّ كذلك على عظم ما تَحمَّله النَّبي ﷺ من مشاقِّ الدعوة إلى الله ﷻ.

٣- كثير من المواساة القرآنية للنبي ﷺ تصلح لكلِّ من سلك طريقه ﷺ في الـــدعوة والإصـــلاح والجهاد، وتحمَّل في سبل ذلك الأذى والنصب.

٤- تضمنت قصص الأنبياء الكثير من الأمور التي تنفع المؤمن لتفريج كربه.

٥- قصص الصالحين التي ذكرها الله ﷻ فيها أيضاً دروسٌ نافعة في موضوع المواساة وتفريج الكربات.

٦- بيان القرآن لحقيقة الحياة الدنيا، وأنَّها حياة قصيرة فانية، وأنَّها دار ابـــتلاء وعمـــل، لا دار جزاء وحساب... وغير ذلك من الحقائق التي بينها القرآن الكريم عن هذه الدنيا، في ذلـــك كلِّـــه مواساة عظيمة لكل من يصيبه البلاء وتضيق عليه الحياة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- رغَّب القرآن الكريم في الحياة الآخرة، حياة الخلود والنعيم المقيم، وربط قلوب المؤمنين بها، وشوقهم إليها، وهذا منهج قرآني عظيم في المواساة وتفريج الكربات.

٨- اهتمام القرآن الكريم بالحث على الصبر، وبيان منزلة الصابرين عند الله ﷻ، هو من منهجيات القرآن الكريم في المواساة والتصبير.

٩- بيَّن القرآن الكريم الكثير من مفرجات الكروب كالتوبة، والعمل الصالح، والتوكل على الله ﷻ، والقناعة والرضا بما قسم الله ﷻ.

١٠- الفقراء والمرضى واليتامى... وغيرهم من أصحاب الابتلاءات لهم _ زيادة على المواساة العامَّة _ مواساة خاصة بهم ومفرجات لكربهم.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي طلاب العلم الشرعي بدراسة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ لما في ذلك من كبير فائدة تعود على الفرد والمجتمع.

٢- أوصي الدُّعاة والمصلحين بالاهتمام بموضوع منهج القرآن في المواساة وتفريج الكربات؛ لحاجة الناس في عصرنا إلى تلك المواساة القرآنية العظيمة.

٣- أوصي من له صلة بالطبِّ النفسي بالاهتمام بما جاء في كتاب الله ﷻ من علاجات للهموم والأحزان ومفرِّجات للكروب.

٤- أوصي من كانت له معرفةٌ باللغات الأجنبية ببذل جهده في ترجمة الأبحاث التي تُظهر ما في القرآن الكريم من حلول وعلاجات لشتى مشكلات الحياة، خاصة المشكلات والأمراض النفسية، التي انتشرت بشكل واسع في جميع بلدان العالم؛ لما في ذلك من ترغيبٍ عظيمٍ لغير العرب في الدخول في الإسلام، والاهتداء بهدي القرآن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس

وتشتمل على:

١-فهرس الآيات القرآنية.

٢-فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤-فهرس المصادر والمراجع.

٥-فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهـــرس الآيـــات القرآنيـــة

(حسب ترتيب المصحف)

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة البقرة		
١	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾	٣٠-٣٩	٩٤
٢	﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾	٣٦	٩٦
٣	﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٩٦
٤	﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	١٠٥	١٣٢
٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٥٣	١٤٩، ١٦٥
٦	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ... ﴾	١٥٥	١٤٥،١٨٨
٧	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ ... ﴾	١٥٥-١٥٧	١٤٦،١٩١، ١٥٠
٨	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ.. ﴾	١٧٧	٨، ١٤٩، ١٩٦
٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ .. ﴾	١٨٣	١٦
١٠	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ.. ﴾	١٨٤	١٩١،١٨٤
١١	﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا ..﴾	١٨٥	١٩٠
١٢	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِۖ ﴾	١٨٦	١٦٢
١٣	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ ...﴾	٢١٤	١٦
١٤	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ..﴾	٢١٥	١٨٤
١٥	﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ..﴾	٢٥٢	٢٧
١٦	﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ...﴾	٢٦٣	١٨٧
١٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ.. ﴾	٢٦٤	١٨٦
١٨	﴿.. وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ . ﴾	٢٦٧	١٨٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩	﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ... ﴾	٢٧١	١٨٧
٢٠	﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ .. ﴾	٢٧٢	٤٩
	سورة آل عمران		
٢١	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾	١٤	١٣٩
٢٢	﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ ... ﴾	١٧	١٤٩
٢٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ .. ﴾	٣٣-٣٦	١٢٧
٢٤	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا ... ﴾	٣٧	١٢٤
٢٥	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ .. ﴾	٤٢،٤٣	١٢٥
٢٦	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ .. ﴾	٤٥،٤٦	١٢٥
٢٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ .. ﴾	٨١	٨٣
٢٨	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٢٢	١٦٩
٢٩	﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ .. ﴾	١٣٣	١٤٢
٣٠	﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ .. ﴾	١٣٤	١٦٣،٨
٣١	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا . ﴾	١٤٢	١٢٨
٣٢	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ . ﴾	١٤٤	٦٧
٣٣	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا ... ﴾	١٤٦	١٥٢
٣٤	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	١٦٤	٨٤
٣٥	﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ ﴾	١٧٦	٥٢
٣٦	﴿ ... وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ .. ﴾	١٨٥	١٥٩
٣٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... ﴾	٢٠٠	١٤٩
	سورة النساء		
٣٨	﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ .. ﴾	٢	١٩٥
٣٩	﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ... ﴾	٦	١٩٦
٤٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ .. ﴾	١٠	١٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤١	﴿..فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾	١٩	١٥١
٤٢	﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ...﴾	٣٢	١٧٣
٤٣	﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا..﴾	٣٦	١٨٢،٨
٤٤	﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ..﴾	٤٢،٤١	٣٧
٤٥	﴿...قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	١٤٢
٤٦	﴿..إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ..﴾	١٠٤	١٦،١٢٩
٤٧	﴿...وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾	١١٣	٨١
٤٨	﴿..وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ.. بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ..﴾	١٥٨،١٥٧	٥٥
٤٩	﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾	١٦٦	٢٧
	سورة المائدة		
٥٠	﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾	٢	٨
٥١	﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ..﴾	٦	١٩٠
٥٢	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا..﴾	١٥	٨٧
٥٣	﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ...﴾	٢١	١١٧
٥٤	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا..﴾	٢٢	١١٧
٥٥	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	٢٣	١٦٦،١١٧
٥٦	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ..﴾	٢٤	١١٧
٥٧	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ..﴾	٢٥	١١٧
٥٨	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ..﴾	٢٦	١٢٠
٥٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ..﴾	٦٧	١٣-٥٨
	سورة الأنعام		
٦٠	﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ ...﴾	١٠	٤٣
٦١	﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ..﴾	١٩	٢٧
٦٢	﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ...﴾	٣٢	١٣٩
٦٣	﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ..﴾	٣٤	١٦،٢٢،٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٤	﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴾	٥٢	١٨٦
٦٥	﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً .. ﴾	٦٤،٦٣	٥
٦٦	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ .. ﴾	٩٠	١٣٢،٢٤
٦٧	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ .. ﴾	١١٢	٤٢
٦٨	﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ .. ﴾	١٤١	١٨٥
	سورة الأعراف		
٦٩	﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ... ﴾	١٩	٩٥
٧٠	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾	٢١،٢٠	٩٥
٧١	﴿ ..وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل .. ﴾	٢٣،٢٢	٩٦
٧٢	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ .. ﴾	٥٩	٩٨
٧٣	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	٦٠	٤٤
٧٤	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ .. ﴾	٦٤	٥١
٧٥	﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٦٧	٢٩
٧٦	﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ ... ﴾	٨٠-٨٢	٥١،١٠١
٧٧	﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ... ﴾	١٤٤	١١٣
٧٨	﴿ ..وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	١٦٨	١٤٥
	سورة الأنفال		
٧٩	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ .. ﴾	٢	١٦٦
٨٠	﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾	١٢	٦١
٨١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ... ﴾	٢٤	٦٦
٨٢	﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ... ﴾	٣١	٣١
٨٣	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾	٣٣	٨٥
٨٤	﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٤١	١٨٣
٨٥	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾	٧٤	٨٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة التوبة			
٨٦	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ..﴾	٣٢	٣١
٨٧	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ ﴾	٣٨	١٤٣
٨٨	﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا ..﴾	٦٠	١٨٣
٨٩	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ ..﴾	٧٢	١٤٢
٩٠	﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ..﴾	٨٨،٨٩	٨٨
٩١	﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ..﴾	٩١	١٩١
٩٢	﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ.﴾	١٠٠	٨٩
سورة يُونس			
٩٣	﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾	٢٤	١٣٧
٩٤	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...﴾	٤٥	١٣٧
٩٥	﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ لَمَّا ..﴾	٥٨	٧٦
٩٦	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ عَذَابَ..﴾	٩٨	١١٢
سورة هود			
٩٧	﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا...﴾	٣	١٥٨،١٦٢
٩٨	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ..﴾	٧	١٤٠
٩٩	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ..﴾	١١	١٥٢
١٠٠	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ..﴾	١٦،١٥	١٤٤
١٠١	﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ...﴾	٣٢	٩٩
١٠٢	﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ..﴾	٣٦	٩٩
١٠٣	﴿..وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ..﴾	٣٨	٤٤
١٠٤	﴿..وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾	٤٠	٩٩
١٠٥	﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ ..﴾	٤٩	٢١
١٠٦	﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ ..﴾	٥٤	٦٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٧	﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا .. ﴾	٧٧-٧٩	١٠١
١٠٨	﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ .. ﴾	٨١	١٠٢
١٠٩	﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا .. ﴾	٨٢،٨٣	٥١
١١٠	﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ .. ﴾	١١٤،١١٥	٧٢
١١١	﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾	١٢٠- ١٢٢	٧٨،٢٠،١٧، ١٣
١١٢	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾	١٢٣	٧٧
	سورة يوسف		
١١٣	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ .. ﴾	٣	١٠٢
١١٤	﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ .. ﴾	١٥	١٠٤
١١٥	﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ... ﴾	١٨	١٠٣
١١٦	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ . ﴾	٢١	١٠٤،٥٤
١١٧	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٢٢	١٠٤
١١٨	﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾	٣٣	١٠٧
١١٩	﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ... ﴾	٣٩،٤٠	١٠٤
١٢٠	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ .. ﴾	٥٦،٥٧	١٠٥
١٢١	﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٨	١٠٥
١٢٢	﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ ﴾	٦٦	١٠٥
١٢٣	﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾	٨١،٨٢	١٠٥
١٢٤	﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾	٨٣،٨٤	١٠٥
١٢٥	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٨٦	١٠٥
١٢٦	﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾	٨٧	١٠٥
١٢٧	﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾	٨٨	١٠٥
١٢٨	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾	٨٩-٩٢	١٠٦
١٢٩	﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ... ﴾	٩٠	١٠٦،١٥٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣٠	﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾	٩٣	١٠٦
١٣١	﴿.وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾	١٠٠	١٠٦
	سورة الرعد		
١٣٢	﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٢٢-٢٤	١٥٢
١٣٣	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٢٨	١٦٢
١٣٤	﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾	٣٢	٤٣
١٣٥	﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾	٤٣	٢٧
	سورة إبراهيم		
١٣٦	﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾	٢-٣	١٤٣
١٣٧	﴿.إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٥	١٥٢
١٣٨	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾	٧	١٧٧
١٣٩	﴿.وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾	١٢	١٦٦
١٤٠	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٣٢،٣٤	١٧٦
١٤١	﴿.وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ..﴾	٣٤	١٧٥
	سورة الحجر		
١٤٢	﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦-٩	٤٤
١٤٣	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	١٠-١٣	٤٤
١٤٤	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾	٨٧	٧٦،١٧٣
١٤٥	﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾	٨٨	١٨٩
١٤٦	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾	٩٧-٩٩	٧٤،٧٩
	سورة النحل		
١٤٧	﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾	٢	١٧٥
١٤٨	﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ...﴾	٣-٨	١٧٥
١٤٩	﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٦	٣٠
١٥٠	﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٨	١٧٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٥١	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾	٣٠	١٤٠،١٥٩
١٥٢	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾	٥٣	١٧٦
١٥٣	﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ﴾	٦٥-٦٩	١٧٦
١٥٤	﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ...﴾	٦٩	١٩١
١٥٥	﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ﴾	٧١	١٧١
١٥٦	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٧٢	١٧٦
١٥٧	﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾	٧٨	١٧٦
١٥٨	﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾	٨٠،٨١	١٧٦
١٥٩	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	٨٩	٣١
١٦٠	﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾	٩٦	١٥٠
١٦١	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	٩٧	١٥٨
١٦٢	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾	١٠٣	٣٢
١٦٣	﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٢٧،١٢٨	١٣،٦١
سورة الإسراء			
١٦٤	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾	١	٨٥
١٦٥	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ... ﴾	١٨،١٩	١٤٤
١٦٦	﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾	٢٦	٨
١٦٧	﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾	٢٨	١٨٥
١٦٨	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾	٣٠	١٧٢
١٦٩	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ﴾	٣٤	١٩٥
١٧٠	﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	٧٩	٩٠
١٧١	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾	٨٢	أ،٦،١٣٦
سورة الكهف			
١٧٢	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	١٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧٣	﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾	١٠	١٢١
١٧٤	﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾	١١	١٢١
١٧٥	﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾	١٣–١٥	١٢٠
١٧٦	﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾	١٧،١٨	١٢١
١٧٧	﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾	٢٨	٧٨
١٧٨	﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	٢٩	٤٩
١٧٩	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٤٥	١٣٧
	سورة مريم		
١٨٠	﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾	١٦–٢١	١٢٥
١٨١	﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾	٢٢	١٢٥
١٨٢	﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾	٢٣	١٢٥
١٨٣	﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾	٢٤–٢٦	١٢٦
١٨٤	﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾	٢٧–٣٣	١٢٧
١٨٥	﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾	٥١	١١٣
١٨٦	﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾	٥٢	١١٣
١٨٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾	٩٦	١٦١
	سورة طه		
١٨٨	﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾	٩	١٨،١٩
١٨٩	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ﴾	١١–٢٤	١١٦
١٩٠	﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾	٢٥	٨٤
١٩١	﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾	٣٩	٦٥
١٩٢	﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ﴾	٤٠	١١٥
١٩٣	﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾	٤٥،٤٦	١١٦،٦١
١٩٤	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾	٧١	١٤١
١٩٥	﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾	٧٢–٧٦	١٤٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩٦	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾	١١٦	٩٤
١٩٧	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ ... ﴾	١٢٠	٩٥
١٩٨	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾	١٢١	٩٥
١٩٩	﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾	١٣١	١٧٣،٧٣
٢٠٠	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾	١٣٢	٧٤
	سورة الأنبياء		
٢٠١	﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ... ﴾	٥	٣٢
٢٠٢	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾	٣٤	١٦
٢٠٣	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	٣٥	١٤٠،١٤٥
٢٠٤	﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ ﴾	٧٤،٧٥	١٠٢
٢٠٥	﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ... ﴾	٧٦	٥
٢٠٦	﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	٨٣-٨٤	١٠٧
٢٠٧	﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٨٥-٨٦	٢٣
٢٠٨	﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	٨٧،٨٨	١١٦،١٧٠
٢٠٩	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٨٥
	سورة الحج		
٢١٠	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ... ﴾	١١	١٤٦
٢١١	﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾	٢٨	١٨٤
٢١٢	﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾	٣٦	١٨٦
	سورة المؤمنون		
٢١٣	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾	٤	١٨٢
٢١٤	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ... ﴾	٢٣	٩٧١٠١
	سورة النور		
٢١٥	﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾	٦٣	٦٦
	سورة الفرقان		
٢١٦	﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾	٥	٣١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١٧	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾	٢٧	٣٧
	سورة الشعراء		
٢١٨	﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾	٦١-٦٦	١١٦
٢١٩	﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ... ﴾	٩٠-١٠١	٣٦
٢٢٠	﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾	١١٦	١٠٢
٢٢١	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٦٠-١٦٨	١٠١
٢٢٢	﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١٨٧	٤٤
	سورة النمل		
٢٢٣	﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾	٤٨-٥١	٥٥
٢٢٥	﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾	٩١،٩٢	٧٦
	سورة القصص		
٢٢٦	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ... ﴾	٤	١٢٢
٢٢٧	﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	٧	١٢٣
٢٢٨	﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا... ﴾	٨،٩	١٢٣
٢٢٩	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ... ﴾	١٠	١٢٣
٢٣٠	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	١١-١٣	١٢٣
٢٣١	﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾	١٥-١٧	١١٤
٢٣٢	﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾	١٨	١١٥
٢٣٣	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ ﴾	٢٠،٢١	١١٥
٢٣٤	﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾	٢٤	١١٥
٢٣٥	﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ... ﴾	٢٥	١١٥
٢٣٦	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾	٢٩،٣٠	١١٥
	سورة العنكبوت		
٢٣٧	﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	١-٣	١٤٥
٢٣٨	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	١٤	٥١،١٠١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٣٩	﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ﴾	٣٣،٣٤	١٠٢
٢٤٠	﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾	٤٠	٤١،٥٠
٢٤١	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾	٥٨،٥٩	١٠٢،١٦٧
٢٤٢	﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ... ﴾	٦٤	١٤٢
٢٤٣	﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	١٢١
	سورة الروم		
٢٤٤	﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ... ﴾	٤١	١٤٨
٢٤٥	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ... ۚ ﴾	٥٥	١٣٧
	سورة لقمان		
٢٤٦	﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا ﴾	٢٣،٢٤	٤٨
٢٤٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم ﴾	٣١	١٥٢
	سورة السجدة		
٢٤٨	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ ﴾	٢٤	١٥٢
	سورة الأحزاب		
٢٤٩	﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾	٦	٨٤
٢٥٠	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ... ﴾	٤٠	٨٤
٢٥١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ ﴾	٤٥،٤٦	٨٧
٢٥٢	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾	٥٦	٦٤
٢٥٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ... ﴾	٥٧	٦٢
	سورة سبأ		
٢٥٤	﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	١٩	١٥٢
٢٥٥	﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	٣٥،٣٦	١٧٢
	سورة فاطر		
٢٥٦	﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾	٤	٤٢
٢٥٧	﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ ﴾	٨	٦،١٣،٤٩
	سورة يس		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٥٨	﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١-٤	٢٦،٢٧
٢٥٩	﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	٣٠	٤٥
٢٦٠	﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾	٧٤-٧٦	٤٩
	سورة الصافات		
٢٦١	﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾	٧٥-٧٦	٩٩،٥
٢٦٢	﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾	٧٧	٩٧
٢٦٣	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا ...﴾	١١٤،١١٥	٥،١٧
٢٦٤	﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ...﴾	١٣٩-١٤٢	١١١
٢٦٥	﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	١٤٣-١٤٤	١١١
٢٦٦	﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾	١٤٥،١٤٦	١١٢
٢٦٧	﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ ...﴾	١٤٧،١٤٨	١١٥
	سورة ص		
٢٦٨	﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾	١-٢	٣٧
٢٦٩	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ ...﴾	١٢-١٥	٤١
٢٧٠	﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ...﴾	١٧-٢٠	١٨،٢٢
٢٧١	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾	٣٤-٤٠	١٨
٢٧٢	﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	٤١-٤٤	١١٠،١٠٧،١٨
٢٧٣	﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾	٤٥-٤٧	١٨
٢٧٤	﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾	٤٨	١٨
	سورة الزمر		
٢٧٥	﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١-٢	٧٧
٢٧٦	﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ﴾	١٠	١٥٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٧٧	﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ... ﴾	٣٦	٦٠
	سورة غافر		
٢٧٨	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	٣٨-٤٠	١٤٣
٢٧٩	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٥١	٥٦،١٣٣
٢٨٠	﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾	٥٥	١٥٣،٧٣
٢٨١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ... ﴾	٦٩-٧٧	٥٢
	سورة فصلت		
٢٨٢	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾	١٣	١٣
٢٨٣	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾	٢٦	٣٢،٣٥
٢٨٤	﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	٣٥	١٥١
٢٨٥	﴿ ... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾	٤٤	٦،أ
	سورة الشورى		
٢٨٦	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ ﴾	٢٠	١٤٣
٢٨٧	﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	١٥٥
٢٨٨	﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	٤٣	١٥١
٢٨٩	﴿ ... وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٢	٨٦
	سورة الزخرف		
٢٩٠	﴿ حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾	١-٤	٢٦،٣٢
٢٩١	﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ ... ﴾	٦-٨	٤٤
٢٩٢	﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾	٣٢	١٧٢
٢٩٣	﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ ... ﴾	٣٣-٣٥	١٤٣
٢٩٤	﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾	٥٢	٤٤
	سورة الدخان		
٢٩٥	﴿ حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	١-٣	٣٢،٢٦
	سورة الأحقاف		
٢٩٦	﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾	٣٥	١٦،٢٣،١٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة محمد			
٢٩٧	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	١٥٣
سورة الفتح			
٢٩٨	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ...﴾	١-٣	٨١
٢٩٩	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ..﴾	١٨	٨٩
٣٠٠	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	٢٣	٥٢
٣٠١	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾	٢٩	٨٧،٢٧
سورة الحجرات			
٣٠٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾	١-٥	٦٦
٣٠٣	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾	١٠	١٩٢
٣٠٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا﴾	١١	١٨٩
سورة ق			
٣٠٥	﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ﴾	٣٩	٧٢
سورة الذاريات			
٣٠٦	﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	٥٢-٥٥	٤٥
سورة الطور			
٣٠٧	﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ..﴾	٤٨-٤٩	٧٢،٦٥،١٣
سورة النجم			
٣٠٨	﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾	١-٥	٢٦،٢٩
سورة القمر			
٣٠٩	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾	٩	١٦
٣١٠	﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾	١٠	٩٩
٣١١	﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾	٢٠	٥٠
٣١٢	﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	٤٥	١٣
سورة الرحمن			
٣١٣	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	٢٦-٢٧	١٣٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة الواقعة			
٣١٤	﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ... ﴾	٧٥-٨٠	٢٦،٣٣
سورة الحديد			
٣١٥	﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم ﴾	١٢	١٤٢
٣١٦	﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ ﴾	٢٠	١٣٩
٣١٧	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٢١	١٤٢
سورة المجادلة			
٣١٨	﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾	٢١	٥٦
٣١٩	﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ ﴾	٢٢	٨٩
سورة الحشر			
٣٢٠	﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾	٧	١٨٣
٣٢١	﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾	٨	٨٨
٣٢٢	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٩	٨٨،٨
سورة المنافقون			
٣٢٣	﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾	١	٢٧
سورة الطلاق			
٣٢٤	﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا... ﴾	٢-٣	١٢٧،١٦٠
٣٢٥	﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾	٤	١٦٠
سورة التحريم			
٣٢٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾	١	٦٥
٣٢٧	﴿...وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ ... ﴾	٤	٦٣
٣٢٨	﴿...يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ... ﴾	٨	٨٩،١٥٨
٣٢٩	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ﴾	١١-١٢	١٢٧
سورة الملك			
٣٣٠	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾	٢	١٤٠
سورة القلم			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٣١	﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۞ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾	١-٤	٢٦،٣٠،٨٦
٣٣٢	﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ ﴾	٥١	٣٠
	سورة الحاقة		
٣٣٣	﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾	٣٨-٤١	٢٦،٣٣
	سورة نوح		
٣٣٤	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ ... ﴾	١-٩	٩٨،٥١،١٩
٣٣٥	﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا ﴾	٢١-٢٣	٩٨
٣٣٦	﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾	٢٦-٢٧	٥١
	سورة المزمل		
٣٣٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۞ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ ... ﴾	١-١٠	٦٩،٧٤
٣٣٨	﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾	١١-١٣	٥٣،١٣
	سورة المدثر		
٣٣٩	﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴾	١٨-٢٤	٣٢
	سورة الإنسان		
٣٤٠	﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ ... ﴾	٢	١٤٥
٣٤١	﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾	٨	١٩٦
٣٤٢	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾	٢٣-٢٦	٧٣
	سورة النازعات		
٣٤٣	﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾	٣٧-٣٩	١٤٣
٣٤٤	﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾	٤٦	١٤٠
	سورة عبس		
٣٤٥	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۞ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ... ﴾	١-١٠	١٨٦
	سورة التكوير		
٣٤٦	﴿ ... وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ .. ﴾	١٦-٢١	٢٦،٣٤
٣٤٧	﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾	٢٢	٣١
	سورة الغاشية		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٤٨	﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾	٢١-٢٢	٤٩
	سورة الفجر		
٣٤٩	﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾	١٧	١٩٤،٩
٣٥٠	﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾	١٨	٧
	سورة البلد		
٣٥١	﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾	١١-١٦	١٩٦،٧
٣٥٢	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾	١٧	١٥٥
	سورة الليل		
٣٥٣	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾	١٢	٤٩
	سورة الضحى		
٣٥٤	﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾	١-١١	٨٥
٣٥٥	﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾	١٠	١٨٨
	سورة الشرح		
٣٥٦	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾	١-٤	٨٢
٣٥٧	﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٥-٦	١٠٦،١٣٢
	سورة العصر		
٣٥٨	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ... ﴾	٣	١٥٥
	سورة الماعون		
٣٥٩	﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾	١-٣	١٩٤
	سورة النصر		
٣٦٠	﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ ﴾	١-٣	٧٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١	(أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس...)	الطبراني	حسن	١١
٢	(أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثمَّ الأمثل...)	أحمد	صحيح	١٠٣
٣	(أطعموا الجائع وعودوا المريض...)	البخاري	صحيح	١٩٢
٤	(ألا أعلمك كلمات تقولهنَّ عند الكرب...)	أبو داود	صحيح	١٩٦
٥	(أم القرآن هي السبع المثاني)	البخاري	صحيح	٧٦
٦	(أنا أكثر الأنبياء تبعاً...)	مسلم	صحيح	٩١
٧	(أنا سيد ولد آدم...)	مسلم	صحيح	٩١
٨	(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)	البخاري	صحيح	١٩٣
٩	(آتي باب الجنَّة يوم القيامة...)	مسلم	صحيح	٩١
١٠	(إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة...)	الترمذي	حسن	١٤٧
١١	(...إذاً تكفى همَّك ويغفر لك ذنبك)	الترمذي	حسن	١٦٤
١٢	(إذا صلى أحدكم للناس فليخفف...)	البخاري	صحيح	١٩٠
١٣	(إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه...)	مسلم	صحيح	١٧٨
١٤	(إنَّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو...)	مسلم	صحيح	١٠
١٥	(إنَّ العبد إذا سبقت له من الله منزلة...)	أبو دود	صحيح	١٤٨
١٦	(إنَّ الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها...)	مسلم	صحيح	١٥٩
١٧	(إنَّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل...)	مسلم	صحيح	١٦١
١٨	(إنَّ الله ﷻ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه...)	البخاري	صحيح	١٨٩
١٩	(إنَّ الله قال:من عادى لي ولياً آذنته بالحرب..)	البخاري	صحيح	١٦٦
٢٠	(إنَّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني...)	مسلم	صحيح	١٩٢
٢١	(إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها...)	البخاري	صحيح	٩٠
٢٢	(إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى...)	البخاري	صحيح	١٥١
٢٣	(إنَّه لم يأتِ أحد بمثل ما جئت به إلا عودي)	البخاري	صحيح	٤٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤	(اجتنبوا السبع الموبقات...)	مسلم	صحيح	١٩٧
٢٥	(استكثروا من ذكر هادم اللذات)	الطبراني	حسن	١٦٥
٢٦	(الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن...)	أبو داود	ضعيف	٧٩
٢٧	(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)	مسلم	صحيح	١٤١
٢٨	(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة...)	مسلم	صحيح	٧٢
٢٩	(اللهم إنِّي أحرِّج حق الضعيفين...)	أحمد	إسناده قوي	١٩٤
٣٠	(اللهم إنِّي أعوذ بك من الهم والحزن...)	البخاري	صحيح	١٦٢
٣١	(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري..)	مسلم	صحيح	١٧١
٣٢	(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله...)	مسلم	صحيح	١٧٤
٣٣	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضهم بعضاً)	مسلم	صحيح	٧
٣٤	(انظروا إلى من هو أسفل منكم...)	مسلم	صحيح	١٧٨
٣٥	(بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر...)	البخاري	صحيح	٩١
٣٦	(بينما أيوب عليه السلام يغتسل عرياناً...)	البخاري	صحيح	١١٠
٣٧	(تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة...)	الحاكم	صحيح	١٦٠
٣٨	(حُفَّت الجنَّة بالمكاره...)	مسلم	صحيح	١٥٢
٣٩	(حق المسلم على المسلم خمس...)	البخاري	صحيح	١٩٢
٤٠	(حق المسلم على المسلم ست...)	مسلم	صحيح	١٠
٤١	(دعوة المكروب: اللهم رحمتك أرجو...)	أبو داود	حسن	١٧٠
٤٢	(دعوة ذي النون وهو في بطن الحوت...)	أحمد	إسناده حسن	١٧٠
٤٣	(موضع سوط أحدكم في الجنَّة خير من الدنيا..)	البخاري	صحيح	١٤٦
٤٤	(رحم الله أخي موسى...)	البخاري	صحيح	١٧
٤٥	(صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً...)	البخاري	صحيح	١٩٠
٤٦	(غفر الله لك يا أبا بكر، أولست تمرض...)	أحمد	صحيح بطرقه	١٥٦
٤٧	(عليكم بالجهاد فإنَّه باب من أبواب الجنة...)	أحمد	حسن	١٦٥
٤٨	(قاربوا وسددوا ففي كلَّ ما يصاب بـه المسلم	مسلم	صحيح	١٥٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	كفارة)			
٤٩	(قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً...)	مسلم	صحيح	١٣٨-١٧٤
٥٠	(كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى)	أبو داود	حسن	١٦٢
٥١	(كان ﷺ خلقه القرآن)	أحمد	صحيح	٨٦
٥٢	(كان رجلٌ نصرانياً...)	البخاري	صحيح	٦٢
٥٣	(كان رسول الله ﷺ آخر أمره لا يقوم ولا يقعد إلا قال سبحان الله وبحمده...)	أحمد	صحيح	٧٤
٥٤	(لا إله إلا الله العظيم الحليم...)	البخاري	صحيح	١٦٣
٥٥	(...لا بل شربت عسلاً...)	البخاري	صحيح	٦٣
٥٦	(لا تسبي الحمى...)	مسلم	صحيح	١٤٧
٥٧	(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه...)	البخاري	صحيح	٧
٥٨	(لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة...)	الترمذي	صحيح	١٤٧
٥٩	(لا يصيب ابن آدم خدش عود...)	البيهقي	ضعيف	١٥٥
٦٠	(لا يفرك مؤمن مؤمنه...)	مسلم	صحيح	١٧٩
٦١	(لم يدعُ به مسلم ربَّه في شيء إلا...)	أحمد	حسن	١١٣
٦٢	(لن يغلب عسر يسرين)	الحاكم	ضعيف	١٦٨
٦٣	(لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله...)	أحمد	إسناده قوي	١٦٧
٦٤	(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة...)	الترمذي	صحيح	١١٨،١٤٣
٦٥	(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم...)	مسلم	صحيح	١٣٨
٦٦	(ما على أحدكم إذا لجى به همه أن يتقلد قوسه...)	الطبراني (الصغير)	ضعيف جداً	١٦٥
٦٧	(مالي وللدنيا، إنَّما مثلي ومثل الدنيا...)	أحمد	صحيح	١٣٨
٦٨	(ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة...)	مسلم	صحيح	١٤٧
٦٩	(ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون...)	مسلم	صحيح	١٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٠	(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب...)	البخاري	صحيح	١٤٧-١٥٦
٧١	(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم...)	مسلم	صحيح	١٨٨-١٩٢
٧٢	(من أصبح منكم آمناً في سربه...)	الترمذي	حسن	١٧٤
٧٣	(من استطاع منكم أن تكون له خبيئة...)	مسند الشهاب	صحيح	١١٣
٧٤	(من كان معه فضل ظهر فليعد به على...)	مسلم	صحيح	١٠
٧٥	(من نفّسعن مؤمن كربة من كرب الدنيا...)	مسلم	صحيح	٩
٧٦	(هكذا تجدون حدَّ الزنا في كتابكم؟...)	مسلم	صحيح	٥٣
٧٧	(هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون...)	البخاري	صحيح	١٦٧
٧٨	(...واعلم أنَّ النصر مع الصَّبر...)	أحمد	صحيح	١٦٩
٧٩	(...ومن يتصبَّر يصبره الله)	البخاري	صحيح	١٥٣
٨٠	(يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)	الترمذي	صحيح	٥٩
٨١	(يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث...)	الترمذي	حسن	١٦٩
٨٢	(يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار...)	مسلم	صحيح	١٤٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اسم العَلَم	رقم الصفحة
١	جزء بن الحارث	٢
٢	تماضر بنت عمرو (الخنساء)	١٦
٣	الحارث بن أسد المحاسبي	٨٢
٤	أبو الفرج بن الجوزي	١٤١
٥	شمس الدين المنبجي	١٤١
٦	أبو علي التنوخي	١٤٥
٧	الفضل بن سهل	١٤٥
٨	أبو طالب المكي	١٥٢
٩	ثابت بن قرَّة	١٥٧
١٠	عبد الله بن المبارك	١٥٧
١١	ابن أبي الدنيا	١٦٥
١٢	ابن جزي	١٦٨
١٣	أسماء بنت عُميس	١٦٩
١٤	ابن العربي	١٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن _ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) _ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم _ الهيئة المصرية العامة للكتاب _ الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢. إتقان البرهان في علوم القرآن _ فضل حسن عباس _ دار الفرقان _ الأردن _ الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٣. أحكام القرآن _ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣) _ تحقيق: محمد عبد القادر عطا _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٤. إحياء علوم الدين _ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) _ دار المعرفة – بيروت.

٥. أدب الدنيا والدين _ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ) _دار مكتبة الحياة _ ١٩٨٦م.

٦. الأدب المفرد _ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) _ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي _ دار البشائر الإسلامية _ بيروت _ الطبعة: الثالثة: ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم _ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) _ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير _ الدكتورمحمد بن محمد أبو شهبة _ مكتبة السنة _ الطبعة الرابعة.

٩. الإصابة في تمييز الصحابة _ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) _ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ.

١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) _ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت _ لبنان _ ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)- تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
١٢. الأعلام- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) _ دار العلم للملايين- الطبعة: الخامسة عشر: أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١٣. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية _ تحقيق: محمد حامد الفقي _ دار المعرفة – بيروت _ الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ.
١٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) _ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ الطبعة: الأولى:١٤١٨ هـ.
١٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري _ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الخامسة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٦. بحر العلوم _ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي _ تحقيق: د. محمود مطرجي _ الناشر: دار الفكر _ بيروت.
١٧. البحر المديد _ أبو القاسم أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي الشاذلي _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٨. البحر المحيط في التفسير _ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) _ تحقيق: صدقي محمد جميل _ دار الفكر _ بيروت- الطبعة: ١٤٢٠هـ.
١٩. بداية المجتهد و نهاية المقتصد _ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) _ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر _ الطبعة الرابعة: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس _ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) _ تحقيق: مجموعة من المحققين _ دار الهداية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١. التبيان في أقسام القرآن _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية _ دار الفكر.
٢٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد _ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) _ الدار التونسية للنشر _ تونس _ ١٩٨٤ هـ.
٢٣. تحفة النبلاء من قصص الأنبياء _ الحافظ ابن حجر العسقلاني _ تحقيق غنيم بن عباس بن غنيم _ الناشر: مكتبة الصحابة _ الإمارات _ الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٢٤. تسلية أهل المصائب _ شمس الدين محمد بن محمد المنبجي (ت: ٧٨٥هـ) _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
٢٥. التسهيل لعلوم التنزيل _ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) _ تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي _ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم _ بيروت _ الطبعة: الأولى: ١٤١٦هـ.
٢٦. التعريفات _ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) _ تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر _ دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان _ الطبعة: الأولى: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) _ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) _ الهيئة المصرية العامة للكتاب _ ١٩٩٠ م.
٢٨. تفسير القرآن العظيم _ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) _ تحقيق: سامي بن محمد سلامة _ دار طيبة للنشر والتوزيع _ الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.
٢٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي _ دار الفكر المعاصر– دمشق– الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ.
٣٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم _ محمد سيد طنطاوي _ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع _ القاهرة _ الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
٣١. تفسير البغوي (معالم التنزيل) _ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) _ تحقيق: عبد الرزاق المهدي _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٢. تفسير الشعراوي _ محمد متولي الشعراوي _ مطابع أخبار اليوم _ ليس على الكتاب المطبوع أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م.
٣٣. التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء _ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف _ الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٣٤. تهذيب اللغة _ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠) _ تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون _ الناشر: الدار المصرية _ مصر الجديدة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
٣٥. تهذيب الأخلاق _ ابن مسكويه _ موقع الوراق _ http://www.alwarraq.com
٣٦. التوقيف على مهمات التعاريف _ محمد عبد الرؤوف _ تحقيق: محمد رضوان الداية _ دار الفكر بيروت _ الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ
٣٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) _ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق _ مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.
٣٨. تيسير المنان في قصص القرآن _ أحمد فريد _ دار ابن الجوزي _ الطبعة الأولى _ ١٤٢٩هـ.
٣٩. ثلاثون سبباً للسعادة _ عائض بن عبد الله القرني.
٤٠. جامع البيان في تأويل القرآن _ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) _ تحقيق: أحمد محمد شاكر _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة: الأولى: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
٤١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) _ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) _ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش _ دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤ م.
٤٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية ٠الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٣. الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسُنة _ د. عبد الله الخاطر _ الناشر: المنتدى الإسلامي _ ١٤١٢هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون _ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) _ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط _ دار القلم، دمشق.
٤٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور _ عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي _ دار الفكر – بيروت: ١٩٩٣م
٤٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) _ تحقيق: علي عبد الباري عطية _ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٤٧. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام _ **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي** (ت: ٥٨١هـ) _ تحقيق: عمر عبد السلام السلامي _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) _ مؤسسة الرسالة، بيروت _ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت_ الطبعة السابعة والعشرون: ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٤٩. زاد المسير في علم التفسير _ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي _ المكتب الإسلامي _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ.
٥٠. سبل السلام _ محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (ت: ١١٨٢) _ مكتبة مصطفى البابي الحلبي _ الطبعة الرابعة: ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م
٥١. السراج المنير _ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني _ دار الكتب العلمية _ بيرت.
٥٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها _ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني _ الناشر _ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
٥٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة _ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.
٥٤. سلسلة التفسير لمصطفى العدوي _ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي المصري _ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٥. سنن ابن ماجه _ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) _ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية _ فيصل عيسى البابي الحلبي.
٥٦. سنن أبي داود _ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) _ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٥٧. سنن الترمذي _ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) _ تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض _ الناشر:شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي _ مصر- الطبعة:الثانية: ١٣٩هـ / ١٩٧٥ م.
٥٨. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية _ د. عبد الكريم زيدان _ مؤسسة الرسالة،
٥٩. سير أعلام النبلاء _ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) _ تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٦٠. شرح رياض الصالحين _ محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١) _ **موقع جامع الحديث النبوي** _ http://www.sonnhonline.com
٦١. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه _محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي _ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر _ دار طوق النجاة –الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.
٦٢. صحيح سنن الترمذي _ محمد ناصر الدين الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٦٣. صحيح سنن أبي دود _ محمد ناصر الدين الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٦٤. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) _ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) _ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي _ دار إحياء التراث العربي– بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٥. صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) _ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) _ دار النشر:دار إحياء التراث العربي، بيروت _ الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.
٦٦. العُجاب في بيان الأسباب _ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني _ تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس _ دار ابن الجوزي _ الدمام _ الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.
٦٧. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين _ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزيه _ تحقيق: زكريا علي يوسف _ دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية- الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة- الطبعة: الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
٦٩. فتح القدير- المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) _ دار ابن كثير _ دمشق _ الطبعة الأولى:١٤١٤ هـ.
٧٠. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية _ سليمان الجمل _ المطبعة العامرة الشرقية _ مصر _ الطبعة الأولى: ١٣٠٣هـ.
٧١. فتح المنعم شرح صحيح مسلم _ موسى شاهين لاشين _ دار الشروق _ الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٧٢. الفرج بعد الشدَّة _ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) _ خرجه وعلق عليه: أبو حذيفة عبيد الله بن علية _ دار الريان للتراث _ مصر _ الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٧٣. الفروسية _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية _ تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان _ دار الأندلس _ السعودية _ حائل _ الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.
٧٤. فقه الأدعية والأذكار _ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر _ الكويت _ الطبعة: الثانية: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٥. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّته الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها _ أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ _ دار الفكر _ سوريَّة _ دمشق _ الطَّبعة الرَّابعة.
٧٦. الفوائد _ أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي _ الناشر: دار الكتب العلمية_ بيروت _ الطبعة الثانية: ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
٧٧. القاموس المحيط _ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
٧٨. في ظلال القرآن- المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) _ دار الشروق - بيروت- القاهرة- الطبعة: السابعة عشر: ١٤١٢هـ.
٧٩. قصص الأنبياء- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)- تحقيق: مصطفى عبد الواحد- الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة- الطبعة الأولى: ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
٨٠. القواعد الحسان لتفسير القرآن _ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) _ مكتبة الرشد، الرياض _ الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
٨١. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد _ محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي _ تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي _ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م
٨٢. كتاب العين- المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق:: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي _ دار ومكتبة الهلال.
٨٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) _ دار الكتاب العربي _ بيروت_ الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ.
٨٤. لباب التأويل في معاني التنزيل- المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) _ تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٥. اللباب في علوم الكتاب _ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) _ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض _ دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان.
٨٦. لسان العرب _ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) _ دار صادر _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤١٤ هـ.
٨٧. لطائف الإشارات (تفسير القشيري) _ عبد الكريم بن هارون بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) _ تحقيق: إبراهيم البسيوني _ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر _ الطبعة الثالثة.
٨٨. مباحث في علوم القرآن _ مناع القطان _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الطبعة الثالثة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٨٩. محاسن التأويل- المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) _ محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت- الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ.
٩٠. المحكم والمحيط الأعظم- المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) _ تحقيق: عبد الحميد هنداوي _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
٩١. مختار الصحاح- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) _ تحقيق: يوسف الشيخ محمد _ المكتبة العصرية _ الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٩٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) _ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي _ دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.
٩٣. مدارك التنزيل (تفسير النسفى) _ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي _ تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار _ دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥م.
٩٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦ هـ) _ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت _ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل- المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) _ تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة: الأولى: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
٩٦. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) _ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا _ دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٩٧. مصابيح الضياء من قصص الأنبياء _ عبد الرحمن بن ناصر السعدي _ الناشر: عيسى القرعاني _ الرياض _ ١٤٢٨هـ.
٩٨. المعجم الأوسط _ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت: ٣٦٠) _ المحقق: طارق بن عوض الله الحسيني _ الناشر: دار الحرمين _ القاهرة: ١٤١٥هـ.
٩٩. المعجم الوسيط _ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار _ المحقق: مجمع اللغة العربية _ الناشر دار الدَّعوة.
١٠٠. المحكم والمحيط الأعظم _ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨) _ تحقيق: عبد الحميد هنداوي _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت: ٢٠٠٠م.
١٠١. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) _ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت_ الطبعة: الثالثة: ١٤٢٠هـ.
١٠٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة _ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) _ دار الكتب العلمية _ بيروت.
١٠٣. مناهل العرفان في علوم القرآن _ محمد عبد العظيم الزرقاني _ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي _ الطبعة الثانية.
١٠٤. منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع _ د. عماد زهير حافظ _ مكتبة المحتسب _ الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.
١٠٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) _ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٦. النهاية في غريب الحديث والأثر _ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) _ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي _ المكتبة العلمية _ بيروت: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
١٠٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) _ تحقيق: صفوان عدنان داوودي _ دار القلم، الدار الشامية_ دمشق، بيروت _ الطبعة الأولى: ١٤١٥ ه.
١٠٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان _ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان _ المحقق: إحسان عباس _ دار صادر _ بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الافتتاحية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	د
التمهـــيد	١
أولاً: تعريف المواساة وتفريج الكربات لغة واصطلاحاً	٢
ثانياً: الفرق بين المواساة، وتفريج الكُرب	٥
ثالثاً: المواساة وتفريج الكُرب في السياق القرآني	٥
رابعاً: مكانة المواساة وتفريج الكربات في الإسلام	٧
الفصل الأول **منهج القرآن في مواساة النبي ﷺ**	١٢
المبحث الأول: مواساة النبي ﷺ بذكر من سبقه من الرسل والأنبياء	١٥
المطلب الأول: مواساته ﷺ بذكر قصص الأنبياء السابقين وابتلاءاتهم.	١٧
المطلب الثاني: أمره بالصبر تأسيا بمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام	٢٠
المبحث الثاني: مواساة النبي ﷺ بالقسم على صدقه وصدق ما جاء به	٢٥
المطلب الأول: مواساته بالقسم على صدقه.	٢٧
المطلب الثاني: مواساته بالقسم على صدق ما جاء به	٣١
المطلب الثالث: مواساته بالقسم على ضلال وخسران مكذبيه	٣٥
المبحث الثالث: مواساته ﷺ ببيان عادة المكذبين في التعامل مع رسلهم	٣٩
المطلب الأول: بيان تكذيب المكذبين لرسلهم	٤٠
المطلب الثاني: بيان استهزاء المكذبين برسلهم	٤٣
المبحث الرابع: مواساته ﷺ ببيان سنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين ونصرة المرسلين	٤٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: ذكر إحاطة علم الله بالمكذبين.	٤٨
المطلب الثاني: بيان سُنة الله ﷻ في إهلاك المكذبين	٥٠
المطلب الثالث: بيان سُنة الله ﷻ في نصرة المرسلين	٥٤
المبحث الخامس: مواساته ﷺ ببيان معية الله له	٥٧
المطلب الأول: بيان حفظ الله لنبيه ﷺ، ورعايته.	٥٨
المطلب الثاني: بيان منزلته ﷺ عند ربه	٦٤
المبحث السادس: مواساته ﷺ بأمره بملازمة الذكر والعبادة	٦٨
المطلب الأول: أمره بمداومة الصلاة والتسبيح والاستغفار	٦٩
المطلب الثاني: أمره بالإكثار من تلاوة القرآن	٧٤
المطلب الثالث:. أمره بالثبات على العبادة حتى يلقى ربه	٧٧
المبحث السابع: مواساته ﷺ ببيان نعم الله عليه وما أعد له من الثواب	٨٠
المطلب الأول: بيان مغفرة الله لنبيه ﷺ، وما أعطاه من فضائل في الدنيا.	٨١
المطلب الثاني: ثناء الله ﷻ على نبيه ﷺ، وعلى أصحابه الكرام	٨٦
المطلب الثالث: بيان ما أعده الله لنبيه ﷺ من الثواب في الآخرة	٨٩
الفصل الثاني **نماذج من مواساة القرآن للأنبياء والصالحين وتفريج كربهم**	٩٢
المبحث الأول: نماذج من مواساة القرآن للرسل والأنبياء وتفريج كربهم	٩٣
المطلب الأول: تفريج كربة نبي الله آدم عليه السلام.	٩٤
المطلب الثاني: مواساة نوح عليه السلام، وتفريج كربته.	٩٧
المطلب الثالث: مواساة لوط عليه السلام، وتفريج كربه	١٠٠
المطلب الرابع: مواساة يعقوب ويوسف عليهما السلام وتفريج كربهما	١٠٢
المطلب الخامس: تفريج كربة أيوب عليه السلام.	١٠٧
المطلب السادس: تفريج كربة يونس عليه السلام.	١١٠
المطلب السابع: مواساة موسى عليه السلام، وتفريج كرباته	١١٣
المبحث الثاني: نماذج من مواساة القرآن للأولياء والصالحين وتفريج كربهم	١١٩
المطلب الأول: تفريج كربة أصحاب الكهف	١٢٠
المطلب الثاني: مواساة أم موسى عليه السلام، وتفريج كربتها.	١٢٢
المطلب الثالث: مواساة مريم أم عيسى عليه السلام.	١٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: مواساة أصحاب النبي ﷺ وتفريج ما أصابهم من كرب	١٢٧
الفصل الثالث **منهج القرآن في مواساة المبتلين من المؤمنين وتفريج كربهم**	١٣٣
المبحث الأول: منهج القرآن في المواساة العامة لكل مبتلى مؤمن	١٣٥
المطلب الأول: بيان حقيقة الدنيا	١٣٦
المطلب الثاني: ربط قلوب المؤمنين بالحياة الآخرة	١٤٢
المطلب الثالث: بيان سنة الله ﷻ في الابتلاء	١٤٤
المطلب الرابع: الأمر بالصبر وبيان ثوابه.	١٤٩
المبحث الثاني: منهج القرآن في تفريج الكربات	١٥٤
المطلب الأول: أمره بالتوبة واجتناب الذنوب.	١٥٥
المطلب الثاني: أمره بالتقوى والعمل الصالح	١٥٨
المطلب الثالث: التوكل على الله ﷻ وإحسان الظن به	١٦٦
المطلب الرابع: تربية نفوس المؤمنين على القناعة والرضا	١٧١
المطلب الخامس: التذكير بنعم الله ﷻ.	١٧٥
المبحث الثالث: نماذج من منهجيات القرآن في مواساة وتفريج كرب أصحاب بلاء معين	١٨٠
المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في مواساة الفقراء وتفريج كرباتهم	١٨١
المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في مواساة المرضى وتفريج كرباتهم.	١٨٨
المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في مواساة اليتامى وتفريج كرباتهم.	١٩٣
الخاتمة	١٩٨
أهم النتائج	١٩٨
أهم التوصيات	١٩٩
الفهارس	٢٠٠
١- فهرس الآيات القرآنية.	٢٠١
٢- فهرس الأحاديث النبوية.	٢١٩
٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.	١٢٣
٤- فهرس المصادر والمراجع.	٢٢٤
٥- فهرس الموضوعات.	٢٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة باللغة العربية	٢٢٩
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	A

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث باللغة العربية

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، وهي بعنوان: **منهج القرآن الكريم في المواساة وتفريج الكربات** " دراسة موضوعية "

تتناول الدراسة استقراء ما في القرآن الكريم من جوانب المواساة، والتفريج للكربات، للوصول إلى منهج القرآن في المواساة وتفريج الكربات.

وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي في هذا البحث، حسب منهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حيث تناول في التمهيد التعريفات اللغوية والاصطلاحية اللازمة للبحث، ثمَّ قسم البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تناول فيه ما اشتمل عليه القرآن الكريم من مواساة للنبي محمد ﷺ، وذلك من خلال عدة مباحث تتضمن عدة منهجيات في المواساة الخاصة بالنبي ﷺ.

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث نماذج لبعض الأنبياء وبعض الأولياء الصالحين الذين اشتمل القرآن الكريم على مواساتهم وتفريج كرباتهم.

الفصل الثالث: بيَّن فيه الباحث ما في القرآن الكريم من تشريعات وتوجيهات وأحكام تواسي كلَّ مصاب، وتفرج كرب كل مبتلى، وفي نهاية الفصل تناول الباحث نماذج من الذين واساهم القرآن وفرَّج كرباتهم بصورة خاصة (الفقراء، المرضى، اليتامى)

وفي نهاية البحث ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، وأهم التوصيات التي يوصي بها، ثمَّ ذكر مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهد ممكن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

With Allah's praise and will this thesis has been finished under the title of :The Holy Quran's Method in condolence and relieving agonies .

The study addresses inducing the condolence aspects of the holy Quran and relieving agonies to arrive at the holy qurans method in that field .
The researcher used the inductive method in this research by thematic interpretation methodology of the holy quran where he addressed the necessary idiomatic language definitions , and he divided the research into three chapters :

Chapter One : He addressed what the holy quran included in condoling prophet Mohammed peace be upon him through several parts consisting of many methods of special condolence for prophlet Mohammed peace be upon him .

Chapter Two : The researcher addressed models for sorue prophets and good people whom the holy quran included in Condolence and relieving agonies

Chapter Three : The researcher stated the holy quran,s legislations , directions and provisions to condole every distressed person and relieve the agonies of every plagued . At the end of the chapter the researcher addressed models of those whom the holy quran condoled and relieved their agonies particularly (the poor , the sick , and the orphans)

At the end of the research the researcher mentioned the most important results found and the most important recommendations and he set a group of appendixes that facilitate accessing the information with the least possible effort .

www.manaraa.com